نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩ - ربيع الثاني ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest November '89 N° 132

البصمات الوراثية تكشف المجرمين ٧
فرنسوا ميتران: الطريق الى القمة ١٤
دعوا الازمات تجوهر زواجكم ٢٠
حمى الذهب في المحيط الهادىء ٢٣
مونكي ميا، موطن الدلافين ٢٩
الغضب القاتل ٣٥
المدينة القديمة ٤١
الطفلة العابسة تبتسم ٤٤
أخبار الزمان ٥٠
يد الجماعة ٥٢
أمثولة الصقر ٦٣
الرطوبة تضعف النشاط الجنسي! ٧٠
فنانة الغرائب ٧٤
لغة الخرائط ٨٥
طاحونة في المستشفى (مأساة واقعية) ٨٨
عوِّدوا أولادكم العمل المنزلي ٩٤
النفايات السامة تهدد مستقبل الارض ٩٨
الارادة المنتصرة ١٠٨
إنتبهوا للخصر والوركين ٨٠
حكم ١٢١
كتاب الشهر: بحيرة القنادس ١٢٣
المحامي والشاب الضال ٣
حديقة أفكار ١٣ - الضحك خير دواء ٣٩
دائرة المعارف ٨٣ - اخبار العلم ١٠٧

أوسع المجلات انتشارا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

أطفال من العالم
(ص ٦٥)

قلب جديد لعمر
(ص ٥٦)

جيمس بوند بائع الحليب!
(ص ١١٤)

فندق الشام

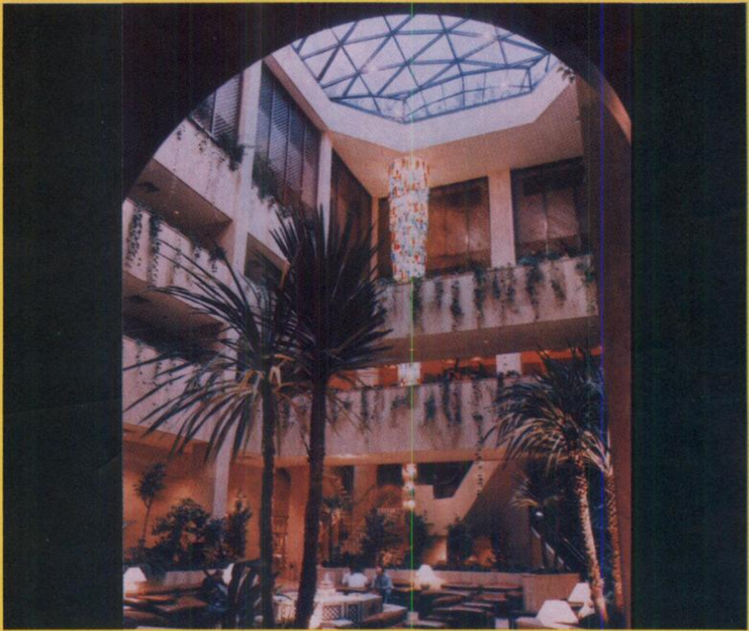

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عمَلك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السبَاحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرحٍ وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنسَ المطعم الدوّار المطِل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تُعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1989 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

November '89 N° 132 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ٥٠٠ل - سورية ٣٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

Carnation®

Coffee-mate®

كريمة مُبيِّضة للقهـوة

كوفي - ميت يجعَل طَعم قهوتك سَلِسًا لذيذًا
ويُغنيك عَن المواد الدسِمَة

كارنيشن
كوفي - ميت

يُضيفي إلى قهوتِك نكهـة غنِيّة

مِن إنتاج Carnation كارنيشن

المحامي والشاب الضالّ

استجوبني المحامي ليرى ما اذا كنت في خطر وقد كان الخطر يتهددني حقاً

حدث ذلك في صيف ١٩٥٧. كنت في الثالثة والعشرين من عمري، وأقولها باعتدال: كنت منجرفاً مع التيار. بعدما تركت كتيبة المظليين تحولت الى الشراب والعراك في الحانات والصدامات الصباحية مع الشرطة. لا عمل ثابتاً لي، ولا آمال.

وكانت والدتي تعمل لدى محام في نيويورك. واذ كان دائماً يظهر اهتماماً بأسرتها أخبرته عن المشاكل التي أسببها. ودهشت عندما اتصل بي جو طومسون لتعيين موعد غداء، فأنا أعلم كم كان هذا المحامي مشغولاً، وكم هو قاس أحياناً.

ألتقينا في مطعم فخم في المدينة حيث أسمطة الطاولات بيضاء والصحون والاطباق من الخزف الصيني النفيس. شعرت بأنني غير مرتاح بالبذلة الرسمية النظيفة التي ارتديتها، فهي لم تكن الزي المعتاد الذي أرتديه عند الشرب.

كان طومسون شخصاً مخيفاً أكثر مما تصورت. مديد القامة، أبيض الشعر، يرتدي بذلة مقلمة مع صدرة وساعة جيب. ولكن أكثر ما أذكره عيناه الزرقاوان الباردتان تخترقان داخلي.

طلبنا الطعام وانطلق هو في الكلام. كان أسلوبه مسرحياً مفرطاً في التمثيل. وكان واضحاً أنه اعتاد بلوغ ما يريد، وله طـريقة مـربكة في المثـابـرة على الاستجواب: ماذا أنا فاعل بحياتي؟

لا جواب لدي. لم يسبق لأحد أن كلمني بمثل هذا الهدوء.

© 1989 BY TOM PHILBIN. CONDENSED FROM CATHOLIC DIGEST (APRIL '89), ST. PAUL, MINN.
WITH ADDITIONS BY THE AUTHOR

كان الرجل غير رحيم. قال بحدة ان علي أن أتصرّف على نحو أفضل كرمى لخاطر والديَّ ومن أجل مصلحتي. احسست بشعري يقفّ. بحق السماء، من تراه يعتقد نفسه، هذا الرجل؟ لكن لهجته لانت بعدئذ. عرض علي أن يتدبر لي عملا في شركة تأمين. واذا ما أردت دخول الجامعة فهو سيساعدني.

فكرت: انه لامر مضحك والله! وللمرة الاولى في لقائنا نطقت: "انتظر دقيقة، ان سجلّي في الدراسة الثانوية لم يكن عظيماً، ولا أظن أنني أستطيع دخول الجامعة."

تجاهل محاولتي الحوار، وأبلغني أنني اذا ما شئت أن أجرب جامعة منهاتن التي تعلم فيها والدي، فهو سيسعفني. وكانت تلك النظرة، ثانية، تلك النظرة النافذة للعينين الزرقاوين التي تطلب الامتثال. كان من الواضح أن لا خيار لي. فوافقت، أو لأكن أكثر دقة، أذعنت.

بعد أسبوع في يوم حار من أغسطس (آب) توجهنا شمالا الى الجامعة. فجأة انحرف طومسون بسيارته الى جانب الطريق وتوقف.

قال: "لنصلِّ كي ننجح."

هل هو جديّ؟ صدمت تماماً وتبعته وجثوت علي جانب الطريق العامة. أحسست بذلّ وأنا راكع هناك والسيارات تمر هادرة على بعد أمتار. لكنني ادركت آنذاك أن تحديه لا يجدي. أغمضت عيني، ثم أخذت أسرق النظرات مجانبة، وهناك كان ذاك المحامي في بذلته المقلمة، عيناه مغمضتان، ويداه مشبوكتان، وشفتاه تتحركان بالصلاة.

في الجامعة التقينا الاستاذ غريغوري عميد كلية الآداب والفنون. قال له طومسون: "يا أستاذ، هذا الشاب سيخسر نفسه، انه مشاغب، لا هدف له."

تمنيت لو أستطيع الزحف تحت بلاط الارض. تكلم طومسون عن التقاليد وعن عائلتي وكأنه واقف أمام هيئة محلفين في محكمة يدافع عن قضيتي.

أصغى الاستاذ غريغوري بطول أناة، لكنه أبلغنا أن صف السنة الاولى مكتمل، ووعد بأن ينظر في أمري اذا ما خلا محلّ.

في سبتمبر (أيلول) قبل بدء الدراسة تلقيت اتصالاً هاتفياً من الجامعة.

قال الاستاذ غريغوري: "عندنا محلّ خال، أتريد أن تحضر وتجرّب حظك؟"

أجبت: "أجل، بالتأكيد."

لكنني لم أكن متأكداً فعلا، فلا فكرة لدي عما سأفعل. ونقفت قطعة نقد في الهواء.

في اليوم التالي حضرت بهمة فاترة درسي الاول في الادب العالمي. وهناك حدثت أعجوبة.

بدا أستاذي أليان أنطوني كأنه سينفجر حماسة لافكار امرىء يدعى أرسطاطاليس أما أنا فجلست مأخوذاً كأنني تحت تأثير تنويم مغناطيسي. ولم أستطع أن أصدق أن رجلا يمكن أن يكون ذكيا مثل أرسطاطاليس هذا.

كانت الاعجوبة شبه انفجار انطلق في رأسي. كان مثل وميض قنبلة هيدروجينية، وهو غيّر فجأة أسلوب تفكيري في نفسي وفي العالم. أنا لست سكيراً، وأنا لست جنديا سابقاً فحسب. شعرت بالانتماء. وفي تلك اللحظة

الفريدة الرائعة أيقنت أنني أستطيع أن اكونِ طالباً.

أغرقنا في سيل جارف من الافكار عن تاريخ العالم، والادب واللغة والفلسفة. لكنّ ثمة أمراً أهم، أننا جميعاً كنا مأخوذين بالاثارة التي بهرتنا بها عملية التعلّم. ولا أريد أن أغالي، ولكن كان لدينا ادراك غير معلن أننا في رحلة ممتعة.

هذا لا يعني أنني أصبحت رجلاً باراً. وكثيراً ما أمضيت وقتاً في حرم الكلية أمام نصب تذكاري أناقشه بصوت عال في الشؤون السياسية أو الفلسفية أو في لا شيء. وما زلت أذكر تلك الوجوه الحمر والضحكات المكتومة وغير المكتـومة لأناس مرّوا بي.

كانت تلك أياماً سعيدة، خصوصاً منذ عرفت أنني لم أكن مخطئاً. لكن سلاحي الآن هو عقلي وليس قبضتي.

لو قال لي امرؤ، عندما نقفت قطعة النقد باصبعي في الهواء في ذلك اليوم البعيد، انني سأكون قائداً طالبيـاً لضحكت في وجهه. لكنني في سنتي الثانية انتخبت رئيساً لجمعية الطلاب المتخصصين باللغة الانكليزية، ومراسلا لصحيفة الجامعة، ورئيساً لنادي التمثيل. وفي العام ١٩٦١ جلست أسرتي باعتزاز في قاعة الاحتفالات وصفقت لي وانا أتسلم شهادتي.

وتركت ذلك المكان وحلمي أن أصبح كاتباً.

من وقت الى آخر أسمع عن جو طومسون من والدتي. ثمة دائماً قصص أشبه بالاساطير عن نجاحه، او عن تجريحه رواية شاهد في المحكمة، أو عن اغضابه رجلاً نافذاً. وعلى رغم أسلوبه الخشن كانت له رقة تظهر في عمله الخيري مع أناس بائسين. وربما كان ذلك هو الجانب الآخر لرغبته في ضبط من هم حوله تدفعه الى محاولة تحسين أقدار الناس. انه كان عاطفياً جداً مما حمل زملاءه المحامين على تسميته "الرجل الذي يحمل بصلاً في جيبه" وذلك لنزوعه الى البكاء في المحكمة.

حتى الآن، لا فكرة لدي عما فعله طومسون من أجلي. لكنني أظن أنني تقديراً له وجدتني مرة ثانية أمام الاستاذ غريغوري أناشده لمساعدة صاحب لي كان متضايقاً في جامعة أخرى. بدا العميد متسلياً بالتكرار الظاهر للاحداث، لكنه وافق على تسجيل اروين ولوسكي في الجامعة. وتخرج اروين أيضاً بعدما غاص في دنيا الافكار العظمى. ويراودني أحياناً أن جو طومسون بدأ سلسلة من صغار خائبين يساعد أحدهم الآخـر، وهذه السلسلة مستمرة الى اليوم.

قبل سنوات سمعت أن جو، الذي تجاوز السبعين وبات مقعداً نتيجة التهاب المفاصل، يعاني مرض الانوريسما أي تمدد الاوعية الدموية وهو في صحة واهية. وأسوأ من ذلك أنه لم يعد يستطيع ممارسة المحاماة. كان حزيناً جداً. وخطر لي أنني لم أشكره أبداً، هذا الرجل الذي حضني ببادرة طيبة حازمة على تقويم مساري. فأخذت نسخة من كتابي الاول المنشور وكتبت في الصفحة الاولى:

عزيزي جو،

تجد طيّه الكتاب الاول الذي ألفته. فكرت في أنك تود أن تعلم أن الامور تسير حسناً. أنا

أقضي وقتي في الكتابة، وقد ألّفت ستة كتب. وأنا متزوج وسعيد ولي ثلاثة أولاد.

لكنني أريد أن أقول، يا جو، ان شيئاً من ذلك لم يكن ليحصل لولا الحب والايمان اللذان منحتني اياهما في ذلك اليوم من صيف ١٩٥٧. أنا لن أنساك أبداً يا جو.

مع محبتي،
طوم.

بعد اسبوع تلقيت رسالة من جو كتبت بصعوبة واضحة:

عزيزي طوم،
جعلت رجلا عجوزاً يبكي.
ليباركك الرب. جو.

بعد أسبوعين توفي جو طومسون. وأثناء الجنازة أخبرتني أرملته دوروثي أن اهدائي أخرجه من الكآبة.

واذ غادرت المأتم فهمت الحقيقة للمرة الاولى. أنا أعطيت جو بضعة أيام من السعادة، أما هو فقد أعطاني حياتي.

طوم فيلبين ■

زوج مرتّب

ما إن عرضنا بيتنا للبيع حتى تلقينا مكالمة تعلمنا بأن زبائن هم في طريقهم الينا. فهرعت وزوجي في محاولة مسعورة لترتيب المكان قبل وصولهم. توجّه هو الى غرفة الضيوف حيث تكوّم الغسيل غير المطوي فوق السرير، وغسلت أنا الصحون المكدسة في المطبخ. وبعد انتهاء مهمتي دخلت غرفة الضيوف، فوجدت نتوءاً متطاولا تحت غطاء السرير. وهمس زوجي في أذني مازحاً: "ششش... العمّة سعاد نائمة."

د.غ.

وجه الشبه

أمضيت، وقتاً طويلا أجهّز نفسي لأول حفلة راقصة احضرها. فقد تبرّجت وصفّفت شعري واستعرت فستاناً أزرق.

وفي الحفلة، اغتبطت عندما اقترب مني تلميذ وسيم وسألني: "هل أنت أخت هالة سعيد؟" ولدهشتي، أجبته متلعثمة: "وهل لاحظت الشبه؟" فرد قائلا: "كلا ولكني اعرف الفستان."

هـ.هـ.

اقتصادي صغير

ابني في السابعة من عمره ويتقن قواعد علم الاقتصاد الحديث. ذات يوم كلمني عن حاجته الى المال في رحلة خططت لها العائلة، فقلت له: "يمكنك أن تكسب مالا اذا أنت ساعدت في أعمال المنزل." فأجاب برويّة: "أبي، أنا لم أقل انني أريد كسب المال، بل قلت انني أريد الحصول عليه."

د.ج.

Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩
ربيع الثاني ١٤١٠
السنة الحادية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

البصمات الوراثية تكشف المجرمين

كانت الادلة الجرمية واهية ولا بد من برهان علمي قاطع لمعرفة القاتل

هرع روب براين (٢٢ عاماً) خارجاً من بيت المزرعة الذي كان يستأجره، وانطلق بشاحنته الخفيفة في الطريق المؤدية الى منزل جاره دانا غليسون. كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف مساء ذلك الاحد في السادس والعشرين من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦. وصرخ براين عندما فتح له غليسون الباب: "استدعِ سيارة اسعاف، لقد حدث أمر رهيب لزوجتي."

تولت زوجة غليسون أمر الاتصال الهاتفي بينما عاد زوجها مع براين الى المزرعة.

كانت شيلي براين ممددة على ظهرها بلا حراك على سجادة مغمسة بالدم في مدخل غرفة الجلوس. كانت ثيابها ممزقة، ونفسها يتقطع في حلقها، ووجهها كتلة من الدم وقد انتفخ اللحم حول عينيها فظهرت نظاراتها كأنها غارقة فيه. وكانت بالقرب منها طاولة

للقهوة ثقيلة الوزن قلبت على جانبها وكسرت اثنتان من قوائمها. قال براين مرتجفاً: "هكذا وجدتها. لا أدري ماذا حصل."

وقف غليسون مشدوهاً ثم عاد مسرعاً الى بيته ليتصل بالشريف(١) وانتظر بعد ذلك على الطريق حاملا مشعلا كهربائياً لارشاد فريق من المسعفين المتطوعين الى منزل براين. وحُملت شيلي الى مستشفى صغير في نيوتن (كنساس) يبعد مسافة ٣٠ كيلومتراً الى الجنوب.

قال أحد الاطباء لروب: "يبدو هذا الجرح كأنه اصابة بطلق ناري. انها في حاجة الى جراحة." ونقلت شيلي مسافة ٤٠ كيلومتراً أخرى الى مركز "سانت فرنسيس الطبي الاقليمي" في ويتشيتا حيث كان في انتظارها فريق مختص بمعالجة الصدمات والجروح. وبعد منتصف الليل اقترب احد الاطباء من براين في غرفة الانتظار قائلا: آسف، لن نستطيع انقاذها. لقد توقف دماغها."

شاهدان. عند منتصف الليل وصل المدعي العام اد ويلر (٣٤ عاماً) الى منزل آل براين حاملا مذكرة تفتيش، ومعه بيل ميولر وهو تحر خاص تابع لمكتب التحقيق في ولاية كنساس. عثرا على غلاف فارغ لرصاصة مسدس من عيار "٢٢" قرب أريكة في غرفة الجلوس، وعلى سروال نسائي من الجينز مصرور ومرمي تحت عربة المشروبات في المطبخ. وأخذت عينات من السجادة بغية اخضاعها لتحاليل مخبرية.

كشف الاطباء في ويتشيتا لاحقاً أن النار اطلقت مرتين على شيلي وأصابتها بين عينيها. وكانت هناك خدوش على ذراعها اليمنى وكدمات على كتفها اليسرى ودلائل تشير الى أنها تعرضت لاغتصاب.

لم يكن أحد من السكان المجاورين لمنزل براين سمع طلقات نارية. وتذكرت فتاة كانت تتنزه خارجاً في ذلك الاحد أنها سمعت هدير انطلاق محرك على الطريق الخاصة المؤدية الى بيت آل براين، ثم رأت دراجة نارية أو عربة بثلاث عجلات على الطريق. ورأى جار آخر دراجة نارية منطلقة من تلك الطريق قرابة الخامسة والنصف عصراً لكنها لم تسترع اهتمامه لانه تعود رؤية براين يدخل ويخرج على دراجته.

أما براين فأكد أنه لم يخرج بدراجته ذلك النهار. إذ انه في السادسة صباحاً ذهب لاصطياد البط في منطقة خزان ماريون التي تبعد نصف ساعة عن منزله وبقي هناك الى وقت متقدم بعد الظهر، ولكن لم تكن في حوزته طريدة واحدة تدعم أقواله. وفي طريق عودته بعيد الخامسة توقف في مطعم هادىء حيث تناول قهوة وشطيرة. فلم يستبعده المحققون كمشتبه فيه.

راية خطر. منذ زواجهما في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤ حدثت بضعة صدامات كلامية بين الزوجين الشابين لكنها لم تكن خلافات خطيرة. كانا يبدوان مكتفيين برفقة واحدهما الآخر، ويقضيان معظم أمسياتهما بهدوء في البيت. وفي

(١) الشريف هو المسؤول الامني في البلدات الامريكية.

عطلات نهاية الاسبوع كانا يحبان التخييم وصيد السمك.

الظل الوحيد الذي خيم على حياتهما كان المال. فالمصاريف الطبية التي ترتبت على خضوع شيلي لجراحة استئصال الحصى من المرارة أدت الى افلاس الزوجين. وساءت حالهما المادية عندما سرّح روب من عمله نهار الجمعة الذي سبق وفاة شيلي.

بدا حزنه وذهوله حقيقيين في عيني التحري بيل ميولر (٤٣ عاماً) وهو عميل سابق في مكتب التحقيق الاتحادي (FBI) فبدأ يميل الى نظرية ان القاتل رجل يعرف عائلة براين.

في محيط روب براين كان أوليفر سميث (٣٤ عاماً) زميله في العمل ورفيقه في الصيد هو الرجل الوحيد الذي يعلم مكان اقامة عائلة براين، وكان يملك دراجة نارية ومسدساً من عيار "٣٢".

في الصيف الذي سبق وقوع الحادث عمل الرجلان جنباً الى جنب مدة ٨٠ ساعة في الاسبوع وهما يحملان أجزاء مبنية من الاسمنت في الشاحنات. كانا صديقين حميمين يزور أحدهما الآخر على الدوام. وفي عطلة ذلك الاسبوع كان سميث على علم برحلة روب لصيد البط.

عندما سئل سميث عن الأسلحة التي يملكها وصف بعضها لكنه أغفل ذكر المسدس. وسأله ميولر: "هل تملك مسدساً من عيار ٣٢؟" فأجابه: "آه، نعم، نسيت أن أطلعك على ذلك."

شك منطقي. بعد مضي تسعة أيام على وقوع الجريمة وافق سميث على اختبار مسدسه في ميدان الرماية التابع للشرطة في نيوتن. وأظهرت غلافات الرصاصات أثراً فريداً حيث ضرب قادح المسدس رأس الغلاف. ولم تترك علامات القذف اي شك بعدما درست مجهرياً، فالغلاف الذي وجد في مكان الجريمة أتى من مسدس سميث. صادر ميولر السلاح وحصل على عينات من دم سميث وشعره.

وفي مقابلة أجريت في ديسمبر (كانون الاول) في حضور محام قال سميث انه احتفظ بالمسدس في شاحنته الخفيفة أو في منزله وانه لم يخرج يوماً عن حوزته، وأضاف أنه لم يستعمل المسدس الا للتمرن على الرماية. وعندما سأله ميولر هل أطلق النار على شيلي براين أجابه بالنفي الشديد.

على رغم أن أصدقاء لسميث حددوا مكان وجوده في نيوتن وحولها خلال فترة بعد الظهر وفي المساء، يوم وقوع الجريمة، وجد ميولر ثغرات زمنية في حجة الغياب. كانت المزرعة في غوسل تبعد أقل من مسافة نصف ساعة في السيارة. وحكم المفتش أن سميث كان يملك الفرصة لارتكاب الجريمة.

وعلى مر الاشهر أخذت كل الدلائل تشير الى سميث. وتمكن المفتشون من تحديد صياد آخر تبادل حديثاً مع براين قرب الخزان في ذلك الاحد. يقول اد ويلر: "كنا متأكدين من أن سميث هو القاتل، لكن ذلك لم يكن كافياً لرفع دعوى."

على رغم أن غلاف الرصاصة انطلق فعلا من مسدس سميث، لم يكن في وسع ويلر أن يثبت، خارج حدود الشك المنطقي، أنه كان سلاح الجريمة. لقد تشظت

الرصاصات القاتلة فلم يعد ممكناً ان تعزى الى مسدس محدد. قد تكون غلافات الرصاصات وقعت من جيب سميث أثناء احدى زياراته.

وجدت آثار دم على ماسورة المسدس مما أدى الى التشكيك في ادعاء سميث أنه لا يستعمل المسدس الا للرماية على هدف ثابت. ومع ذلك يمكن تفسير الامر بغير ذلك.

أظهرت التحاليل التي أجريت على عينات السجادة وجود شعر عائد الى جسد زنجي. وكان سميث زنجياً. ومرة جديدة كان ممكناً ان الشعرات سقطت منه في أي وقت.

وتبين من آثار المني على سروال الضحية أنها لرجل فئة دمه «O» . وكان دم كل من روب براين وسميث من هذه الفئة. وأجري مزيد من تحاليل البروتيين والانزيم (الخمائر) أبعد براين عن الشبهات وانطبق على سميث. لكن تلك المواصفات كانت تنطبق على أكثر من ٢٠ في المئة من السكان ايضاً.

الشاهدان اللذان رأيا الدراجة النارية لم يستطيعا وصف الراكب ولا دراجته. وفحص التقنيون بصمات الاصابع في منزل آل براين، فلم يعثروا على أثر لبصمات سميث.

ظاهرياً، كان سميث زوجاً ودوداً جذاباً ووالداً لصبي يافع. الا أن التحقيقات العنيدة أظهرت جانباً مظلماً من حياته. فهو في فترة ما كان يشرب كثيراً ويتعاطى المخدرات، ولكن لم يكن ذلك اثباتاً لارتكابه الجريمة.

قرر ميولر وويلر المضي بما لديهما.

زيارة مشؤومة. في منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ قبض على سميث واتهم بجريمة الاغتصاب والقتل من الدرجة الاولى وسجن، وحددت كفالة لاطلاقه بمبلغ ١٠٠ ألف دولار. كان هناك ١٥ زنجياً فقط يقطنون في مقاطعة ماريون. وبغية الحصول على عدد أكبر من المحلفين الزنوج نقلت القضية الى مدينة جانكشن في مقاطعة غيري المجاورة. وعُين ستيفن أوبات (٣٩ عاماً) مدعياً خاصاً يساعده ويلر كمستشار.

أوكلت مهمة الدفاع الى رالف دي زاغو رئيس مكتب محامي الحق العام، الذي رأى أن القضية المرفوعة على موكله ضعيفة. وهو يقول: "لم يكن أحد من أعضاء هيئة المحلفين ليحكم على أساس الدليل الذي في حوزة الادعاء."

بدت قضية المدعي العام أوبات عرضية كلياً. لم يكن في وسعه اثبات وجود سميث في مكان حدوث الجريمة. وحتى في اعتقاد أوبات كان لا يزال هناك بعض أمل في براءة سميث.

في أواخر ابريل (نيسان) ١٩٨٨ عند اقتراب موعد المحاكمة زار أوبات وويلر مختبرات مكتب التحقيق في توبيكا لمراجعة دلائل الجريمة، وهناك أخبرهما اختصاصي بعلم المصول "أن السائل المنوي في ذاته لا يشبه بصمات الاصابع، ولا يمكننا في ضوئه تحديد شخص معين. هل فكرتما في اجراء اختبار الحمض النووي DNA؟"

كان أوبات وويلر يعلمان أن «DNA» (٢) جزيء في الخلايا ينقل المركبات

(٢) Deoxyribonucleic acid

الوراثية التي تميز شخصاً عن آخر. أما الامر الذي كانا يجهلانه فهو أن المتخصصين بالبيولوجيا الجزيئية طوروا أساليب لطبع رموز التركيب الوراثي الفريد لكل فرد بدقة متناهية، الى حد أن بعض المحاكم بدأ يقبل اختبار الـ«DNA» كدليل في القضايا الاجرامية. وبما أن الـ«DNA» يظهر على نحو متطابق في كل خلية من خلايا الانسان تحتوي على نواة، يمكن علماء الأحياء أن يستخرجوا نسخة عن تركيبة الـ«DNA» من الانسجة والشعر واللعاب والدم التي يجدونها في مكان الجريمة، ومن ثم يعملون على مقارنتها بعينات مأخوذة من «DNA» المشتبه فيه.

"بصمات حديثة." لم يقتنع أوبات وويلر بجدوى اخضاع سميث لاختبار الـ«DNA» لانهما كانا غير واثقين بعلميته وشرعيته. وبعد فترة بينما كان ويلر يتصفح مجلة "أمريكان بار أسوسييشن" توقف قليلا عند عنوان رئيسي: «DNA» – البصمات الحديثة." استعملت كدليل في ست قضايا اجرامية في الولايات المتحدة، وأنها مرشحة لاحداث ثورة في علم القانون.

اتصل ويلر بأوبات هاتفياً وقال له مهتاجاً: "ستيف، يجب أن تقرأ هذه المقالة عن اختبار الـ «DNA»."

وبعد اجراء عدة مكالمات مع اختصاصي بعلم الوراثة لتأكيد صلاح اختبار الـ«DNA» علمياً، أعلم المدعيان العامان دي زاغو أنهما يريدان عينات «DNA» من سميث. اعترض محامي الدفاع على هذا الطلب، لكن المحكمة أقرته ووافقت على اقتراح تأجيل المحاكمة. ففكر دي زاغو: انهما يقومان بخطوة اخيرة يائسة.

نقلت عينات من دم سميث وبراين والضحية الى مختبر خاص بالـ«DNA». وأرسلت عينة من المادة الممسوحة عن جدار رحم الضحية للمقارنة.

بدأت المحاكمة في التاسع من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩. وخلال يومين استمع أعضاء هيئة المحلفين الى افادات الشهود والى تقارير الخبراء الشرعيين عن غلافات الرصاصات وفئات الدم. وطلب دي زاغو شروحاً بسيطة لكل حلقة في سلسلة الدلائل. أما بالنسبة الى جوديت ميلر، وهي عضو في هيئة المحلفين كانت مرشحة لتكون رئيسة لهم، فان الدعوى ضد سميث كانت عرضية جداً.

الحلقة الواضحة. في نهاية اليوم الثاني صُرف أعضاء هيئة المحلفين وطلب من قاضي المقاطعة جورج سكوت أن يبت مسألة قبول دلائل الـ «DNA».

قال دونالد روفا أستاذ علم الاحياء في جامعة كنساس للقاضي: "نحن نستعمل اختبار الـ«DNA» في مختبراتنا دائماً. وهناك مئات المختبرات التي تجريه يومياً." وأضاف موضحاً أن هذه التقنية مبنية على مبادىء علمية راسخة ومقبولة في العالم اجمع.

في اليوم التالي، بموافقة القاضي سكوت، شرح روفا عملية اختبار الـ«DNA» لهيئة المحلفين. ثم عرض عليهم اختصاصي آخر فيلماً بالاشعة

السينية مرفقاً بمقارنات لثلاثة نماذج: أحدها من عينة لدم شيلي والثانية من دم سميث والثالثة من سائل جدار الرحم.

ظهرت النماذج على الفيلم مثل خطوط سوداء موزعة على مسطرة، وهي روت حكاية نابضة بالحياة. كانت رموز الـ«DNA» العائدة الى شيلي تختلف بشكل ملحوظ عن تلك العائدة الى سميث. وظهرت رموز شيلي متطابقة في سائل جدار الرحم، كذلك رموز سميث. أما نموذج الـ«DNA» العائد الى براين والظاهر على الفيلم نفسه فكان يختلف كلياً عن النماذج العائدة الى كل من شيلي وسميث، وهو لم يظهر في سائل جدار الرحم على الاطلاق.

في المرافعة الختامية ذلك النهار قال أوبات لهيئة المحلفين: "ليست لدي بصمات أصابع، لكنني أملك بصمات «DNA». وهذه ليست بخدعة، انها علم."

بعد ساعة وعشرين دقيقة من مغادرة قاعة المحكمة أعلنت هيئة المحلفين حكمها: سميث مذنب بالتهمة الموجهة اليه. وحكم عليه بالسجن المؤبد.

بيتر مايكلمور ■

كرامة الالكترون!

قالت الموظفة للزبون ان الدماغ الالكتروني في الشركة سيتصل به فور تحضير السلع التي طلبها. فرجاها الزبون أن تترك خبراً على آلة التسجيل الموصولة بالهاتف لديه اذا لم يكن موجوداً في البيت. فارتبكت الموظفة وأجابت: "آسفة يا سيدي، لكن الدماغ الالكتروني لدينا لن يرضى بالتكلم الى آلة."

ج.و.

مفتوح دائماً

في نهاية مناوبتي كموظف في مخزن يفتح ليل نهار، دخل زبون وسألني: "هل يفتح هذا المخزن اربعاً وعشرين ساعة، سبعة أيام في الاسبوع، ٣٦٥ يوماً في السنة؟"

فأجبته: مستغرباً سؤاله: "نعم."

فسألني: "لماذا اذاً للأبواب أقفال؟"

م.ب.

سرّ المهنة

أتى طبيب عائلتنا بسيارته الى المرأب الذي يملكه ابني. وبينما كان ابني يلقي نظرة فاحصة تحت غطاء المحرك سأله الطبيب: "ماذا ترى في الداخل؟"

فأجابه ابني: "تماماً ما تراه عندما تنظر في حلقي: أعراض دراهم."

ب.غ.

حديقة أفكار

□ الاكتشاف الأكبر لجيلي هو أن الانسان يستطيع أن يغيِّر حياته بتبديله موقفه.
وليم جيمس، فيلسوف وعالم نفساني (١٨٤٢ - ١٩١٠)

□ يتطلب الزواج الوقوعَ في الحب مراراً، ودائماً مع الشخص ذاته.
م.م.

□ الصديق الصدوق هو من تراه معك عندما يكون حرياً به أن يكون في مكان آخر.
ل.و.

□ أهم ما في الاتصال البشري هو سماع ما لا يقال.
ب.ف.د.

□ اذا عالجتَ كل وضع كأنه قضية حياة أو موت، فسوف تموت مراراً كثيرة.
د.س.

□ لا يستطيع المرء أن يلمّ كل الاصداف الجميلة من الشاطىء. في وسعه أن يجمع بعضها. وهي تكون أجمل كلما قلّ عددها.
آن مورو ليندبرغ، كاتبة وزوجة الطيار تشارلز ليندبرغ

□ يبدأ التغيير عندما يرى امرؤ الخطوة التالية.
و.د.

□ قد تخدم الهزيمة في تحريك المشاعر واظهار الامجاد، مثلها في ذلك مثل النصر.
ادوين ماركهام، شاعر أمريكي (١٨٥٢ - ١٩٤٠)

فرنسوا ميتران:

طَموح لا يتزحزح وسياسي بارع وصاحب دور رئيسي على مسرح السياسة العالمية

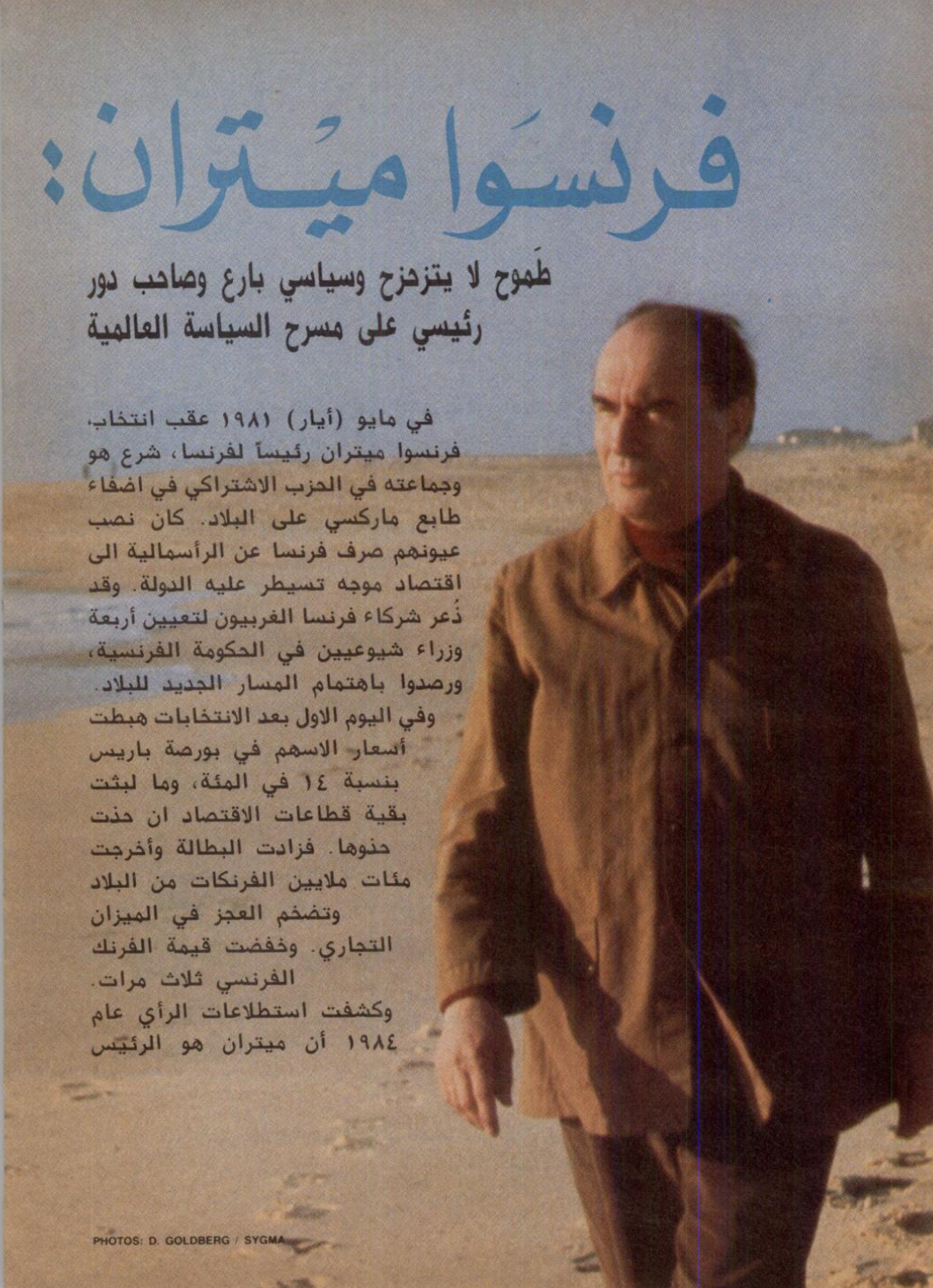

في مايو (أيار) ١٩٨١ عقب انتخاب، فرنسوا ميتران رئيساً لفرنسا، شرع هو وجماعته في الحزب الاشتراكي في اضفاء طابع ماركسي على البلاد. كان نصب عيونهم صرف فرنسا عن الرأسمالية الى اقتصاد موجه تسيطر عليه الدولة. وقد ذُعر شركاء فرنسا الغربيون لتعيين أربعة وزراء شيوعيين في الحكومة الفرنسية، ورصدوا باهتمام المسار الجديد للبلاد.

وفي اليوم الاول بعد الانتخابات هبطت أسعار الاسهم في بورصة باريس بنسبة ١٤ في المئة، وما لبثت بقية قطاعات الاقتصاد ان حذت حذوها. فزادت البطالة وأخرجت مئات ملايين الفرنكات من البلاد وتضخم العجز في الميزان التجاري. وخفضت قيمة الفرنك الفرنسي ثلاث مرات.

وكشفت استطلاعات الرأي عام ١٩٨٤ أن ميتران هو الرئيس

PHOTOS: D. GOLDBERG / SYGMA

الطريق إلى القمّة

الأقل شعبية منذ تأسيس "الجمهورية الخامسة" في ١٩٥٨.

اما اليوم فعملة فرنسا قوية والتضخم مكبوح. والشيوعيون غير مشاركين في الحكومة، وقد جانب الاشتراكيون الاعتدال. وفي مايو (أيار) ١٩٨٨ أعيد انتخاب ميتران، ذلك الرجل المذموم من قبل، بغالبية مذهلة وهو في الحادية والسبعين من العمر. وفي تحوّل لافت عاد ميتران الى حيث عرف دائماً أنه ينتمي: الى القمة.

لقد حفزت فرنسوا موريس آدريان ماري ميتران، منذ طراوة أظفاره، رغبة قاهرة في أن يكون الرقم واحداً. واحتوت جعبته دائماً على أسلحة جبارة: فطنة وثقافة مترامية وذاكرة قوية وملكة خاصة بالزعامة ونزوع الى المناورة والاقناع. لكن ثمة محركاً فاق أياً من هذه الصفات المذكورة ونقله من بلدة جارناك الصغيرة حيث كان أحد ثمانية أبناء لمأمور في محطة للسكك الحديد الى الردهات المذهبة في قصر الاليزيه بباريس. هذا المحرك هو طموح بلا حدود.

صياد سباع. حتى تاريخ تجنيد فرنسوا ميتران عام ١٩٣٨ وهو في الثانية والعشرين من العمر عاش حياة طالب من الطبقة الوسطى، يجدّ في متابعة دراسته في القانون والادب والعلوم السياسية في باريس. ونشبت الحرب العالمية الثانية واندحر الجيش الفرنسي وزج به في معسكر ألماني لأسرى الحرب. فتغيرت حياته جذرياً.

وهو أتى على ذكر تلك الفترة في احد الكتب التي تضمنت مذكراته: "كان الالمان يحضرون لنا عند الظهر أوعية من حساء اللفت أو أرغفة خبز، وهذا طعامنا نتدبره في ما بيننا طوال اليوم. وفي بادىء الامر كانت السيادة للأقوى بين الاسرى." لكنه ما لبث وزملاءه السجناء ان فرضوا أسلوب الحضارة الديموقراطية في الثكنات مما كفل توزيع الطعام بانصاف.

هكذا اكتشف الرقيب ميتران السياسة.

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ نجح في محاولته الثالثة للفرار، وعاد الى فرنسا حيث حصل على وظيفة في المفوضية العسكرية لأسرى الحرب التابعة لحكومة فيشي. وكانت تلك الوظيفة ستاراً ممتازاً لنشاطاته في المقاومة. وفي العام ١٩٤٣ توجه الى مقر قيادة الجنرال ديغول في الجزائر لملاقاة زعيم "فرنسا الحرة.".

شعر ميتران نحو ديغول بالبغض من النظرة الاولى. واذ أمر الجنرال المتسلط الرقيبَ السابقَ الشاب بأن يضع مجموعته المقاومة تحت سلطته، رفض ميتران ذلك وآب الى فرنسا لمتابعة المقاومة كما يراها. ومنذ ذلك الحين لم تتغير بغضاؤه تجاه ديغول.

بعد تحرير فرنسا من الالمان انغمس ميتران في السياسة، وانتخب عضواً في البرلمان الاول "للجمهورية الرابعة" عام ١٩٤٦ وغدا أصغر وزرائها وهو في الثلاثين من عمره. وعلى رغم انه مفطور على العزلة، فانه تودد بدهاء وحذق الى حلفائه وكان له وزير على الدوام في الحكومات. وخلال هذه السنين الاثنتي عشرة طار صيته بالانتهازية والخداع ولقّب "أمير المواربة"، وقد تلبسته هذه الصفات ردحاً من الزمن. وذكر رنيه بليفن الذي رأس الحكومة الفرنسية مرتين: "كان ميتران رجلا لا تود أن تصحبه وحدك في رحلة لصيد السباع." وكان بليفن يتحدث عن دراية، فهو من أهل البيت ويعرف ميتران حق المعرفة. وفي العام ١٩٥٣ أزاحه ميتران بلباقة وحل محله زعيماً في حزب الوسط.

مرشح اليسار. عام ١٩٥٨ تفككت الجمهورية الرابعة وتسلم ديغول زمام السلطة. فأمضى ميتران ٢٣ سنة منغصة بعيداً من مراكز القرار السياسي. ودأب ككاتب ونائب على التشهير بديغول الطاغية وبالجمهورية الخامسة التي أوجدها، ونعتها بـ"الانقلاب المستمر". لكن كثيرين اعتبروه رجلا أفل نجمه.

فرنسوا ميتران في مايو (أيار) ١٩٨٨.

اثناء فترة الاختبار هذه أصبح ميتران، بقامته القصيرة ولونه الممتقع، مشهداً مألوفاً في الحي اللاتيني بباريس. كان يمشي الى عمله في الجمعية الوطنية (البرلمان) ومجلس الشيوخ منطلقاً من مسكنه قرب حدائق اللوكسمبور حيث يقطن وزوجته دانييل وابنيه. واذ كان يجوس المكتبات ومعارض الفنون متلفعاً بمعطف وقبعة ووشاح أيام البرد، كنت تحسبه مثقفاً من أهل اليسار. لكنه كان مختلفاً، اذ كان يعدّ للعودة الى السلطة.

وهو قال تكراراً: "في الملمات أشعر بالراحة." ولا شك في أن من ازدراه عند سقوطه يدرك مرونته تلك. وتذكر كاترين ناي مؤلفة كتابين من أفضل ما كتب عن ميتران: "انه لا يُغرق. فقوة شخصيته هائلة. وحيث يقتل الرجال ينجو هو."

وإن كان من مستقبل له في السياسة تلك الايام ففي كونه لسان حال المناهضين لديغول. وبما ان السلطة كانت محافظة فلا مناص من أن تكون معارضته يسارية. ولتكن كذلك. اندفع الى

العمل باتصالاته معيداً تنظيم منتديات الحوار ومراكز الابحاث في اليسار غير الشيوعي، مجتازاً أرجاء فرنسا غادياً رائحاً في جدل واقناع وتوسيع بطيء لشبكة أنصاره.

وقد كوفىء عزمه عام ١٩٦٥ حين رشحه اليسار للرئاسة ضد ديغول الذي كان يومذاك في أوج سلطانه. وأمام ذهول الخبراء حمل ميتران الجنرال قسراً على خوض معركة انتخابية ونال ٤٥ في المئة من أصوات الناخبين. وجعله التلفاز الفرنسي شخصية وطنية معروفة.

ها قد تحول النجم الآفل نجماً صاعداً.

وعام ١٩٧١ آتى عمله الدؤوب ثماراً اذ تمكن من دمج مجموعات معارضة غير شيوعية في حزب اشتراكي جديد وانتخب اميناً أول له. وشرع للمرة الأولى في حياته يتحدث كرجل من أهل اليسار.

أصار ميتران اشتراكياً حقاً؟

يشعر معظم المراقبين في محاولة لتعريف مذهبه السياسي ان ولاءه يُختزل الى قناعة مفادها ان في وسعه أن يقود فرنسا أفضل من أي شخص آخر، وأن هذا هو قدره. يقول جيل مارتينيه وهو زعيم أشتراكي سابق: "انه لا يولي القضايا الجوهرية أهمية كبرى. فهو ذرائعي كيِّس حسن الحيلة." أما كاترين ناي فترى أن اشتراكيته ما هي سوى أسلوب للوصول الى السلطة.

وظيفة العمر. في ١٩٧٢ أقحم ميتران الاشتراكيين في خطة بارعة للفوز بالرئاسة تستند الى تحالف انتخابي مع الحزب الشيوعي. وهو لم يكن يثق بالشيوعيين، وقد كتب عام ١٩٥٨ أنه "سيناضل من دون هوادة ليكفي فرنسا فظائع الاستبداد." لكن في حوزة الحزب الشيوعي أكثر من ٢٠ في المئة من الاصوات، ولا يمكن أي مرشح يساري أن يفوز من دونها.

ومع أن ميتران خسر انتخابات ١٩٧٤ بفارق ضئيل الا أن ذلك الاتفاق مع الشيوعيين آتى ثماره بعد سبع سنوات. آنذاك بدا ميتران أكثر طمأنينة ومرشحاً ناضجاً لـ"القوة الصامتة" بعيداً من هياجه في سنواته الأولى. وقد يمم شطر النصر عام ١٩٨١ متقدماً على فاليري جيسكار ديستان. وفي سن يتقاعد عندها الرجال، حصل فرنسوا ميتران أخيراً على الوظيفة التي سعى اليها عمره.

أمضى سنة والوزراء الشيوعيون والعقائديون الاشتراكيون من جماعته يرصدون تصرفاته. فعمد الى تطبيق منهاجهم السياسي اليساري. لكن هذا المنهاج، طبقاً لما توقعه النقاد، مني بالاخفاق. وفي ربيع ١٩٨٢ نبذ ميتران التزمُّت العقائدي وتحوَّل من التبذير الى التقشف.

ومني الحزب الشيوعي بالضربة الكبرى. فقد بدا جلياً أن ميتران اذ أدخل الشيوعيين الى حكومته لم يخمد النقد اليساري فحسب، بل ألقى عليهم عبء التقشف والبطالة. ولدى خروج الحزب الشيوعي من الحكومة عام ١٩٨٤ كان الضرر قد حصل. وتقلصت قوة ذاك الحزب في الانتخابات النيابية عام ١٩٨٦ الى أقل من عشرة في المئة من الاصوات، وهو تطور لافت في السياسة الفرنسية.

وباستبعاد الشيوعيين كقوة رئيسة نجح ميتران للمرة الاولى في التاريخ الفرنسي في تحويل اليسار، ممثلا باشتراكييه، حزباً حاكماً معتدلا يحظى بالاحترام.

على رغم حياة ميتران الموارة بالعمل النشط فانه في صحة ممتازة. وما زال يجد وقتاً للاسترخاء. وهو يجيد رياضة الغولف ويمارسها مرة كل أسبوع. ويتبع نظام حمية لكنه يستمتع بطقوس المائدة كأي فرنسي. وقد تضم موائد الغداء في قصر الاليزيه نحو اثني عشر شخصاً، وهم أخلاط من الساسة والرسامين والمؤلفين والعلماء والبحاثة والموسيقيين والمسرحيين، اذ ان ميتران يرغب في معرفة ما يجري خارج دنيا السياسة.

بين رجالات التاريخ. يرمي ميتران اليوم الى طبع بصماته على التاريخ. وقد حفزته حماسته الدائمة لفكرة أوروبا الى المساهمة شخصياً في صوغ عدة جوانب من "القانون الموحد" لاوروبا وتأسيس سوق أوروبية بلا حدود تخرج الى حيز الوجود في نهاية السنة ١٩٩٢. انه مفاوض مؤثر، يستخدم مزيجاً من الفتنة والحجة المقنعة لحض الجماعة الاوروبية على سلوك درب التكامل، على رغم معارضة بعض زملائه كرئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر. وقد أعرب ديبلوماسي محنك عن رأيه في ذلك: "يبذل ميتران وسعه ليحمل السيدة تاتشر على الموافقة، ولكن من دون جدوى. انه ينظر الى الصورة بأبعادها الشمولية، فيما تكاد هي تفقده صوابه باستفسارات عن تفاصيل لا يملك جواباً عنها." وميتران ذو صلات وثيقة بالمستشار الالماني الغربي هيلموت كول.

أما في شؤون الدفاع فميتران نصير دائم للنزع المتوازن للسلاح، وهو أبقى فرنسا مرتبطة بحلف الأطلسي. وقد وقع أكبر خلاف بينه وبين الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ حين أمر الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن بشن غارة على ليبيا. وقد أذنت له بريطانيا باستعمال قواعدها الجوية للطائرات المقاتلة من طراز "ف - ١١١"، لكن فرنسا رفضت السماح لتلك الطائرات بعبور مجالها الجوي مما أفضى الى تعقيد المهمة. لكن ميتران، استناداً الى ديبلوماسي أمريكي واقف على حقائق الأمور، "لم يكن قط مناهضاً لأمريكا، خلافاً لسواه من السياسيين الفرنسيين. وقد ظهر أنه أسلس الرؤساء الفرنسيين معاملة."

خلال توليه الرئاسة مدة ثماني سنوات سافر بمقدار ضعفي أسفار اسلافه. وهو ذو معرفة بالعالم العربي. كما جاب كلا من قارتي آسيا وافريقيا. وهو معني بمصير "العالم الثالث"، وقد اقترح الغاء ذلك الكم الهائل من الديون التي ترزح الدول النامية تحتها.

لكن اهتمامه بالشجون الدولية لم يذهب بلمسته الحاذقة في السياسة المحلية. ففي اثر استعادة المعارضة الاكثرية البرلمانية عام ١٩٨٦ ناور بدهاء زهاء سنتين معايشاً رئيس الوزراء المحافظ جاك شيراك. وفي ربيع ١٩٨٨ اذ أزفت الانتخابات الرئاسية وملأ منافسوه وسائط الاعلام صخباً ولجاجة، اقتعد ميتران مكتبه وأخذ يسطر الكلمات، مالئاً

صفحة تلو أخرى ملاعباً قلمه العتيق بخطه الظريف وعباراته المنمقة.

وبمرور الاسابيع مزّق اعداؤه بعضهم بعضاً وبقي ميتران بمنأى عن الشجار. ولدى طبع "رسالة الى جميع الفرنسيين" في ٤٧ صفحة، جاءت هذه عرضاً بارعاً لبرنامجه الرئاسي، مشتملا على تحديث اقتصاد فرنسا وبناء أوروبا ونزع السلاح وقضايا الامن وتطوير العالم الثالث.

وكانت الرسالة أيضاً مناورة سياسية لامعة. واذ واكبتها حملة انتخابية منظمة شُنَّت في الدقائق الأخيرة، مكنته من التميز على اسلافه بأن غدا أول رئيس للجمهورية الخامسة يعاد انتخابه.

أما اليوم، والاشتراكيون يقاربون الغالبية في مجلس النواب والرأي العام يؤازر ميتران الى حد بعيد وأمامه عهد رئاسي كامل يمضيه، فهو في موقع يؤثر في مسار التاريخ. وما أوصله الى مركزه ذاك اصرار ملحاح واتقان محكم لصنعته. وهو قال مرة لنائب في أول نشأته: "لعلك تحسب السياسة تصارُع أفكار. أنت مخطىء يا فتى، السياسة حرفة."

رودولف شلمنسكي ■

كلب بوليسي

على أثر سماع جرس الانذار في أحد المخازن الكبرى، هرعت مع رفيقي الشرطيين الى مكان الحادث. هناك وجدنا نافذة خلفية مكسورة. وإذ رأينا ان التفتيش اللازم سيستغرق الليل كله، استدعينا وحدة الكلاب البوليسية لمساندتنا. وسرعان ما وصل شرطي مع كلبه وقاده الى النافذة المكسورة مشيراً عليه بالدخول للتفتيش. لكن الكلب لم يستجب للأمر وقعد هناك. فطلب منا الشرطي أن نصفق، ففعلنا. ثم كررّ الامر، فقفز الكلب من النافذة. التفت زميلنا الشرطي نحونا مبتسماً وقال: "لقد أدى عروضاً كثيرة أمام الاولاد في المدارس، لذلك يتوقع التصفيق."

ن.و.ك.

لا سكينة!

عمتي أم لولدين شقيّين. اتصلت بها ذات صباح، لكن حديثنا قوطع باستمرار بسبب الجلبة التي أحدثها الولدان. أخيراً طلبت مني عمتي الانتظار قليلًا على الخط. وما هي الا ثوان حتى شعرت بسكينة تامة، فكلمتني: "ها أنا من جديد." فقلت لها متعجّبة: "لكن السكينة تعم المكان، يبدو أنك تحكمين السيطرة على هذين الشقيين."

فاعترفت عمتي والعياء باد في صوتها: "لا، لا، أنا في الخزانة."

س.ب.

الحماسة والتفاؤل هما قدما الحياة.

ف.م.

دعوا الأزمات تجوهر زواجكم

بعض الازواج يخرجون من الازمات وهم أقوى وغيرهم ينهار تحت وطأة الضغوط

قبل أعوام دمّر إعصار منزل جون واليزابيث. كان رد فعل جون تعاطي الكحول والاستسلام، اما اليزابيث فأصيبت بالرهاب من العواصف وأخذت تلوم جون لغيابه عندما تكون في حاجة اليه. ولم تمض سنة حتى تطلّقا.

في الوقت نفسه شاهد روبرت وآمي منزلهما يحترق وينهار، ثم أمضيا خمسة أشهر مضنية في غرفة في فندق مع أطفالهما الثلاثة. واليوم زواجهما أقوى من أي وقت مضى.

ما الذي سبب هذا الفرق؟

على رغم ان الناس يتزوجون للسراء والضراء فإن "الضراء" وحدها تشكل اختباراً للعلاقة. فالاوقات الصعبة قد تجعل الزوج والزوجة أكثر قرباً من أي وقت مضى، أو تفسخ العلاقة بينهما. فتنبهوا أيها الازواج! في أوقات الشدة يسهل تقويض الزواج وتعريض منبع القوة هذا للخطر.

تجنبوا توجيه الاتهام. عندما يحدث خطب ما يتطلع معظمنا صوب أحد لتحميله المسؤولية. والاحتمال الاكبر هو أن يكون الزوج أو الزوجة أول من يقع عليه النظر. يلاحظ المستشار في أمور الزواج نورمان بول: "عندما تتزوج يصبح لديك كبش فداء جاهز في كل لحظة." ويضيف الطبيب النفساني فرنك بيتمان: "ليس من مجال لأن يفوز أحد الزوجين ضد الآخر فإما أن يفوزا كلاهما واما ان يخسرا."

غالباً يرتاح الازواج الى التفكير في أن المشكلة هي أمر خارج علاقتهما. ويوافق كثير من الخبراء على انه عندما يعاني أحد الزوجين مرضاً خطيراً يكون من الافضل أن يواجها المرض على أنه طرف ثالث يمكن التضامن للقضاء عليه. يقول الاختصاصي بالشؤون العائلية وليم دوهرتي: "عوض أن يقول الزوج المريض "ورمي السرطاني" يتحدث الزوجان عن "السرطان". عندئذ يشعران بأنهما

© 1988 BY CAROLYN JABS. CONDENSED FROM MCCALL'S (APRIL '88), NEW YORK, N.Y.

متحدان ضد عدو مشترك." فالتضامن من أجل غرض مشترك هو من فضلى الوسائل للابقاء على الزواج متيناً خلال أزمة ما."

وعندما يحمل أحد الزوجين حصة أكبر من المسؤولية تجاه مشكلة ما، على الزوجين أن يقرّا بذلك العبء. يقول بيتمان: "في الازمات لا يحتاج احد الزوجين الى من يهلل له. نحن نشعر بالقرب ليس من الذين يقولون لنا باستمرار اننا رائعون بل من أولئك الذين يعرفون أطباعنا البشرية ويحبوننا كيفما كنا." في الاوقات العصيبة يكون ذلك الشعور بأننا محبوبون على رغم أخطائنا هو العامل الحاسم المنقذ.

عبروا عن أنفسكم. يقول دوهرتي: "عندما لا يعبر الازواج عما يشعرون به فكأنما ثمة فيل في الغرفة يتحاشى الجميع ذكره." لكن المشاركة لا تكون بالإكراه. وكثيراً ما تدفع ورطة الازواج الى هوة غير عادية، فتتوهم الزوجة ان زوجها لا يملك أي شعور لأنه لا يعبر عن مشاعره، ويعتقد هو أنها مفرطة في عاطفتها لأنها لا تتحدث عن أي شيء آخر.

قبل أن يمارس احد الزوجين ضغطاً على الآخر ليعبر عن مشاعره - وبدل أن يفسر السكوت على أنه لامبالاة - عليه أن يتذكر ان الكلام مؤلم في بعض الاحيان. في حالات كهذه ينصح الازواج بمخالطة مجموعات من الناس الذين خضعوا لتجارب مشابهة في الماضي. ثمة رجل اغتصبت زوجته فما كان منه الا أن قاطعها وابتعد عنها غاضباً. وبعدما انضم الى مجموعة من الرجال الذين تعرضت زوجاتهم للاغتصاب بدأ يفهم أن رد فعله كان دفاعاً ضد شعوره بالعجز. وعندئذ تمكن من مشاركة زوجته في مشاعره.

غالباً ما تكون لغة الجسد أبلغ من الكلام. بعدما أسقطت احدى النساء جنينها ظل زوجها يتجنب محادثتها في الموضوع، ولكن عندما ضمها أخيراً شعرت بالعطف الذي كانت الكلمات عاجزة عن التعبير عنه.

تقبلوا الفوارق. عندما يتوصل الازواج والزوجات الى التحدث بعضهم مع بعض، قد يصدمون عندما يلاحظون الاختلاف في طريقة رؤيتهم الامور. فالحدث نفسه قد يغضب أحد الاشخاص ويحزن آخر ويخيف شخصاً ثالثاً ويؤذي رابعاً.

وقد يبدو رد الفعل المختلف غير ملائم للشريك. أمضت احدى النساء عدة أسابيع في المستشفى ترعى طفلها المريض، فشعرت بالابتعاد عن زوجها. تقول: "كان يمارس أعماله كالمعتاد بينما كنت أنا محطمة أفكر في امكان خسارتنا طفلنا." في حالات كهذه من الضروري ان يتحدث المرء عن أفكاره وأن يعطي شريكه عذراً يبرئه. اكتشفت المرأة أن زوجها رأى من واجبه أن يبقي الامور طبيعية لأن زوجته كانت مضطربة جداً. وما اعتقدته لا مبالاة كان في الحقيقة أسلوبه في اظهار مساندته.

كونوا مرنين. ان تنبه المرء لوجهة نظر شريكه قد يسهل التعاطي مع المتغيرات التي تفرضها حال طارئة، مثل اعادة

توزيع المسؤوليات اليومية. الجزء الاصعب هو التفكير في هذه المهمات الجديدة كتحديات لا كأعباء.

أصيبت سيدة بالسرطان فأصبحت عاجزة عن الخروج من المنزل، مما اضطر زوجها الى تولي مهمة التبضع من السوق. وبدل أن يشعر بالانزعاج شعر بالاكتفاء من جراء القيام بخدمة ضرورية، وبالتقدير للخدمات التي كانت زوجته تؤديها.

وتمتد المرونة أيضاً الى العواطف. من السهل جداً على الازواج أن يصبحوا صارمين في أدوارهم العاطفية: هو يتذمر دائماً، وهي دائماً رزينة. ان نماذج كهذه قد تكون مدمرة في الازمات. في احدى العائلات التي تعرض ابنها المراهق للاعتقال كان الوالدان على طرفي نقيض: الأب هو المؤدِّب والام هي المؤاسية. يقول العالم النفساني سكوت فريزر: "بدل أن يتعاضد الابوان اتخذا مواقف معاكسة. ولم يكن أي منهما راضياً، فالأم لم تكنِ تحظى باحترام ابنها والاب لم يحظَ بحبه."

يحتاج الشريكان الى الحرية للتعبير عن مجموعة كبيرة من العواطف، وقد يجدان أنهما يقايضان المواقف ووجهات النظر: ذات يوم يشكو الرجل من الظلم الذي لحقه بسبب اقفال المصنع الذي يعمل فيه، فتعمد الزوجة الى مؤاساته وتشجيعه. وفي الغد قد تكون الزوجة قلقة من أزمة مالية فيعمد الرجل الى طمأنتها. الامر المهم هو أنه، مع الوقت، يكون كل منهما هو المواسَى وهو المواسِي في آن.

كونوا لطفاء مع أزواجكم. في النهاية يعلن الازواج الذين تحملوا الاوقات العصيبة حبهم لبعضهم بعضاً. يقول المستشار في أمور الزواج تشارلز فيغلي: "هذا أسوأ وقت للافتراض أن الآخر يدرك شعورك." وهو يرى أن الشركاء في الزيجات السعيدة يعبرون عن مشاعرهم الايجابية في الظروف الصعبة اكثر مما في الظروف العادية.

وفي حين يشدد هؤلاء الشركاء على مشاعرهم الايجابية، يقللون من شأن مشاعرهم السلبية أيضاً. يقول دوهرتي: "على الازواج أن يدركوا أن المشكلة ليست فيهم بل في الوضع." وعلى رغم أن العراك قد يؤدي الى إلهاء موقت عن المشكلة الحقيقية، فانه يتلف الوداد.

من الواضح أنه لا ينبغي انتظار الوقوع في ورطة لكي نبدأ تطبيق هذه "المهارات". ففي الاوقات السعيدة يغني التسامح والانفتاح والرضى والمرونة واللطف العلاقة الزوجية. وفي الاوقات العصيبة تبقي هذه الصفات الزواج قوياً، تماماً عندما يكون الزوجان في أمس الحاجة الى ذلك.

كارولين جابس ■

خير الامور...

قالت فتاة لصديقتها: "لو أمكنني مزج مزاياهما لكنت أسعد نساء الأرض. رائد غني ووسيم وذكي. وحاتم يريد أن يتزوجني."

ف.و.

حُمّى الذهبُ في المحيطُ الهَادئ

الاسعار المرتفعة واشتداد الطلب على المعدن الثمين تحول آسيا مقصداً للمعدّنين الشرعيين وغير الشرعيين

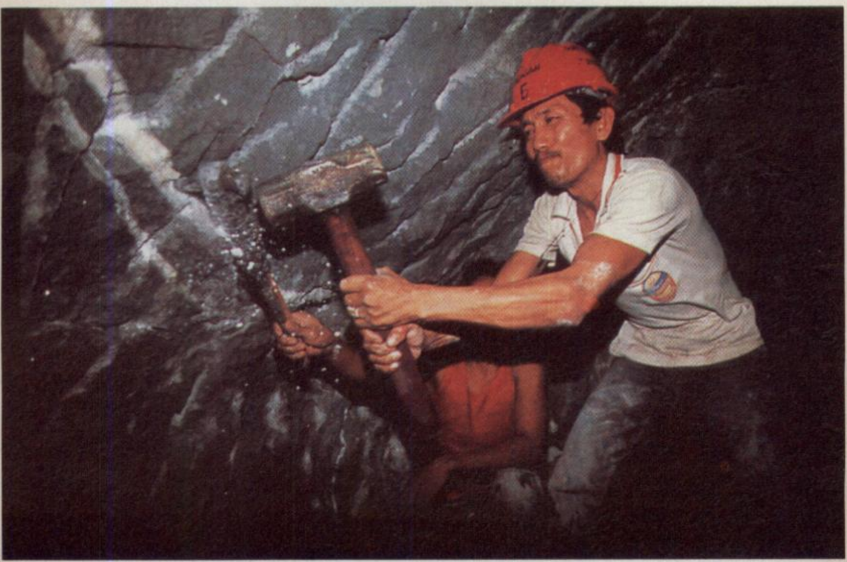

المخاطرة: شق نفق قرب ديولوال في الفيلبين.

إنها السابعة صباحاً وأشعة الشمس الحارة تنصبّ على الغابة السومطرية. في هذه الاثناء يتسلق مئات الاندونيسيين عربات سكة الحديد التي ستحملهم عبر متاهة من الأنفاق المائية والفتحات المظلمة. يشق الرجال طريقهم عبر جداول تحت الارض وينزلون على سلالم.

وفي دقائق يتصببون عرقاً. وترجّع الممرات صدى هدير آلات الحفر الذي يصمّ الآذان. عمال المنجم يئنون وهم يقذفون كتل الصخور في صناديق. الكلام هناك مستحيل، لكن العمال يبتسمون ويحيون بهز رؤوسهم. إنهم المحظوظون لأنهم سافروا من الجزر البعيدة للعمل في

CONDENSED FROM NEWSWEEK INTERNATIONAL (AUG. 15, '88), © 1988 BY NEWSWEEK INC., NEW YORK., N.Y.
PHOTO: PATRICK AVENTURIER / GAMMA LIAISON

ليبونغ تانداي حيث ينقبون عن الذهب من أجل بضعة دولارات يومياً.

عبر الممرات يأتي جيري سميث من شركة "ب. ت. لوزانغ للتعدين" ويصرخ محيياً عماله بلغتهم الوطنية. يتحلق هؤلاء حول مدير المنجم البريطاني الذي يشير باصبعه الى الوجه الصخري المتقطر. ثمة ترسبات ضاربة الى البياض ناتئة من الصخر الرمادي المخضرّ، انها تحتوي على الذهب "الحراري" (★) المختزن في عرق معدني غني يبلغ عرضه مترين وطوله أربعة كيلومترات. يقول سميث: "نملك احتياطاً أكيداً لثلاث سنوات أخرى من التعدين، وقد نجد المزيد."

في وضعه الحالي ينتج المنجم قرابة طن من الذهب سنوياً، تبلغ قيمته نحو ١١،٥ مليون دولار بحسب السعر العالمي الحالي أي ٣٦٠ دولاراً للاونصة الواحدة. وبتكاليف انتاج تربو قليلا على نصف هذا المبلغ، فان هدف شركته هو استخراج الذهب بأقصى درجة ممكنة من التوفير والفاعلية.

قوى عظمى. حمّى الذهب تفشت من جديد. فخلال السنوات القليلة الماضية توغلت جمهرة من الشركات المتعددة الجنسية والقادمين الجدد المتحمسين في مجاهل مناطق منعزلة من آسيا وجزر المحيط الهادىء بغية سبر مكتشفات جديدة واعادة تأهيل المكتشفات السابقة. وفي اثر هؤلاء سار منقبون محليون، مشيدين مدن أكواخ وداعمين "سوقاً سوداء" للمعدن الثمين. وفي وقت انتشر التنقيب عن الذهب ليعم العالم، ركزت الشركات العالمية على بلدان المحيط الهادىء، وذلك يعود خصوصاً الى رخص اليد العاملة وتعاون الحكومات والاستقرار السياسي النسبي. وتبقى دولة جنوب افريقيا والاتحاد السوفييتي في طليعة المنتجين. لكن الانتاج في الشرق الاقصى يزداد بسرعة قد تجعله يؤمن أكثر من خمس الانتاج العالمي مع بداية السنة ١٩٩٠.

وهناك تقنيات جديدة لاستخراج المعادن حفزت ايضاً نهضة الذهب في أوستراليا، حيث تم افتتاح ٤٩ منجماً كبيراً على الاقل في العام ١٩٨٧. وفي أمكنة اخرى أدت اكتشافات الذهب الحراري الذي يُرفع من الاعماق بفعل البراكين الى اغراء شركات التنقيب وجذبها الى الجزر الغنية بالبراكين من اندونيسيا الى جنوب المحيط الهادىء فالى نيوزيلندة.

وفورة الذهب الحديثة هذه ألهبتها أسعار الذهب المرتفعة باطراد والتي أثبتت مرونتها في التكيف خلال العقد. وساهمت في هذه النهضة عوامل اقتصادية أخرى. فعندما هبطت أسعار النفط فجأة في مستهل الثمانينات سعت اندونيسيا الى تعزيز مداخيلها غير النفطية، فعدلت قوانينها المتعلقة بالتعدين لتصبح أكثر تسامحاً من اجل اجتذاب المستثمرين الاجانب. وحتى الصين الاشتراكية المتعطشة الى العملات الاجنبية لحقت بالركب وشجعت على استخراج الذهب المحلي. وقد أعلن

(★) «Epithermal» gold

قرويون ينخلون الرمل على سفح جبل في زاويوان باقليم شاندونغ في الصين.

بيه ميكينغ نائب الامين العام لمجلس الدولة الصيني: "تأمل الصين أن تصبح احدى القوى الذهبية العظمى في العالم."

ذهب وفساد. لطالما اجتذب الذهب ذوي الطموح وطالبي الثروة. ويستطيع المنقب في مقاطعة شاندونغ الصينية الغنية بالمعادن أن يحصّل راتباً شهرياً يصل الى ٨٠ دولاراً، أي ضعفي متوسط دخل العامل العادي. وفي الفيلبين أدى الفقر الى تشييد مدن "سريعة" يسودها التمرد على القانون وتسكنها الامراض وتكثر فيها الحوادث المأسوية.

الذهب والفساد يسيران جنباً الى جنب. مقادير ضخمة تهرّب من اندونيسيا الى اماكن مثل الهند والنيبال حيث يحظّر استيراد الذهب لمنع نزف العملة الصعبة. وفي صيف ١٩٨٨ أعلن شانتيلال سوناوالا رئيس "رابطة السبائك الذهبية" في بومباي، أن الطلب المتنامي رفع أسعار الذهب المحلية بنسبة ٤٠ في المئة فوق السعر العالمي.

لم يتأتَّ عن عوامل مثل هذه سوى تشجيع التعدين غير الشرعي. في الماضي كانت السلطات تصرف النظر عن المنقبين المحليين الذين يعملون على نطاق ضيق ويستعملون المقالي والمعاول والمناخل. لكن اشتداد الطلب رفع الاسعار وصار المعدنون المحليون ينقلون الجرارات عبر الانهار في الغابات وينشئون المصافي غير الشرعية ويستأجرون الحراس المسلحين لحماية الارض التي ينقبون فيها، ومعظمها في مناطق يعود الامتياز فيها الى شركات اجنبية. والحكومات عاجزة عن تحصيل نصيبها العادل من المداخيل الضريبية من هذه المناجم غير المشروعة، بل ان

الشركات المشروعة تشكو أيضاً من أن المنقبين غير الشرعيين قد يفسدون مواقع واعدة من خلال ازالة العِرْق الأعلى من مصدر غني جداً، مما يجعل استخراج المعدن من الاعماق عملية غير مربحة على الاطلاق.

مدن أكواخ. بعض أشد أعمال التنقيب زخماً يجرى في اندونيسيا، التي ظلت الى شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ تحظّر تصدير الذهب وتمنع الاجانب من التنقيب. منذ ذلك الوقت وقّعت شركات اجنبية - معظمها أوسترالية - أكثر من مئة عقد لاكتشاف مواقع واعدة وتطويرها. وبسبب عدم وجود مناجم منتجة قبل ذلك الحين، كانت البلاد أرضاً بكراً في الواقع. يقول مارك ميلر رئيس الشركة المتحدة "ب. ت. إندو سورو كنكانا": "حين يكون سعر أونصة الذهب ٣٦٠ دولاراً، يكون الناس مستعدين للذهاب الى أماكن نائية جداً."

ولكن وباء التنقيب غير المشروع يهدد جو التآلف في اندونيسيا، وربما ازدهارها أيضاً. والمشكلة تتغذى بعدم الاتصال بين البيروقراطيات الحكومية المحلية والمركزية، الى جانب معضلة ضبط الجماعات المترحلة غير المشروعة. ويشاع أن عدداً من المصافي غير المشروعة تمولها نقابات نافذة تدفع أجور العمال بطريقة التسليف لابقائهم مدينين على الدوام، بحسب إيفان ساراسيك وهو مستشار سابق في ليبونغ تانداي. ويقدر المدير العام لشؤون التعدين في اندونيسيا سوتاريو سيغيث، أن البلاد تنتج ١٥،٥ طناً من الذهب سنوياً تباع في السوق السوداء، في وقت بلغ الانتاج من المصادر الرسمية المشروعة في العام ١٩٨٧ نحو ٤،٩٥ أطنان فقط، والخسارات ليست مالية فحسب. فمدن الاكواخ المتداعية التي نمت على أراض مؤجرة أو مبيعة أو ممنوحة الى منقبين تفتقر الى الشروط الصحية المطلوبة وتعوق أحياناً مشاريع شركات التنقيب المرخص لها. وأسوأ من ذلك ان كثيراً من مداخل المناجم غير المشروعة هي غير سليمة.

لسان منهك. كل ذلك أعطى قرية ليبونغ تانداي "شخصية" منفصمة. فثلث سكانها البالغ عددهم ١٨٤٤ يعملون لشركة "لوزانغ"، ويعيش الباقون من صناعة الذهب غير المشروعة المنطلقة بسرعة واهتياج. الكل يعترف بأن التنقيب غير المرخص له غير شرعي، ولكن لم تبدأ الحكومة تطبيق بعض الضوابط الا مؤخراً.

لكن ليبونغ تانداي، في عالميها الاثنين، تعيش من أجل الذهب. الجوهريون المتجولون يبيعون السلاسل الذهبية اللامعة ذات الاربعة والعشرين قيراطاً، والخواتم الضخمة المصنوعة من الكتل الذهبية المهرّبة. وتتزين فتيات القرية الصغيرات بالاقراط الذهبية، وتضع طفلة لا تتجاوز الاحد عشر سواراً ذهبياً صغيراً في معصمها. يقول ايفان ساراسيك شارحاً الامر: "الذهب هنا يرمز الى منزلة المرء. وكل من يملك المال يريد شراءه."

حتى بالنسبة الى من يجدون عملا مشروعاً، فان الحياة في ظل ازدهار الذهب ليست آمنة كلياً. فأكثر الناس امانة قد لا يصمدون أمام اغراء الرشاوى من معدنين غير شرعيين لتمويه حمولة من المعدن الخام أو لافساح طريق الى المناطق الوافرة الانتاج. أما "الاوغاد" غير المتعاونين فيطردون من العمل. والموظفون قلقون أيضاً، فهم يخافون أن يتوقف أرباب العمل الاجانب عن عمليات التنقيب عندما تصبح غير مربحة بوجود منقبين غير شرعيين يعملون في محاذاتهم.

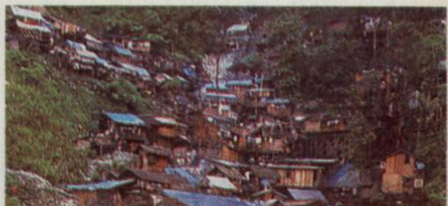

الحياة المأسوية لمنجّمي الذهب الفيليبينيين تتجلى في أحلك مظاهرها في مدينة الاكواخ ديولوال بمقاطعة دافاو دل نورتي.

بالمقارنة مع غيرها من المدن الآسيوية المزدهرة، تتصف ليبونغ تانداي بالرزانة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وخصوصاً من ناحية الاخلاق الشخصية.

في المقابل، حدثت فصول عنف في مناطق الذهب في الفيلبين، حيث اكتشفت ترسبات ذهب حراري أيضاً. وأسوأ مدن الاكواخ سمعة هي ديولوال القريبة من مدينة دافاو الجنوبية. مئة الف فيلبيني يحفرون هناك ويغسلون التراب والحصى. بحثاً عن الذهب منذ العام ١٩٨٢. وكانت المدينة تشهد خمس عمليات اطلاق نار أو طعن كل أسبوع فيما تسابق المعدنون لتعيين حدود الاراضي التي ادعوا حق التنقيب فيها. وليست المسدسات والقتلة المأجورون كل ما يتعين على طالبي الثروة مواجهته هناك. فقبل بضع سنوات قتل نحو ٣٠٠ شخص عندما تسبب المطر الهتون في انهيال كبير جرف الاكواخ الموقتة. وعلى رغم ذلك لا يزال الشباب الطموحون يتوافدون الى ديولوال، ومعنى اسمها الحرفي "لسان يتدلى من الانهاك."

تخمة في الذهب؟ قد تكون حمى الذهب في الصين أفضل ضبطاً، لكنها تشكل تحدياً للنظام في البلاد. فقد سمحت الحكومة للافراد بالتنقيب عن الذهب عام ١٩٧٨. وبعد أربع سنوات رفعت حظراً على مبيعات الحلى الذهبية. ومنذ ذلك الحين هب نحو ٤٠٠ الف شخص يحملون معاول ومقالي لفصل الذهب، فازدهر التعدين بالاسلوب الذي كان متبعاً في القرن التاسع عشر في شمال

شرق الصين وفي شاندونغ الساحلية وفي مقاطعة غوانغدونغ الجنوبية.

وتحتاج بكين الى المعدّنين المستقلين، فهم يساهمون في نحو نصف انتاج الصين من الذهب سنوياً الذي يراوح بين ٥٠ و٦٥ طناً. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٨ أعادت الحكومة تطبيق خطط طموحة لزيادة انتاج الذهب كوسيلة لدعم احتياطها من العملات الاجنبية. ويقول بيه ميكينغ: "نهدف الى مضاعفة انتاجنا بحلول السنة ١٩٩٣."

وثمة فورة ذهب من نوع مختلف جداً ماضية في اوستراليا. ان خفض قيمة العملة والتقدم التكنولوجي السريع اجتمعا ليجعلا من معالجة الترسبات الذهبية الدونية خطوة اقتصادية. وأحد الابتكارات الاكثر أهمية هو التعدين بطريقة "الحفرة المفتوحة" حيث تستعمل الآلات الثقيلة لنقل كميات كبيرة من المعدن الخام ومعالجتها. يقول ك.ج. فيرغسون الذي عمل في اندونيسيا لمدة خمس عشرة سنة: "في العام ١٩٧٨ لم يكن أحد ينظر الى موقع ينتج غراماً من الذهب في الطن، واليوم يركضون وراء هذا الغرام في اوستراليا."

مع ارتفاع فاعلية الانتاج وتطلع عدة دول الى انتاج الكثير، يبرز السؤال: هل يسير العالم الى تخمة في الذهب؟ ربما لا. ويرى مارك ميلر أن احدى الخصائص السحرية للذهب هي أن الوفرة الزائدة تتسرب بسرعة من غير أن تهبط الاسعار على المدى الطويل. وهذه الاسعار تتأثر بمعدلات التضخم وقوة الدولار واغراق السوق بالذهب. ولكن حتى في هذه الحال، قد تهبط أسعار الذهب الى حدود الاربعين في المئة وتظل تسمح بفتح بعض المناجم في منطقة المحيط الهادىء.

في هذه الاثناء يزداد الطلب من اليابان وتايوان وبلدان اخرى. فاندفاع اليابان في قوتها الشرائية أبقاها لسنتين متواليتين اكبر شارٍ للذهب في العالم عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧. وفي العام ١٩٨٨ أزاحتها تايوان التي بلغ مجمل وارداتها الرسمية ٣٥١ طناً. وعلى رغم التعقيدات المالية المتنامية في آسيا فإن سكانها لم يفقدوا التصاقهم العاطفي بالذهب، سواء أكان ذلك للمنزلة الاجتماعية أم لمعتقدات خرافية أم للطمأنينة المادية. وما دام الطلب مستمراً فلن يتوقف البحث الدؤوب عن المعدن الاثمن بين كل المعادن.

مليندا ليو ■

كلب ودليل

كنت اجتاز الطرق الضيقة لاحدى القرى على دراجتي الهوائية. وتوقفت أمام محل تجاري لاسأل عن وجهة السير. فقال لي صاحبه الكهل: "تابع سيرك ستة كيلومترات ترَ منزل الريِّس نصري الابيض الى اليسار. والطريق التي تطلبها تذهب الى اليمين." ثمَّ أضاف: "سيساعدك كلب الريِّس على اختيار الطريق الصحيحة."

ف.أ.

مُونكي مَيا
مَوطِنُ الدلافينِ

ينبلج الفجر فوق مونكي ميا (١) وهو شاطىء صغير في أقصى ساحل أوستراليا الغربي. أمواج خفيفة تزبد على ساقيّ العاريتين وأنا أراقب الأفق المشرق. جمهرة من الناس تشاركني في الترقب، وقد اجتذبتها من أصقاع الأرض أقاصيص غريبة عن دلافين وحشية سمعنا أنها اختارت هذا المكان لتمرح مع الناس. من هؤلاء فنانة يابانية في رحلتها الأولى الى الخارج وزوجان متقاعدان من بريطانيا وأربعة أصدقاء يافعون من بريسببين (كاليفورنيا) ورجل أعمال من شيكاغو وطبيب من استوكهولم.

ويصرخ أحدهم فجأة: "هناك! هناك!" وعلى بعد نحو مئة متر داخل البحر تظهر خمس زعانف ظهريَّة وهي تشق متزامنة سطح الماء، وتتراءى أشكال قاتمة تندفق متقوسة بلباقة كاشفة وجوهاً طويلة ذات مناقير. إنها الدلافين!

(١) Monkey Mia

أتريد مداعبة دلافين وحشيَّة؟
تعال الى هذا الشاطىء البعيد في غرب أوستراليا حيث الدلافين الصديقة تسعى متلهفة الى رفقة الناس

وفي ثوان معدودات تنطلق الى وجه الماء مسرعة كقذائف طوربيد. وتسبح من دون خوف متخطية كلاً منا بدوره، وهي تتمايل محاولة رؤيتنا على نحو أفضل بأعينها الداكنة. بسطتُ يداً مترددة نحو ذكر ضخم، فتوقف حين لمست جانبه القوي العضلات واستجاب بوكزة لطيفة. ثم دار كاشفاً بطنه الشاحب داعياً إياي الى حكّه. ولمّا فعلت رد باطلاق سلسلة متقطعة من الصفير والصرير.

غمرني الافتتان. كذلك الفنانة اليابانية الهادئة التي كانت تصرخ بابتهاج كلما مس أحد الدلافين يدها بأنفه. وكانت الإثارة تلتمع في عيني المرأة الانكليزية المتقدمة في السن وهي تمسِّد ظهر أحد الدلافين الفتيَّة والمياه الدافئة تغمر ركبتيها. وصاحت: "يا للروعة!" وكمن مسَّهم السحر، كان الباقون لا يصدقون ما تراه أعينهم.

واصلت الدلافين دورانها بيننا لفترة أخرى، ثم انطلقت بدفع نشط من أذيالها الى المياه العميقة. فخوَّضت في المياه عائداً الى الشاطىء، وجلست بسكينة مسترسلا الى غمرة من التأثر الغريب، بينما كان الصمت يلف الآخرين وقد صعقتهم حدة التجربة.

تشارلي اللعوب. عُرفتْ في أماكن أخرى من العالم حالات عن دلافين وحيدة تجازف بالاقتراب من الشواطىء الضحلة برهة قصيرة لتتودد الى الناس. أما في مونكي ميا فتأتي مجموعة صغيرة من الدلافين كل يوم. تقول راشل سمولكر وهي عالمة حيوان في جامعة ميشيغين دأبت على المجيء الى مونكي ميا خلال ست سنوات متتالية بهدف إجراء بحوث عن سلوك الدلافين: "ليس في العالم مكان يشبه هذا المكان. إنه الأمثل لمراقبة الدلافين عن كثب وهي في بيئتها الطبيعية."

ويعزو السكان المحليون اكتشاف الدلافين الى أليس واتسر وهي صاحبة قارب صيد. فقد رست أليس ذات ليلة من العام ١٩٦٤ قبالة مونكي ميا مع زوجها إرن وهما على متن قاربهما "مايبي". ولما كان الحر شديداً تمددت أليس على فراشها وراحت تصغي الى رشاش الدلافين وهي تسبح حول القارب. أخيراً نهضت وتناولت من الثلاجة سمكة وألقت بها الى الماء. تقول أليس واتس: "سبح الدلفين في محاذاة القارب وتلقف السمكة." وبعد نحو أسبوع عاد الدلفين مصطحباً زوجته وطفله، إلى أن اعتاد الثلاثة أخيراً تناول الطعام من يد أليس.

أَطْلَقَتْ أليس على الدلفين اسم تشارلي، فغدا جالب حظ لقافلة الصيد في مونكي ميا. وهي تؤكد أن ما اجتذب تشارلي فعلا لم يكن الطعام. تقول: "الطعام متوافر بكثرة في الخليج، والدلافين صيادون مهرة. لكن تشارلي كان غالباً يعيد قذف السمك الى القارب كأنه يبرهن أن اللعب وحده هو القصد."

وحين عادت أليس وزوجها الى قاعدتهما في مندوره، تبنّت تشارلي مجموعة من الصيادين المحليين. وكان الصياد جيم بولاند أول من لمس الدلفين فعلا. يقول بولاند: "لمسَ الدلفين برفق جانب قاربنا الصغير، فمددنا أيدينا

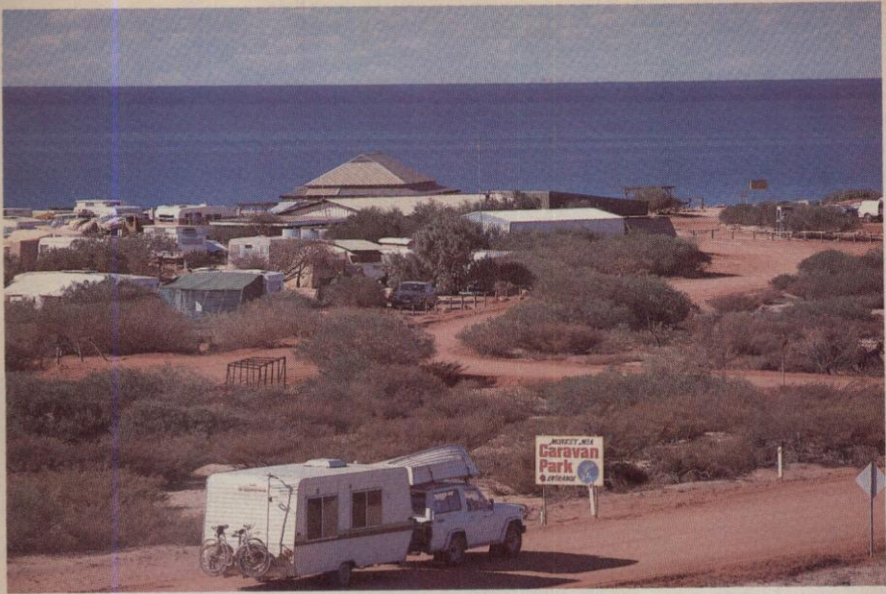

يتوافد الزوار للتخييم في مونكي ميا تجذبهم أقاصيص عن الدلافين الودودة.

منذ ٢٥ سنة تقترب الدلافين من الشاطىء لمداعبة الناس. هنا يلهو "سيكل فن". والى اليسار الجدة "هولي فن" وعلى جلدها ندوب من حروق الشمس.

PHOTOS: PAUL RAFFAELE

لاشعورياً ورفعناه الى متن القارب وأسندناه الى ركبنا . وقد بدا أنه استساغ التجربة." على أثر ذلك بدأ تشارلي ينتظر قارب بولاند على بعد كيلومترين من الشاطىء لملاقاته ومواكبته الى مونكي ميا. يقول بولاند: "كان يقفز وينقلب فوق الماء بقصد تسليتنا."

دلافين ذات أسماء. من المحزن حقاً أن مودَّة تشارلي هي التي قضت عليه. فقد وجده بولاند ذات يوم نافقاً على الشاطىء بطلق ناري في رأسه. وهو يعتقد أن الفاعلين أولاد أعمامهم الفرح ببنادقهم.

لكن عائلة تشارلي تابعت مداعبة الصيادين، كما استقدمت تدريجاً أعداداً أخرى من الدلافين. وعلى مرِّ السنوات القليلة التالية تسرَّبت أخبار الدلافين الى الخارج. فبدأت مجموعات جسورة من الناس تصل الى الشاطىء عبر ممر وعر مليء بالحفر والأخاديد يمتد متلوياً مسافة ٢٤ كيلومتراً وسط كثبان رملية حمراء كالدم، آتين من دنهام وهي قرية صغيرة يتعاطى أهلها صيد السمك وتقع على بعد ٨٥٠ كيلومتراً شمال برث. بين هؤلاء الوافدين كان ويلف وهازل مايسون اللذان افتتنا بالدلافين الى حد أنهما قررا البقاء وإنشاء محطة للقوافل السيارة بقيت الملاذ الوحيد في مونكي ميا.

عُرف كثير من الدلافين بأسماء أطلقها ويلف، وهو رجل طيب السريرة ذو عينين زرقاوين كالبحر. يقول: "يفد الناس الى هنا لقضاء فترة وجيزة، ويودون تمييز الدلافين بحسب أوصافها كي تزداد معرفتهم بها. لذا أطلقتُ عليها أسماء تتناسب وشخصيَّتها أو مظهرها."

في وقت لاحق من النهار، وقفتُ حافي القدمين في المياه اللازوردية، أراقب أجيالاً ثلاثة من إناث الدلافين وهي تلهو في المياه الضحلة. تقلبت الجدة "هولي فن" على الشاطىء صعوداً وهبوطاً، وكانت تتوقف بين الفينة والأخرى لتمرِّغ أنفها بمن يستحوذ على إعجابها، بينما لازمت حفيدتها "نيبر" (الكمّاشة) أمها "نكي" وبقيتا معاً على بعد خمسة أمتار من الشاطىء.

وفيما كنت أراقب تهريج "نيبر" سبح الذكر "سنوبنوز" (الانف الافطس) ولمس ساقي برفق. ثم قوَّس جسده ليرفع رأسه كلياً من الماء، وقدَّم الي خصلة من الطحالب البحرية كان جمعها من مكان ما على الشاطىء. أخذتها وفحصتها بعناية ثم أعدتها اليه بتهذيب. بدا واضحاً أن تلك كانت لعبته المفضلة، إذ قبض بأسنانه على الخصلة وسبح ليقدمها الى زائر آخر.

ظاهرة فريدة. على رغم الاغراءات الكثيرة حرص ويلف على ألا يعلِّم الدلافين أي حيلة، مدركاً أن ذاك يسلبها جاذبيتها الفريدة وقيمتها العلمية كحيوانات غير أليفة. وقد أبهجني حرصه واهتمامه عندما شاهدت "سيكل فن" (الزعنفة المنجلية) و"سنوبنوز" يقفزان من المياه معاً في انسجام تام على بعد ٤٠ متراً من الشاطىء. وبلمحة خاطفة دارا معاً في الهواء ثم سقطا في الخليج. ما من مدرِّب

علمهما هذه الحركة، لقد حصل ذلك بالغريزة المحض.

وغالباً ما كانت راشلٍ سمولكر تصاب بالذهول من جراء تفنن الدلافين في سلوكها. تقول: "أدركنا أن لها مجتمعاً أكثر تعقيداً من مجتمعات الحيوانات الثديية الأرفع مرتبة كقرود الشمبانزي والغوريلا."

كانت سمولكر تخرج يومياً بقاربها، اذا سمح الطقس، لمراقبة سلوك الدلافين وتسجيل ما تنطق بهٍ بواسطة مذياع يعمل تحت الماء. تبث الدلافين، بغية تحديد الصدى، مجموعة متنوعة من الأصوات تصدر من جزء منتفخ في قاعدة جبينها، ضمنه شحمات مختصة بالتركيز على الاصوات الصادرة أمام الرأس. وقد خَلُص أحد الباحثين الى الاستنتاج أن في وسع الدلفين إصدار دفق من الأصوات يكفي لصعق سمكة.

وتشبه "محادثات" الدلافين المسجلة على أشرطة راشل صخباً في فناء مزرعة. فمن صياح أوز الى عواء كلاب فالى خوار بقر وانصفاق أبواب وأزيز منشار كهربائي. كل ذاك الضجيج تولده الدلافين. وقد سجلت سمولكر ذات مرة "سنوبنوز" وهو يُصدر أصواتاً ظنتها نوبة غضب بسبب غيرته من دلفين آخر كان يتلقى من زائر كمية أكبر من السمك. وبدا ضجيجه كإرعاد فيل غاضب. تقول: "بَلَغَتْ مشاهداتي حداً رأيت معه دلافين تتناقش بحدة ويصرخ بعضها على بعض ورؤوسها تتجابه في الماء."

تقول سمولكر: "ان الدلافين التي تفد بانتظام الى الشاطىء تنتمي الى مجموعة من نحو ٦٠ دلفيناً، مما يساعد على دراسة حركاتها بالتفصيل." وحتى الدلافين التي لا تأتي الى الشاطىء لا تخاف الناس، "وتسمح لنا بالاقتراب منها بقواربنا وإن كنا على بعد ١٠ كيلومترات من الشاطىء."

ويدرس بول أندرسن، الأستاذ الفخري في البيولوجيا (علم الاحياء) في جامعة كالغاري بكندا، أطومات (٢) المنطقة وهي ثدييات مدارية ضخمة تشبه الحيتان. وهو تنبّه الى تفرد مونكي ميا بهذه الأعجوبة، وشرح ظاهرة عدم خوف الدلافين والأطومات المحلية من الإنسان: "لقد مرَّت عليها ألوف السنين وهي قادرة على التطواف بحرية تامة في مياه الخليج، ذلك لأن السكان المحليين لم يقتنوا قوارب."

"لقد عادت!" مع الفجر كل صباح ينطلق ستة حراس، بينهم شارون غوسبر، لمراقبة الشاطىء وحماية الدلافين من أي أذى أو إزعاج. وقد تم تعيين هؤلاء الحراس عام ١٩٨٦ بعدما قلق مجلس المقاطعة المحلي من جراء تدفق الزوار. بيد أني لاحظت قدرة الدلافين على حماية أنفسها حين كان الناس يسترسلون في صخبهم. وكان "سيكل فن" يسارع الى مواجهة كل سائح يتجاوز حدوده بلطمه أو دفعه أو رشه. وحين أصرت إحدى النساء على شد زعنفته بقوة عاقبها بقضمتين حادتين على أصابعها.

غير أن ما يقلق سمولكر حقاً هو الموجة العارمة من الزوار التي يتوقع أن يصل

(٢) Dugongs

عددها الى مئتي ألف هذا الموسم، مما حدا الدلفينة "كروكد فن" الزعنفة المعقوفة، على الانسحاب وتخفيف زياراتها للشاطىء بعدما كانت من "الاصدقاء" الدائمين. وتقول سمولكر: "سيكون محزناً أن يضع الازدحام حداً لهذا الاتصال الفريد بين الدلافين والبشر."

ويساور القلق أيضاً سكان دنهام القريبة. يقول ديك هولت رئيس جمعية صيادي السمك المحلية: "ان السكان غير راضين عن كثرة الوافدين الى مونكي ميا." ويستبعد هولت امكان لجوء أي منهم الى التعبير حسياً عن استيائه. ويضيف: "ليس بيننا من يقدم على إيذاء دلفين. فلقد ربينا على الاعتقاد أن الدلافين تجلب لنا حسن الطالع."

عاودتني كلمات هولت وأنا جالس على الشاطىء عند الفجر في اليوم الأخير من رحلتي الى مونكي ميا، مترقباً مواجهة أخيرة مع الدلافين. مرَّ نصف ساعة، ثم ساعة. لا أثر للدلافين. في التاسعة والنصف تهيأت الحافلة للانطلاق الى دنهام وكان نفيرها النافذ ينخر مسمعي. وما ان هممت بالسير نحوها حتى سمعت صرخة عالية: "لقد عادت!" قفز دلفين وحيد الى علو ثلاثة أمتار أو أربعة خارج الماء. وعن يميني شقت ست زعانف سطح الماء واندفعت بقوة نحو الشاطىء.

أطلق سائق الحافلة بوقه تكراراً داعياً الحاجزين للرحلة الصباحية. لكني تجاهلت البوق الملحّ، وسرت بسعادة طفولية مرتداً بكل جوارحي نحو الماء. سبحت "هولي فن" نحوي، فتقدَّمتُ لأمسد جنبها بلطف بينما راحت تطلق سلسلة من صفيرها وصريرها المعهودين. وراقبت الحافلة وهي تغادر المحطة، ومرة أخرى تكشفت لي أعجوبة مونكي ميا.

بول رافايل ■

الافعى والكوكايين

قليلون من مدربي كرة القدم سجلوا نقاطا في محاربة المخدرات مثلما فعل إرك رَسِل، مدرب فريق كلية ستاتسبورو في ولاية جورجيا. فقد اتفق مع شابين ريفيين على ان يندفعا فجأة داخل النادي في اثناء اجتماع روتيني للفريق ويرميا فوق طاولة امام اعين اللاعبين أفعى مجلجلة متلوية طولها متران.

يستعيد رَسل الحادثة المفتعلة: "ذعر الجميع وتفرّقوا. فقلت لهم: "عندما يدخل الكوكايين الى غرفة ما فأنتم لا تسرعون الى مغادرتها على غرار ما فعلتم الآن. مع أن في الاثنين سماً زعافاً. فاذا شاهدتم تلك المادة البيضاء اهربوا كما هربتم من هذه الافعى المجلجلة - لانها مثلها وأشد خطراً منها!"

ج.ب.

الوهم مفيد شرط أن يمسكه الواقع بيده.

ف.م.

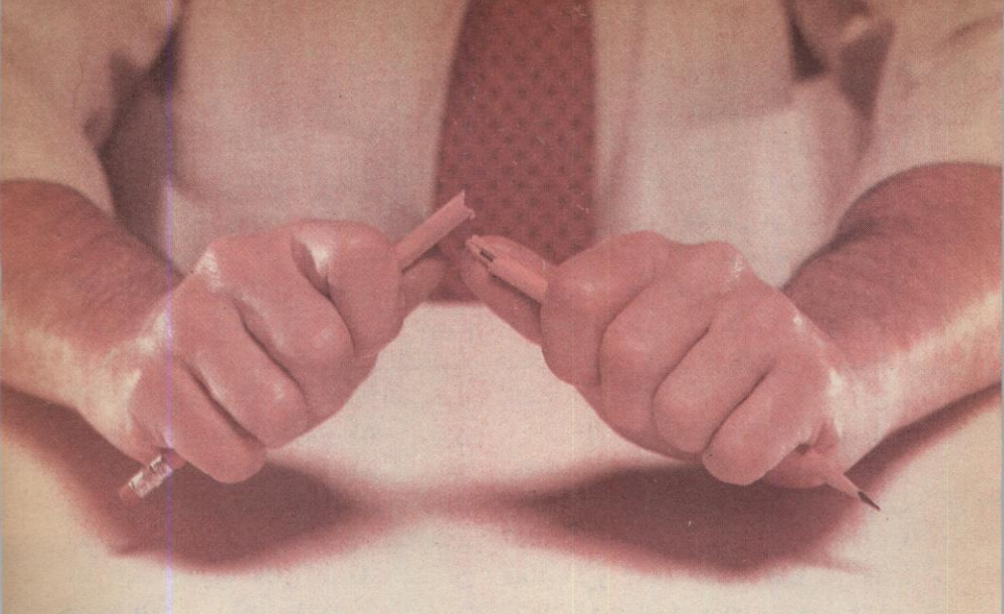

الغضبُ القاتل

ان اطلاق العنان لغضبك قد يقضي عليك عاجلاً أم آجلا
واستناداً الى الابحاث الحديثة
اذا رغبت في ضمان سلامة قلبك فعليك لجم غضبك

كان أحد مرضاي رجلاً ثرياً عصامياً اعتاد أن يحقق ما يصبو اليه وينال مبتغاه. في السن الرابعة والاربعين أنشأ شركته الخاصة التي ضمت ١٠٠ عامل. لكنه كان من المشككين، فلم يثق أبداً بحسن قيام عماله بواجباتهم. فكان يدقق في كل شاردة وواردة، وذلك ادى في كثير من الاحيان الى نوبات غضب عنيفة. لكنه كان مؤمناً بأن طبعه الحاد ساهم في ما حققه من نجاح.

وذات يوم خريف فيما هو يقود سيارته منتقلاً من مكتب له الى آخر، تجاوزه سائق أرعن بسرعة خاطفة. وهو كان عادة يضغط بوق السيارة في مثل هذه الاحوال، لكنه شعر فجأة كأن قضيباً حديداً حامياً غرز في صدره. وتمكن بصعوبة من التوجه

CONDENSED FROM «THE TRUSTING HEART: GREAT NEWS ABOUT TYPE A BEHAVIOR,» COPYRIGHT © 1989 BY REDFORD WILLIAMS, M.D., PUBLISHED BY TIMES BOOKS, A DIVISION OF RANDOM HOUSE, INC., NEW YORK, N.Y. THIS MATERIAL ALSO APPEARED IN NEW AGE JOURNAL (MAY / JUNE '89). PHOTO: ERNEST COPPOLINO

بسيارته الى أقرب مستشفى حيث أدخل وحدة "العناية الفائقة."

في الايام القليلة التالية لم يدل تخطيط القلب على حصول نوبة أو اي شيء غير عادي. واجتاز صاحبنا فحصاً للاجهاد. فامر طبيبه باجراء فحص أخير للدم وحدث أن صعب على الممرضة سحب عينة من الدم من ساعده. وفي المحاولة الثالثة سيطر الغضب على المريض، فشعر بالقضيب المتوهج ذاته يطعن صدره ثانية. وأظهرت الفحوص اللاحقة انسداداً في أحد شرايينه التاجية، فحين يغضب يعجز القلب عن نيل كمية الدم التي يحتاج اليها. وكان ذلك دليلاً على أن طبعه العدواني أضرَّ بقلبه.

قبل أكثر من ألفي سنة تحدث الحكماء عن فضائل القلب الواثق. والى حكمة الاجيال، يدلّ البرهان العلمي على أن ذوي القلوب الواثقة الآمنة يعيشون أطول من سواهم ويتمتعون بصحة أفضل.

وبنتيجة ما نشره في السبعينات طبيبا قلب رائدان هما ماير فريدمان وراي روزنمان، بات معروفاً أن "الفئة أ" تضم أناساً نافدي الصبر سريعين الى الغضب والعدوانية. ويعتقد كثيرون أن أفراد هذه الفئة معرضون لخطر الاصابة بمرض القلب أو للموت بمرض تاجي أكثر كثيراً من سواهم.

واذ اقتنع الناس بأن سلوك "الفئة أ" هو ضمن قائمة العوامل الخطرة على القلب - كالتدخين وارتفاع مستوى الكولستيرول وقلة التمرين الجسدي - بدأت تظهر تقارير تشير الى أن قصة "الفئة أ" ليست بهذه البساطة.

فالدراسات الجديدة عجزت عن اكتشاف ازدياد خطر الاصابة بالنوبة القلبية لدى كل أفراد "الفئة أ." لكن البحث الحديث آخذ في توضيح تفهمنا للمشكلة. والاخبار الطيبة هي أن ليست كل تصرفات "الفئة أ" سامّة بالتساوي. فالبحث الحديث يدل على أن حال العجلة تبدو مضرة فقط لأنها تزيد عدوانية المرء.

أما الاخبار السيئة فهي أن العدوانية والغضب قد يكونان مميتين. فهما يزيدان امكان الاصابة بمرض القلب التاجي، وقد يزيدان أيضاً خطر الاصابة بعلل أخرى تهدد الحياة. فاذا كان قلبك عدوانياً فمن المهم أن تتعلم كيف تخفف غضبك.

ان القوة الدافعة وراء العدوانية هي تشكيك تهكمي في الآخرين، فاذا ترقبنا معاملة سيئة من الآخرين فيندر أن يخيب ترقبنا. وهذا يولد فينا الغضب ويؤدي الى مقابلته بالعدوانية.

والميزة الطاغية للمشكك المتهكم هي ارتيابه بالاشخاص الذين لا يعرفهم. تصوّر أنك تنتظر المصعد، فاذا هو يتوقف وقتاً اطول من المعتاد في الطبقة الثانية. فتفكر في نفسك: يا لقلة الشعور! اذا كان الناس يرغبون في المحادثة فلماذا لا يغادرون المصعد كيما يتمكّن الباقون من الوصول الى حيث يقصدون؟ لا سبيل لك الى معرفة سبب التأخير، ولكن ما هي سوى بضع ثوان الا وقد توصلت الى استنتاجات عدائية بشأن أناس لا معرفة لك بهم ولا بأهدافهم.

خلال ذلك كان تشكيكك وعدم ثقتك

يطلقان فيضاً من "الادرينالين" وهورمونات أخرى تسبب الضغط والاجهاد مع ما يرافقها من نتائج جسدية ملموسة. فيتغير صوتك الى نبرة اعلى وتزداد سرعة تنفسك وعمقه وينبض قلبك بسرعة وبجهد أكبر وتشتد عضلات ذراعيك وقدميك وتشعر بأنك مشحون عزماً وقوة ومهيأ للقتال.

فاذا كنت تشعر بهذه الانفعالات أحياناً كثيرة فان حاصل غضبك مرتفع جدا وقد تكون على شفا التعرض لمشاكل صحية خطيرة. وتأثير الهورمونات التي تفرز خلال فترات الغضب قد يزيد خطر التعرض للمرض التاجيّ ولأمراض أخرى.

وللأسف، مع مرور الوقت يصبح تعبير القلب العدواني عن الغضب اكثر سهولة. فهل تبدي انفعالك نحو شخص التقيته لتوّك؟ قد يندرج هذا في نطاق كلام لطيف لين مثل: "أعتقد أن لديك مشتريات كثيرة تثقل عربتك (في السوبرماركت) فالافضل ألا تقف في صف الخدمة السريعة،" أو كلام فظ مثل: "هاي! لا يجوز لك أن تقف في هذا الصف ومعك كل هذه المشتريات!"

والدليل الاول على أن سلوكك عدواني يأتي من اجابتك، في موقف ما، عن السؤال: "ما هو قصدي من هذا العمل؟" فان كان لمعاقبة الشخص الآخر على ما أتاه، فأنت متهم بالعداء.

فهل يمكنك تخفيف عدوانيتك فتتحلّى بثقة أكبر؟ ان الابحاث حول منع الاصابة بالنوبات القلبية، التي يجريها فريق طبيب القلب فاير فريدمان، جاءت بنتائج مشجعة. فقد طوع فريدمان وزملاؤه ١٠١٣ مصاباً بالنوبة القلبية، وجميعهم من "الفئة أ"، للمشاركة في الدراسة. فقدم أطباء القلب الى جماعة من المتطوعين ارشادات غذائية ورياضية. وحظيت جماعة أخرى بالارشادات ذاتها اضافة الى برنامج مدروس لتخفيف حدة السلوك المميز لـ"الفئة أ."

وتبين بعد أربع سنوات ونصف سنة أن المجموعة التي تلقّت نصحاً طبياً وسلوكياً خففت من سلوكها الخطر المميز لـ"الفئة أ." أما أفراد مجموعة المقارنة فخففوا من سلوكهم هذا ولكن في نطاق محدود.

والاكثر أهمية أن معدل الوفيات ومعاودة مشاكل القلب في حالات الذين عدّلوا سلوكهم هبطا ٤٥ في المئة، مما يثبت أن تخفيف الانفعال يساعد في منع حصول النوبة القلبية الاولى.

في سبيل تنمية قلب مفعم بالثقة، على المرء أن يخفف تشكيكه وعدم ثقته بالآخرين وأن يلطف حدة انفعالاته وان يتعلم معاملة الآخرين برعاية ولطف. هنا ثماني خطوات تساعد في هذا السبيل:

١. اعترف بوجود مشكلة. دع زوجتك أو صديقاً حميماً يعرفان أنك تعي غضبك وتعتزم ضبطه. أطلب مساندتهما.

٢. فكر منطقياً. عندما تقف في طابور منتظراً دورك لانهاء معاملة، تراودك أفكار تشاؤمية. ذكر نفسك بأن الشخص المتمهل قدامك، قد لا يقصد إثارة غضبك. وسوف يساعدك تعقلك في استعادة النظرة المنطقية للواقع.

٣. فكّر كما يفكّر الآخر. اذا وضعت نفسك في مقام شخص آخر، فسوف تنجلي لك وجهة نظره ودوافعه وسلوكه. وفي معظم الحالات تجد أن حنقك أخذ يتلاشى. فالتقمّص العاطفي، أي اعتناق موقف الآخرين، لا يتمازج مع العدوانية.

٤. إضحك من ذاتك. في الطابور كنت تضحك من طبيعتك التشكيكية، ان المرح هو استراتيجية رائعة لطرد الارتياب ولتهدئة الغضب.

٥. تمرَّن على الثقة. تحيّن الفرص والمناسبات لتولي أحدهم ثقتك. فبدلاً من طلب مقعد معين في الطائرة، مثلا، اسأل الموظف المسؤول: "أي مقعد تنتقيه يكون مناسباً لي." قد يكون من حظك أن يختار لك مقعداً مفضّلا. واذ تكتشف أن ليس عليك التدقيق في كل شيء، تجد في ذلك مفاجأة مدهشة.

٦. افرض ارادتك ايجابياً. ما من شخص طبيعي لا يستبد به الغضب حين يتعرض للاهانة. انما، مهما حدث، لا تدع كلمات الغضب والتقريع تصدر عنك في موقفك العدواني. فاذا كان غريمك شخصاً لن تحتاج الى التعامل معه لاحقاً، فابتعد عنه.

واذا كان ممن لا يمكنك تحاشيهم فحاول بكل هدوء، بعيداً من الحقد والضغينة، أن تبين له ما يضايقك في سلوكه. فهذا المنحى التوجُّهي يتيح للشخص الآخر فرصة لتغيير موقفه من غير أن يشعر بالاساءة.

٧. مارس الغفران. بتخليك عن الغيظ والاستياء والعقاب قد تجد ثقل الغضب يرتفع عن كاهليك مما يساعدك على تناسي الاساءة.

٨. ابدأ الآن. حين أسأل مرضى القلب عن العدوانية وكيف يتدبرون أمرها أسمعهم يقولون: "كان من عادتي أن أغضب كثيراً، إنما على أثر نوبتي القلبية أدركت ان كل تلك الاشياء التافهة التي كانت تثيرني لا تستحق الغضب والانفعال."

لا تنتظر اصابتك بنوبة قلبية كي تبدأ العمل على تخفيف حدة طبعك.

وعلى رغم ما تبديه من عزم على أن تكون أقل عدوانية، فقد تجد أن طبعك وعدوانيتك ما زالا يتفجران. ولكن استمرّ في محاولات كبحهما، ومع الوقت لا بد أن تؤتى هذه الارشادات ثمارها. ففي تعلّم الثقة بالآخرين ومعاملتهم باللطف والحسنى، تبدأ كسر حدّة الغضب وتأثيراته الضارة في جسمك. وسيجعل منك قلبك الواثق شخصاً محبّباً وأكثر دماثة، يأنس الناس الى عشرته.

د. ردفورد وليمس ■

يربح الظرف والمرح أحياناً المعارك التي يخسرها العقل والقوة.

خ.ك.أ.

الضحك خير دواء

طبيب سيارات

كانت سيارة صغيرة متوقفة بجانب الطريق. وشاهدت شاباً يرتدي سترة بيضاء، هو على الارجح طالب طب في مستشفى قريب، يقفز الى داخلها وينطلق بسرعة ثالماً حاجزَ الاصطدام الخلفي لسيارة أمامه. وبعدما تفحص الضرر كتب رسالة قصيرة على بطاقة وعلقها فوق "الجرح" بشريط لاصق. ثم انطلق.

دفعني الفضول الى قراءة البطاقة. وقد جاء فيها: "آسف لهذا الحادث. خذ حبتي أسبيرين واتصل بي في الصباح." وتحت هذه الكلمات دوّن اسمه ورقم هاتفه.

ش.ش.

الببغاء الشاطر

فرح الزبون بطائر ببغاء اشتراه من متجر للحيوانات الأليفة، اذ كان يتلو أشعاراً لشكسبير ويقلد غناء نجوم الاوبـرا وينشد قصـائد هـوميروس الملحمية باليونانية. واعتبر الرجل نفسه محظوظاً إذ لم يدفع سوى ٦٠٠ دولار ثمناً له. ولكن حال وصوله الى البيت صمت الببغاء كلياً. وبعد ثلاثة أسابيع أعاده صاحبه الى المتجر وطلب استرجاع ثمنه، فقال له صاحب المتجر: "عندما كان الطائر لدينا كان يلقي الأشعار ويغني بصوت شجي. والآن تريدني أن أسترجعه بعدما فقد ذاكرته؟ على كل حال، سأنقدك ١٠٠ دولار اظهاراً لحسن نيتي."

قبل الزبون الخسارة على مضض، وبعد خروجه من المحل سمع الببغاء يقول لصاحب المتجر: "لا تنسَ... فحصتي ٢٥٠ دولاراً."

ك.أ.هـ.

أخ حشاش

عاش الاخوان هربرت وجايمس مع امهما وهر يدعى "ادغار". وكان جايمس شديد التعلق بالهر، وعندما غادر المدينة لبضعة ايام، ترك لهربرت تعليمات دقيقة حول العناية بالحيوان المدلل. وفي نهاية يومه الاول خارج المنزل اتصل بأخيه هاتفيا وسأله: "كيف حال ادغار؟" فاجاب هربرت: "لقد مات." ران بعض الصمت قبل ان يقول جايمس: "هربرت، انت عديم الذوق والاحساس. كان عليك ان تعلمني بالنبأ على مراحل، فانت تعرف كم انا متعلق بادغار. فعندما سألت عن ادغار الليلة كان عليك ان تجيب: "انه على السطح ولكني اتصلت بالاطفائية لانزالـه"، وعند اتصالي بك ثانية تقول ان رجال الاطفاء

لاقوا صعوبة في انزال ادغار ولكنك تأمل في ان يتمكنوا من انجاز مهمتهم بنجاح. ثم عندما اتصل بك للمرة الثالثة تخبرني ان رجال الاطفاء بذلوا كل ما في وسعهم، لكن ادغار سقط لسوء الحظ عن السطح واخذ الى الطبيب البيطري. وعندما ادعوك للمرة الاخيرة، تنبئني انه على رغم كل العناية الممكنة التي احيط بها لقي حتفه. هذه هي الطريقة التي كان اعتمدها انسان حساس ليخبرني عن موت ادغار. آه، قبل ان انسى، كيف حال الوالدة؟"

فصمت هربرت ثم اجاب: "انها على السطح."

س. ف. ب.

عليّ وعلى زوجي

كانت امرأة مكتئبة تتمشى على الشاطىء عندما شاهدت زجاجة على الرمال، فالتقطتها وانتزعت فلينتها، فتصاعد منها عمود من الدخان وظهر امامها جني قال لها: "لقد اطلقتنِي من سجني، وابداء لعرفاني اهبك ثلاث امنيات. ولكن انتبهي: مع كل امنية سيحصل زوجك على ضعفي ماتطلبين."

فسألت محتجة: "لماذا وقد هجرني هذا المتبطل السكير من اجل امرأة اخرى؟"

فاجاب الجني: "هذا حظك."

فهزت المرأة كتفيها ثم طلبت مليون دولار. فسطع ضوء لامع وظهر عند قدميها مليون دولار. وفي اللحظة نفسها، في مكان بعيد، احنى زوجها الشكس رأسه ليجد ضعفي هذا المبلغ عند قدميه.

"ما رغبتك الثانية؟" سأل الجني.

اريد اغلى عقد من الالماس في العالم. سطع النور من جديد ووجدت المرأة العقد في يدها. وفي ذلك المكان البعيد كان زوجها يبحث عن سمسار جواهر يشتري منه لقيته الثمينة.

هنا سألت المرأة: "هل صحيح، ايها الجني، ان زوجي يملك الان مليوني دولار وجواهر تفوق ما املكه، وانه يحصل فعلا على ضعفي ما اطلبه منك؟"

- هذا صحيح، يا سيدتي.

"حسنا، ايها الجني. اليك امنيتي الاخيرة: افزعني حتى اشارف الموت."

ت. ن.

غذاء الاموات

فيما كان عالما اثار يستكشفان قبرا قديما في مصر وجدا وعاء يحوي طعاما. واذ ساورهما الفضول في شأن بعض النقوش على الوعاء استنجدا باستاذ جامعي متخصص باللغة الهيروغليفية فزودهما هذه الترجمة: "يُفضل استخدامه قبل الالف الثاني قبل الميلاد."

م. س.

المدينة القديمة

هنا أحيا مليونير خجول ١٤ قرناً من تراث بلاده

قال لي دليلي الشاب اذ عبرت حافلتنا الصغيرة بوابات ضخمة من الخشب الصلب: "نحن الآن على عتبة جنوب تايلند." وما ان أنهى كلامه حتى شاهدت "باغودا" (١) بشكل جرس يعلوها برج عال مستدقّ. وعرفت أنها اثر تاريخي من القرن السادس عشر ومن معالم ناكورن سري ثامارات، وهي مقاطعة غير بعيدة عن الحدود التايلندية - الماليزية. وبعد دقائق أطلّت "ستوبا" (٢) من طراز "سريفيجافا" مبنية ما بين القرن السابع والقرن الثاني عشر.

ومثل شخصية في قصة علمية - خيالية، رحت أتنقل بخفة عبر القرون على امتداد تايلند. فرأيتني أولا في قاعة العرش في "القصر الكبير" المتلألىء في بانكوك، ثم في الحاضرات القديمة آيودهيا وسوخوتاي، ولاحقاً في هيكل على قمة جبل يشرف على كمبوديا.

رحلتي عبر تايلند لم تكن في الواقع الا جولة نصف نهار في موانغ بوران، المدينة القديمة، الواقعة على مبعدة ١٠ كيلومترات جنوباً من بانكوك. هنا، على مساحة ٨٠ هكتاراً في شكل خريطة تايلند، جُمع اكثر من ١٥٠ تحفة فنية من هندسة شعب التاي على مدى ١٤ قرناً. وبين الآثار معارض، منها متحف للفن الشعبي وقرى قديمة أصيلة وتماثيل تصوّر أساطير التاي.

ظهرت موانغ بوران قبل عقدين على يدي مليونير تايلندي - صيني خجول يدعى ليك فيريابهون، أو خون ليك كما يدعوه أصدقاؤه. وعلى تعاقب السنين أغدق عليها الرجل ملايين الدولارات من ماله الخاص. ويُستوفى رسم دخول من نحو ٣٠٠ ألف زائر سنوياً، لكن الايراد لا يفي

(١) الباغودا هيكل متعدد الطبقات.

(٢) الستوبا برج في شكل هرم أو قبة.

بالنفقات العملية ولا بالتمويل الأساسي المذهل للمشروع. يقول أحد أصدقاء خون ليك: "انه أعظم عمل خيري غير مَلَكي في تاريخ تايلند."

ولد خون ليك عام ١٩١٥ لعائلة صينية ثرية في بانكوك. وبعدما درس كل شيء، من الادب الى علم الاقتصاد، أصبح ممثل شركة "مرسيديس - بنز" في تايلند، ونجح في تحويل شركته مشروعاً تجارياً مربحاً.

في هذا الوقت أولع خون ليك بالآثار التاريخية القيمة. وحين رأى سرعة اندثار معالم تايلند التاريخية في حقبة ما بعد الحرب، نتيجة الاندفاع المتعاظم في طريق التحديث العصري، عزم على بناء شيء يعلّم الناس تاريخ تايلند.

بوشر تمهيد الارض لانشاء "المدينة القديمة" عام ١٩٦٣. وكثير من "النسخ" المطابقة لابنية تايلند التاريخية شيّدت وفقاً للمقاييس المرسومة - من ثلاثة أرباع الى ثلث أحجامها الأصلية. وقد حجّمت الارض ونظمت المناظر الطبيعية وفقاً لهذه المقاييس أيضاً لكي تضفي انطباعاً أن تلك هي أحجام الابنية الحقيقية. وفي اعادة بناء "خاو فرا فيهار" في كامبو، وهو مقام أسطوري للخمير شيّد في القرن الحادي عشر، أراد خون ليك أن تبدو النسخة الجديدة مرتفعة بجلال ارتفاع البناء الأصيل. لذا انهمك ما يربو على ألف عامل في بناء "جبل" ارتفاعه ٥٤ متراً، مستخدمين حمولة ٢٤٠٠ شاحنة كبيرة من الصخر واكثر من ٨ هكتارات من التربة الفوقية.

افتتحت "المدينة القديمة" في ١١ فبراير (شباط) ١٩٧٢. وكان مهرجان فخم حضره ملك تايلند وملكتها وملكة بريطانيا اليزابيت الثانية. وكان أبرز الغائبين الرجل الذي حقق كل ذلك. فمع أن خون ليك عمل أياماً للتحضير للافتتاح فانه آثر أن يظل مغموراً وبقي بعيداً عن الانظار، حتى ان اسمه لم يرد في أخبار الصحف التي نقلت الحدث وغاب عن الكتب الموضوعة عن "المدينة القديمة."

لكن اهتمام خون ليك بالمشروع ما زال شديداً. فقد أضيف الى موانغ بوران أكثر من ٥٠ معروضة رئيسية. وكان هناك ١٠٠ بناء لدى افتتاحها عام ١٩٧٢، وهي تضم اليوم أكثر من ١٥٠ بناء ولا يكتفي خون ليك برسم الخطط ووضع الافكار، بل غالباً ما ينضم الى فرق البناء.

وأحد معارض "المدينة القديمة" الاكثر اثارة هو "سوق الماضي،" وهذه كناية عن دكاكين قديمة ومنصات ومزارات تصور حضارة التاي الريفية في الجيل السابق. وفيما كنت أمشي في الشارع المتعرّج المرصوف بالآجرّ، مررت بكشك عرّاف كامل العدة، وبدكان ادوية شعبية يعرض جذوراً ونباتات شافية، وبمشغل حيث كان يحاك الحرير والقطن على أنوال قديمة. وكان نحو ٢٠٠ شخص من العاملين في "المدينة القديمة" يمارسون أشغالهم اليومية في المسارح أو بيع التذكارات أو يتبادلون الحديث المرح في السرادقات.

"المدينة القديمة" هي أيضاً مختزن لتراث تايلند الشعبي. وفيما كنت أجول بين أكبر مجموعة من مصنوعات التاي الفنية في البلاد، رأيت مصائد سمك

وأشراك حيوانات وسلالاً ضخمة من القش المجدول لتذرية الرز وغربلته في الحقول وجراراً خزفية وقوارب بديعة صنعت بالايدي، كلًا من جذع شجرة.

في نهاية جولتي زرت البناء المحاكي لمقام "خاو فرا فيهار." وفيما تسلقت السلالم الاربع الطويلة التي تنتهي كل منها بسطيحة وبنسخ مطابقة لأبنية المقام المتهدّم، بدت المناظر أكثر روعة. ولما بلغت قمة "الجبل" طالعني مشهد أخاذ ساحر ترامى بعيداً عبر حقول الرز حتى خليج تايلند.

وأخذتني الدهشة حين سرّحت نظري فوق موانغ بوران لسعة رؤيا خون ليك. فقد كانت سقوف القصرين الكبيرين الذاهبة في العلاء تلمع في ضوء الشمس، ومعالم من كل الاحجام والاشكال منتثرة هنا وهناك في السهل الفسيح، وقباب مستدقة مموهة بالذهب، وأبراج مستديرة من الحجر الناعم من طراز الخمير، وسرادقات متلالئة فوق قمة تلة. وتصاعدت ضفيرة رفيعة من الدخان من أحد الاكواخ المسقوفة بالقش. وفي زريبة الفيلة كان زوجان يطلقان رشاش ماء في بركة الابتراد. ومن "سوق الماضي" سمعت وقع موسيقى التاي التقليدية.

وكان بيت مزارع بسيط محجوباً عني وأنا في مجثمي على القمة، وكنت رأيته خلال جولتي. وقد أفدت أن خون ليك يستمتع بالقعود فيه لدى اجتماعه مع البنائين الذين يترجمون أحلامه حقائق واقعية. فتذكرت كلمات أحد مساعدي ليك: "إنه لا يهتم بالناحية التجارية، ويترك ذلك للآخرين. فهذا، بالنسبة اليه، هو عمل محبة – محبته للماضي وللتاريخ بتراثه وأمجاده."

ولم أتمالك عن التفكير في أن هذه هي الهبة التي أودعه إياها الله لاهدائها الى الأجيال الآتية.

وليم وارن ■

أسرار الكتابة

تفصح الروائية موريل سبارك عن بعض أسرار مهنتها: "أكتبْ سِرّاً لا جهراً، بلا خوف ولا خجل كأن ما تكتبه لن يُنشر أبداً. قبل بدء الكتابة تمرّن في ذهنك على ما سوف تسرده، وليكن شائقاً. ولكن لا تتوغل في التمرن الذهني، فقصتك ستتبلور كلما تقدَّمت فيها، وخصوصاً اذا كتبتها الى صديق خاص، رجل أو امرأة، لتجعله يبتسم أو يضحك أو يصرخ. تذكّرْ ألّا تفكّر في جمهور قرائك، فذلك قد يجفلك."

ك.ل.

سنديانة اليوم هي بلوطة الامس التي تجذَّرت في التراب.

ف.ج.

كفاح أم شجاعة لشفاء طفلتها من مرض التوحّد

الطفلة العابسة... تبتسم!

جاءت ولادتها خالية من التعقيدات. صرخة واحدة وإذ بطفلة تزن ثلاثة كيلوغرامات توضع بين ذراعيّ. ظلت تبكي حتى لامس خدها خدي. عندئذ توقفت حالا عن البكاء. فقلت لنفسي: انها تعرف أمها. أهلا بك يا آن ماري.

ولدى عودتنا من المستشفى الى البيت بقيت تبكي لفترات طويلة. ولم تكن تهدأ مهما حاولت أنا وزوجي مارك تهدئتها بالحمل أو بالهز أو بالملاطفة. فافترضنا أن المغص هو السبب.

خلال سنتها الاولى كانت تبدو طبيعية وان اختلفت كثيراً عن أخيها دنيال النشط المهذار. في الشهر السادس تمكنت من الجلوس والثرثرة والتطاول للوصول الى الاشياء. وكانت تتجاوب وايانا بهدوء وبهجة.

أما الآن فاني أرى الفوارق بوضوح أشد ايلاماً. عندما كان دنيال طفلا تعين علينا شراء لوازم تملأ مخزناً بغية ابقائه بعيداً عن الخطر. وضعنا أبواباً تقيه السقوط عن السلالم وأقفالا للخزائن والادراج وأغطية

ILLUSTRATION: DEBORAH CHABRIAN

بلاستيكية لمخارج التيار الكهربائي.

آن ماري لم تضطرنا الى شيء من ذلك. كانت تجلس هادئة تلعب في موضع واحد. لم تحاول أبداً تسلق درجة أو فتح درج. ولقد اعتقدت دائماً أنها أكثر هدوءاً من أخيها وأقل حباً للمغامرة. وفي شهرها الخامس عشر كانت تنطق نحو عشر كلمات تضمنت "لا" و"ماما" و"هاي" و"دادي" و"بابا" (زجاجة الرضاعة).

في السنة الثانية بدأ القلق يساورني. كانت آن ماري طفلة جميلة ذات عينين زرقاوين وشعر بني وملامح ناعمة. واذ تضع ذراعيها حول ساقي كنت امطرها بالقبلات ثم أجلسها وأراقبها وهي تشرد من جديد. لكنني بقيت أتوقع شيئاً آخر كنت أتلقاه من دنيال: التأكد من حاجته الي عندما يظهر ارادته بالحاح طالباً اهتمامي الدائم به.

مزيد من الهدوء. مع انتهاء فصل الصيف تبين لي أن آن ماري كانت "تتعلق" بشيء، مثل لعبة أو صورة أو شريط رسوم متحركة، حتى يصعب ابعادها عنه ذهنياً. فاعتقدت أن الذنب ذنبي لانني لم أوفر لها ما يكفي لاثارتها. اشتريت ألعاباً اضافية وحاولت حضها على اللعب أو على التمعن في الكتب برفقتي. لكن شيئاً من كل ما فعلت لم يمكنني من استدرار اهتمامها طويلا.

في أحد الايام بينما كنت أدفعها على أرجوحة في الحديقة العامة قالت لي امرأة عجوز تعودنا مشاهدتها هناك: "انها المرة الاولى أرى هذه الطفلة تبتسم." شعرت بقشعريرة في جسدي. لقد لاحظت هذه المرأة شيئاً حاولت دائماً اخفاءه: ان ابنتي نادراً ما تبتسم.

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ بلغت شهرها الثامن عشر وبدأ أمر حسي يقلقني: آن تفقد مفردات اللغة عوض أن تكتسب المزيد منها. وأخذت تميل الى السكون أكثر. وغاب عن ذاكرتها بعض الكلمات التي كانت تتقنها. أخذتها الى طبيب اطفال فاوصاني باخضاعها لاختبار سمعي.

جاءت النتائج طبيعية. لكنني لم أستطع التحرر من مخاوفي. أخبرني الاصدقاء عن أولاد يبكون كثيراً ولا يستوعبون الكلام الموجه اليهم. لكن آن ماري كانت تبكي باستمرار: عندما ألبسها أو اعريها وعندما أحملها أو أجلسها وكلما "تطفلت" عليها الى أدنى حد.

أشار علي الطبيب باخضاعها لفحص للجهاز العصبي. وفي الرابع عشر من ديسمبر (كانون الاول) ولد ابننا الثالث ميشال. ومع ذلك حافظنا على موعدنا في الثامن عشر منه ونحن ننتظر بفارغ الصبر أحداً يطمئننا نهائياً. استجوبتنا طبيبة أعصاب الاطفال ريجينا دي كارلو مدة ساعتين ونصف ساعة، ثم نظرت مباشرة في عيني وقالت ان سجل آن ماري وأعراضها أدلة على اصابتها بتوحّد الطفولة(١).

أحسست بالدم يجف في وجهي. كنت أعلم أن التوحد يعتبر عاهة طويلة الامد وغير قابلة للشفاء، وأن كثيراً من الاطفال

(١) Infantile autism . والتوحد، أو الفصام الذاتي التركيز، يتميز بالاسترسال في التخيل هرباً من الواقع.

المتوحدين لا يتعلمون أبداً النطق الطبيعي. لذلك بقيت منذهولة لا أصدق ما يجري خلال الساعات التي تلت، وكان عالمي كله يدور حول تلك الكلمة المقيتة: التوحد.

كانت نتف من شروح الطبيبة تتملك أفكاري: اضطراب في النمو، اختلال في الاتصال ومخالطة الآخرين، فقدان التقارب مع الناس، تجاهل الواقع الخارجي.

ولكن حتى عندما بكينا وجاهدنا لرفض هذه الكلمة لم يغب عنا أن حال طفلتنا وضحت وكأن نوراً قوياً سلط على مسلكها.

وعندما تأكد تشخيص عاهتها تثبتنا من أن أعراضها هي أعراض التوحد. كانت طريقتها في اللعب خالية من أي معنى وغريبة جداً. كانت دائماً تستعمل شيئاً واحداً (مثل منقار طائرها الكبير) للاشارة الى شيء آخر ولمسه. كانت تفتتن بالخيوط وبكوم الغبار وبأصابعها. وعلى رغم أنها بلغت الثانية من عمرها فلم تحاول تقليد أي حركة أؤديها. وكان أي تلامس جسدي خاضعاً لشروطها هي، ولم تكن تتقبل قبلاتنا ومعانقتنا اياها.

خوف وصلاة. مر شهرا يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) من العام ١٩٨٨ كالكابوس. ومع انهماكي بالطفل الجديد وبكائي في ساعات متقدمة من الليل كنت اراقب طفلتي تتأخر يوماً بعد يوم. صارت تجلس في الزاوية وظهرها الى الغرفة وهي تنقر باصابعها قفص مكيف الهواء.

لقد شعرنا بفداحة الذنب اذ تابعنا حياتنا بينما طفلتنا تعاني أمراً مرعباً. حلمت ذات ليلة أنها غرقت وأن يدي تكشطان قاع البحر في محاولة لايجادها. فصرخت: "أين أنت يا طفلتي الحبيبة؟"

لم تعد تنظر الينا عندما ندخل غرفتها. وكانت ترمقنا بين الفينة والاخرى، ولكن بغير النظرات الواضحة الثابتة التي بدأت ألاحظها عند الاطفال الآخرين في كل مكان. كانت غير مبالية بنا على الاطلاق.

وفي لحظة تكشُّف ساحقة أدركت نهائياً لماذا كان مرضها يدعى التوحد: كانت هذه الطفلة منغلقة على ذاتها، لا رغبة لديها في الارتباط بنا. وكلما حاولت مبادلتها عدم الاكتراث غمرني شعور بالحب المشوب بالالم. انها لم تكن سعيدة ولا يسعها الوصول الى الاشخاص التواقين الى مساعدتها.

وفي احدى الليالي همست لزوجي: "مارك، ماذا لو لم تعد تحبنا؟" فأجابني بثقة: "عندئذ سنتعلم أن نحب من دون أن نتلقى حباً في المقابل."

كان مارك مصدر قوتي، أشكو له انكسار قلبي ليلة بعد أخرى.

شعرنا بأننا منبوذان وبائسان. أصبح فقدان طفلتنا غموضاً قوياً لا يرحم. لم يوفق ذكاؤنا الى أي خطة ولم يتمكن مالنا من شراء علاج شاف ولم يستطع حبنا اعادتها الينا.

ولكن ربما الصلاة افادتنا. أردنا أعجوبة ولم نصلّ لغير ذلك: الشفاء الكامل، وآن ماري محبة ضاحكة معافاة طبيعية. كنت أصلي بلا توقف جاعلة من صلواتي نسيج حياتي اليومية.

هذه الثقة وهذا الايمان حفظانا متماسكين كعائلة. وكلما قيل لي ان الاولاد المتوحدين لا يشفون كنت أحني رأسي هامسة: "كل شيء ممكن."

قرأنا الكتب والمقالات التي تتحدث عن التوحد. وجمعنا السطور والمقاطع التي تتحدث عن النقاط الحاسمة الثلاث: المعالجة والامل والشفاء.

الاحتضان بالقوة. كنا قرأنا عن نجاح الدكتور ايفار لوفاس مع الاطفال المتوحدين في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس. وباعتماد مبدأ التعليم المباشر لـ"التعديل السلوكي"(٢) نجح فريق لوفاس مع نصف مجموعة مؤلفة من ١٩ ولداً متوحداً كانوا دون الرابعة عند بدء المعالجة. كانت لدى جميعهم أعراض توحُّد شخَّصها مراقبون مستقلون. (كانت معرفة ذلك مهمة بالنسبة الينا، اذ كلما شفي ولد متوحد كان الاطباء يزعمون أنه لم يكن يوماً مصاباً بالتوحد.)

وما تبلور لدينا عندما ساءت حال آن ماري كان طريقة في المعالجة جمعت بين التعديل السلوكي ومعالجة النطق و"المعالجة بالاحتضان."

في البدء كرهت فكرة التعديل السلوكي التي عنت لي أطفالا آليين. وسألت مارك: "هل سنمرنها على النطق وعلى تقبيلنا وعلى أن تكون لها أحاسيس؟" كيف يمكن الاكراه ان يؤدي الى شفاء طفل؟ ولكن لم تكن في اليد حيلة. فاما ان نعتاد مشاهدة صغيرتنا تلعب بالخيط دوماً واما أن نجرب وسيلة سبق نجاحها.

عندما تركت آن ماري للمرة الاولى بصحبة بريجيت تايلور، وهي اخصائية مدربة على طريقة لوفاس، رمت ابنتي بنفسها ارضاً وبكت ساعة كما فعلت في كل جلسة في الاسابيع الثلاثة التي تلت. وكانت بريجيت تعيدها الى كرسيها كل مرة. فتضرب آن ماري نفسها وتتصلب فتقع أرضاً وهي تصرخ.

وكانت بريجيت التي لم تعاملها أبداً بخشونة، تتجاهل بكاءها حاثة اياها على انجاز المهمة المعينة. وإذا ما نفذت آن ماري جزءاً بسيطاً من المهمة، كانت بريجيت تعمد الى مكافأتها بالمديح المصحوب بقليل من الحلوى ثم بالالعاب.

في البداية، عندما كنت أشاهد بريجيت تلقن آن ماري كيف تصفق بيديها أو تقف أو تلمس أنفها، صعب علي أن أصدق أن اللغة ستنبثق من كل ذلك. لكن ابنتي تحولت من التقليد الصامت الى التقليد اللفظي ثم الى المقاطع الصوتية المفردة فالكلمات فالعبارات. قالت لي بريجيت شارحة: "في الوقت الحاضر علينا أن نعلمها كل شيء، لكننا نأمل أن تتعلم طريقة التعلم."

سرعان ما أدركت أن ابنتي ترغب كثيراً في الجديد الذي عملت بريجيت على ادخاله الى عالمها المخيف. ذات يوم رأيت آن ماري تهرع الى الباب لحظة وصول بريجيت فتنظر مباشرة اليها وتبتسم.

وعملت روبن روزنتال باركر، الاختصاصية بمعالجة صعوبات النطق

(٢) Behavior modification

واللغة، مع آن ماري فترة ثلاث ساعات أسبوعياً. كانت تكلمها وهي واقفة أمامها مباشرة، وتديرها نحوها كلما حاولت الطفلة ابعاد نظراتها عن عينيها. كانت تجهز لها وسائل اتصال "مغرية" مثل صندوق شفاف مغلق داخله قطعة حلوى وتقول لها: "افتحيه،" مكررة الكلمة مراراً.

وكانت اللغة التي استعملتها روبن سهلة وقابلة للتكرار: "لعبة! نعم. لعبة. أعطيني اللعبة. حسناً." كانت روبن، مثل بريجيت، تجتاز بابنتي مراحل النمو النطقي التي يتعلمها سائر الاولاد تلقائياً.

اعتمدنا أيضاً "المعالجة بالاحتضان" وهي طريقة مثيرة للجدل مفادها أن الاحتضان بالقوة يعيد ارتباط الولد المتوحد بأمه ويضعه على طريق النمو الطبيعي. لم أتقبل النظريات التي تنطوي عليها طريقة الاحتضان بالقوة اذ بدت كأنها تحمل الاهل مسؤولية حالة التوحد. ورفضت أن أصرخ في وجه ابنتي اثناء احتضاني اياها كما نصحني المرشدون. لكنني اكتشفت أنني اذ تابعت التصرف على طريقتي، الى جانب المعالجة السلوكية التي يزدريها المعالجون بالاحتضان، تجاوبت آن ماري. شعرت كأنني أوقظ جزءاً نائماً من دماغها.

احدى جلسات الاحتضان الاولى أرست الاسلوب لذلك. وضعت آن ماري في حضني وهي تواجهني. احتضنتها بقوة وبدأت أخاطبها بنبرة صارمة: "انظري اليّ يا آن ماري. لن أدعك تفلتين!" زعقت وقاومت، فخففت من تطويقي اياها وبدأت أغني لها وأهزها بلطف هامسة كم أنا أحبها. أخذت تهدأ تدريجاً وتصفي ساكنة.

المحارب المحب. بعد أسبوع من بدء خليط المعالجات بدرت من آن ماري اشارة أولى دلت على أنها فهمت شيئاً قلته. فعندما ناديتها: "هيا الى الغداء" قامت ومشت مباشرة الى المطبخ. وتحسن لعبها أيضاً. وبعد وقت قصير أخذت تتظاهر بأنها ترد على مكالمة هاتفية أو تطعم حيواناتها الالعاب.

وتطورت لغتها على نحو متقطع. وخلال أسابيع لم تتقن سوى بضع كلمات، ثم حصل لها بعض "التفجرات" اللغوية اذ تعلمت ١٥ كلمة في أسبوع. وكنت أعتقد أنها لن تتقن الجمع بين مفردتين. وفي احدى الامسيات عندما عاد والدها الى البيت نظرت اليه وقالت بهدوء: "هاي دادي!" (مرحباً يا أبي). فجثا مارك على ركبتيه ولفها بين ذراعيه هامساً: "مرحباً يا آن ماري، يا حبيبتي."

نقلت سريرها الى غرفة أخيها الاكبر كي لا تبقى وحيدة. كنت متيقظة معها في كل لحظة. ولم أكن لاسمح بأي تصرف يشبه، وإن عَرَضاً، التصرف التوحدي. وبينما كنا نهاجم حواجزها الدفاعية حرصت على طمأنتها الى أن محارباً محباً يحاول غزو قلعتها واخضاع قلبها وارادتها، لانني كنت في حاجة اليها، كنت أريدها وأحبها.

ولكن من كانت آن ماري بالضبط؟

ظل هذا السؤال يؤرقني فترة. قلقت لاننا كنا، نحن أهلها والقائمين على

معالجتها، نعلمها كل شيء: ماذا تفعل وماذا تقول ومن تكون. كنا نعيد صنع شخص من رفات طفلة ضائعة.

وعندما بدأ ابداعها يظهر وسادت عفويتها وبهجتها أكثر شعرت أن الامور تبدلت. ومثلما تكونت في أحشائي، هكذا تكونت من جديد. انها أعجوبة.

بحثت ومارك عن أجوبة لسر التوحد والشفاء منه. قد لا نعلم أبداً كل ما أبرق في دماغ ابنتنا من ترابط في الافكار أو كل ما أعيد تنشيطه من عمليات عصبية كيميائية. ولن نهتم لذلك ما دمنا نشاهد ابنتنا تنشأ في نور الحب الانساني وترفع عينيها لتلاقي أعيننا.

ما زلت أحياناً ألحظ النظرة الحالمة التي كانت لا تفارقها. ولكن لم يتبقَّ كثير من الامور الاخرى التي تذكرنا بمرضها. انها ابنة ثلاث سنوات، سعيدة، تبتسم وتقص الحكايات وتطرح أسئلة وتفهم ما نقول. تخبرنا معلمتها أنها لا يمكن تمييزها عن سائر الاطفال في صف الحضانة المدرسية. انها تهدي القبلات والمعانقات بشكل عفوي. وقد بدأت تقفز على السرير في الصباح وتسير على قدميها الحافيتين الى غرفتنا وتصعد الى سريرنا التماساً للدفء.

سمعت قبل أيام وقع خطواتها في الممشى، وكانت تفتح الابواب وتسأل: "أين ماما؟" أغمضت عيني وأنصتُّ اليها دقيقة ثم همست لحملي الضائع الذي عاد الى البيت: "أنا هنا يا آن ماري."

كاترين لوغران ■

أم العروس

انتهت حفلة الزفاف وغادرَت ابنتي مع عريسها لقضاء الليلة في منزلهما الزوجي. ورغبتُ أن أستوضحها حول بعض الهدايا، ومن دون أن أفكّر اتصلت بها هاتفياً وتكلّمنا باختصار.

بعد قليل اكتشفتُ أن العريس نسي محفظته في قاعة الاحتفال. وإذ كانا سيغادران صباحاً في رحلة شهر العسل اتصلت بهما ثانية، فردّ صهري على الهاتف. وعندما سمع صوتي أطلق تنهدة عميقة وقال: "الآن عرفت ماذا يعني الناس بقولهم انك لا تنام كثيراً في ليلة عرسك!"

ش.ر.ب.

الموسيقى والجلبة

انتابني شعور بالتعب فارتميت على أريكة غرفة الجلوس. وفي غضون ثوانٍ دوّت موسيقى من راديو ابنتي في المطبخ، معكرة سكينتي وأنا في أمسّ الحاجة اليها. فناديت ابنتي: "سناء، بالله عليك أوقفي هذه الجلبة! انها تكاد تفقدني صوابي!"

فأجابتني من المطبخ: "حسناً يا ماما،" ثم أوقفت جلّاية الصحون.

د.ك.

أخبار الزمان

قال رئيس التحرير للصحافي: "عشرون كلمة، لا أكثر، إذ لا متسع لخبر أكبر." وهكذا ظهر الخبر في الصحيفة كالآتي:

"زلَّت امرأة على قشرة موز مرمية على رصيف في شارع بانهوف. ونقلت الى مستشفى الجامعة حيث تبين أن ساقها مكسورة."

وجاء الرد الأول على الفور في رسالة بالبريد المضمون من مستورد للموز، جاء فيها: "اننا نحتج بشدة على تشويه سمعة بضاعتنا. فقد نشرت صحيفتكم ١٤ تعليقاً سلبياً حول البلدان المنتجة للموز في الأشهر الأخيرة. وهذا يحملنا على الشك في أن لديكم نية القيام بحملة افتراء عن سابق تصور وتصميم."

وفي الوقت نفسه طرق مدير مستشفى الجامعة باب رئيس التحرير مغضباً وهو

© 1988 BY BRUNO GIDEON. CONDENSED FROM NEBELSPALTER (APRIL 25, '88), RORSCHACH, SWITZERLAND.
ILLUSTRATION: HANS MOSER, © 1987 BY SUE BROWDER

يحتج بأن كلمة "نقلت" قد تعني نقل الكائنات البشرية كأنها بضائع للشحن، مما لا يتماشى وعادات مستشفاه. وتابع متأثراً: "والى ذلك، يمكنني أن أثبت أن الكسر في الساق ناتج من سقوط المرأة وليس من نقلها الى المستشفى، كما يوحي الخبر المدسوس."

وأخيراً اتصل مسؤول في مديرية الهندسة المدنية في المدينة وأعلم الصحيفة أن سقوط المرأة لا يمكن أن يُعزى الى رصيف المشاة. وأضاف أن لجنة الارصفة على وشك الانتهاء من وضع تقريرها بعد سنوات من العمل، فهلا تفضلت الصحيفة بعدم ذكر الارصفة مطلقاً خلال الأشهر المقبلة لئلا تنتج من ذلك ذيول سياسية.

صباح اليوم التالي ورد الخبر مصححاً كالآتي:

"سقطت امرأة في الشارع وكسرت ساقها."

وفي اليوم التالي تلقى رئيس التحرير ردَّين فقط.

الأول رسالة استياء من "جمعية حقوق المرأة" وفيها احتجاج صارخ على العبارة التمييزية "سقطت امرأة" مما أثار حفيظة سيدات الجمعية لان فيها لمزاً الى "النساء الساقطات" مما يبرهن نية على "تلطيخ صورة المرأة في هذا العالم الذي يسوده الرجال." وهددت الرسالة بمقاضاة الصحيفة ومقاطعتها وباجراءات أخرى.

أما الرد الثاني فجاء من قارىء ألغى اشتراكه في الصحيفة، شاكياً من "التفاهات المتزايدة" والأخبار "التي لا معنى لها."

برونو جدعون ■

شكوى امريكية

اشتكى الرجل فقال: "عندما ذهبنا قبل سنتين في عطلة اقتحم اللصوص بيتنا عنوة وسرقوا ٤٥٠ دولاراً. لذلك كنت حذقا في السنة الماضية إذ تركت كل الانوار مضاءة وادرت كل اجهزة الراديو والتلفزيون. فخاف اللصوص من الانفضاح فلم يحصلوا على بارة واحدة - لكن شركة الكهرباء نالت ٥٢٣،٤٥ دولاراً!"

صحيفة "نيويورك بوست"

فاعل خير

سألت الارملة المحامي بعينين دامعتين عن وصية زوجها. فأجابها: "أنا آسف، فالمرحوم أوصى بكل ما يملك لمأوى الأرامل الفقيرات."

- ولكن ماذا عني أنا؟

"أنت كلّ ما يملك."

ه.ش.

حين يتعاون الجيران يحققون انجازات مذهلة

يَد الجَماعَة

الحي المنتشر حول مدرسة هاوثورن الابتدائية في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا كان في ما مضى مجتمعاً يطيب فيه العيش، لكنه مثل كثير من المناطق الداخلية الاخرى تحوّل حياً مزدحماً بالفقراء. وقد تحدث مسؤولون في المدينة عن مشروع يقضي بهدم البيوت القديمة وانشاء أبنية جديدة أغلى ثمناً، مما يعني "تهجير" عدد كبير من المقيمين. لكنهم لم يُدخلوا في حسابهم موقف أليس ليبسكوم.

وُلدت ليبسكوم في هذا الحي وذهبت الى المدرسة المحلية ثم أنشأت عائلة هناك. وهي لم تخطط لتصبح نصيرة للقضايا الاجتماعية، الا أن كل ذلك تغيّر في احدى الليالي الباردة عندما توفيت ابنة أخيها البالغة من العمر ست سنوات احتراقاً وهي تحاول أن تشعل موقداً عتيقاً من الفولاذ لتدفئة المنزل.

شعرت ليبسكوم بالاحباط حيال ظروف العيش في الحي. فانضمت الى مقيمين آخرين، ونظّموا معاً ترتيبات لاصلاح

ILLUSTRATION: RICHARD WILLIAMS

منازلهم. وفي آخر الامر أضحت ليبسكوم رئيسة "منظمة تنمية هاوثورن" ورئيسة المجلس المحلي. وهي قالت: "اذا لم تعمد المدينة الى اصلاح الاوضاع فسنتولى الامر بالنيابة عنها."

ملايين المواطنين المحبَطين والغاضبين امثال أليس ليبسكوم تحركوا في أنحاء الولايات المتحدة مطالبين بحقوقهم البلدية. ففي مدينة تاكوما بولاية واشنطن حوّل "فريق التحسين الشرقي" حانة خشبية مهجورة "حاضنة أعمال" حيث تجد المشاريع الصغيرة منطلقاً لها. وفي مدن بالتيمور (ماريلاند) ونيويورك ونيوهافن (كونيتيكت) يبذل السكان مهاراتهم الشخصية وعملهم المضني لاعادة تأهيل المنازل التي عفا عليها الزمن في الاحياء. وفي ساوث بند بولاية انديانا حولت مدرسة مهجورة مركزاً ثقافياً.

هناك الآن ألوف المنظمات النابعة من صميم الشعب في الولايات المتحدة. بعضها يخدم عدة أبنية ضخمة، وغيرها يخدم المدينة بكاملها. مقر بعضها الاحياء الشعبية الفقيرة ومقر البعض الآخر الضواحي التي تقطنها الطبقات المتوسطة. هذه المنظمات قد تشكّل الحركة الاكبر والاهم للمواطنين الامريكيين، وهي في صدد اعادة الشباب الى الاحياء السكنية، مغيِّرة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المدن وغارسة في النفوس الحس الاجتماعي فيما هي تعطي المواطنين سيطرة أكبر على حياتهم. يقول بابلو أيزنبرغ رئيس "مركز التغيير المحلي" وهو منظمة لا تتوخى الربح تدعم الجماعات المحلية: "لقد احدثوا فرْقاً عظيماً في نوعية الحياة لملايين الناس."

صباح يوم سبت اتجه المقيمون في اكثر من ٧٠ عمارة كبيرة نحو مدرسة حكومية محلية في جنوب فيلادلفيا ليختاروا تشكيلة واسعة من الاغراس هبة من شركة بنسلفانيا للبستنة. فعادوا بالاغراس الى أحيائهم وزرعوها في براميل خشبية في الشوارع والحدائق وعلى الشرفات. تقول مامي نيكولز المديرة التنفيذية لـ"اتحاد بوينت بريز" الذي رتّب المشروع: "كانت تلك الايام أكثر الاوقات إثارة لأنها جمعت كل أعضاء المحلة. وما كان جميلا جداً هو أنَّ الجميع عملوا سوية مساعدين بعضهم بعضاً."

يعود التقليد القاضي بان يتعاون الافراد في لقاءات المدينة و"عَوْنة" بناء الاهراء وانشاء التعاونيات الى الايام الاولى من التاريخ الامريكي. لكنَّ الزخم التعاوني الحالي أتى في مدى السنوات العشرين الماضية، مذ خضعت المناطق المدينية في أمريكا لتعديل جذري. فعندما أقفلت المصانع ومحلات البيع بالتجزئة هجر المقيمون القدماءُ الجوارَ تاركين منازل ومخازن خاوية. وإذ زادت التوترات العنصرية نسبة الهروب الى الضواحي بدأت المؤسسات المالية تشطب على الخرائط مناطق في قلب المدينة حيث ترفض أن تمنح رهوناً عقارية. وهكذا سارت نحو الانحطاط أحياء

كانت تزخر بالحياة. في تلك الاثناء أحدث احتشاد القادمين الجدد الى الضواحي المزدهرة ضغوطاً على التربية والنقل وغيرهما من المرافق العامة.

تطلع المواطنون المعنيون الى الحكومة طلباً للدعم، لكنهم غالباً لم يتلقوا الجواب الذي نشدوه. لذا بدأ المقيمون المحليون ينظمون شؤونهم عمارة اثر عمارة وحياً بعد حي. التقوا حول موائد الطعام وفي النوادي والمكتبات والمراكز. عملياً، كانوا كلهم متطوّعين يجهدون بأموال مجمّعة من هبات صغيرة ومآدب ومعارض في الشوارع.

متطوّعو الاحياء هم قلب الحركة الشعبية اليوم، لكنهم يعترفون بحاجتهم الى المساعدة. ويدعو القادة الى "المشاركة المدنية" التي تثبّت الوشائج بين الاحياء والدعم العام والخاص، بما فيه دعم الحكومة والمؤسسات التجارية والمنظمات الخيرية.

عندما عاد صموئيل سميث من خدمته العسكرية في فيتنام عام ١٩٦٧ الى حيه الذي كان مزدهراً في وسط فيلادلفيا حيث ترعرع، وجده "يبدو كما لو أننا خضنا الحرب فيه." كان التقهقر الذي بدأ يدب في الخمسينات يزداد من جرّاء الاهمال الرسمي.

نظّم سميث بمساعدة هيئة خيرية برنامجاً لتأمين الطعام للمحتاجين ومساعدتهم على دفع ايجاراتهم واشتراكاتهم في الماء والكهرباء وغيرهما من المنافع. واليوم أصبحت "الرابطة الوطنية الخيرية" أكبر جمعية للانماء الاجتماعي في فيلادلفيا، يعمل فيها ٣٠ موظفاً ومئات المتبرعين بموازنة تبلغ ٨،٤ ملايين دولار، تؤمنها مشاريع الرابطة والمساعدات العامة والخاصة. ولقد بنت، أو أعادت تأهيل، أكثر من ٢٢٥ وحدة سكنية، وهي في صدد إحياء جادة سيسيل مور، الشارع الرئيسي في المنطقة التجارية. وتدير الرابطة مخزناً للثياب والاثاث المستعمل، ومصنعاً لاعادة التأهيل المهني يؤمّن وظائف مطلوبة.

ويتذكر سميث، مؤسس الرابطة ورئيسها: "عندما بدأنا أولى خطواتنا قال الناس إننا نحاول المستحيل. والآن تراهم يسألون لماذا لا ننجز المزيد."

والواقع أن منظمات الاحياء تعمل على انجاز المزيد. فعلى غرار فريق صموئيل سميث نظم كثيرون في المناطق المحرومة رابطات لتنمية الاحياء تأخذ على عاتقها بناء المنازل والتنمية الاقتصادية. وقد يكون مشروعها مشغلا لاعادة التأهيل المهني أو مشروعاً سكنياً أو غير ذلك. وهدف هذه الرابطات اعادة الشباب الى حقول الاقتصادات المحلية وتأمين أعمال جديدة داخل المحلة. ويسأل سميث: "ما جدوى التأهيل المهني اذا لم تتوافر الاعمال محلياً؟"

والى هذا الانتشار في المهمات حصل انتشار في الجغرافيا. فالنادي القديم في أحد المباني الضخمة قد يتطور الى جمعية تشمل عدة أحياء أو الى مجلس بلدي لانماء المدينة كلها أو الى اتحاد

نقابات على امتداد الولاية. وعلى سبيل المثال، اشتركت مؤسسة "بيلد" في مدينة بالتيمور مع أحياء وشركات وجمعيات ومواطنين في مساعدة خريجي المدارس الثانوية على ايجاد عمل أو على متابعة دروسهم العالية. كما أن "شبكة التعاهد المتبادل" في تكساس، المؤلفة من ١١ منظمة والممثلة لمعظم مدن الولاية، تضغط لمزيد من النشاط الرسمي في التربية والصحة وغيرهما.

وفي حين ان هذه التحركات الذاتية سائدة في المناطق الداخلية والمعوزة من المدن حيث تعالج مسائل "البقاء"، تزدهر فرق أصغر في أحياء الكادحين وفي الضواحي حيث يسكن ذوو الدخل المتوسط والعالي.

على بعد كيلومترات من قلب مدينة فيلادلفيا، في حي مانايونك الذي يضم خليطاً اثنياً من الطبقة العاملة، يعمل مجلس الحي مع رجال الاعمال ومالكي المنازل على تخفيف التوترات بين المقيمين الجدد والمستوطنين القدامى وعلى منع النمو العشوائي الذي يهدّد الطابع التاريخي لمدينة المصانع الآلية. وقد نظم المواطنون أمورهم بحيث ينسّقون كل شيء، من مواقف السيارات الى النمو التجاري.

تقول دنيز شابلين التي ترئس المنظمة الخاصة لإنماء مانايونك: "يحتاج كل مُتَّحد الى هذه التنظيمات. فمن دونها، بكل بساطة، تكاد معظم الامور تتعثر."

اذا مشيت في فيلادلفيا فستشاهد بيوتاً مرمَّمة ومطلية وأرصفة للمشاة تظللها صفوف شجيرات وحديقة عامة صغيرة وحائطاً مزخرفاً بلوحة جدارية بدلا من الشعارات والكتابات السمجة. وسوف تجد مراكز صغيرة للشرطة، وعسسا لحراسة الحي ومستوصفات صحية. ولسوف تكتشف الناس الذين تغيّر نمط حياتهم.

هناك مثلا بات ريلي التي لم تعد تخشى أن تغادر منزلها بعدما عملت وجيرانها في قطاع وستر في فيلادلفيا بالتعاون مع السلطات لاخلاء ١٨ منزلا كانت مراكز لترويج المخدرات وتعاطيها. وهناك هارولدين تراور القاطنة في بوينت بريز منذ ٤٠ عاماً والتي اعتادت أن تقول: "قبل أن أموت، أود أن أرى شيئاً ينمو بين البيوت والمحلات التجارية." انها الآن تمشي في حي تتخلله الاشجار والأغراس والزهور، وتقول بفخر: "لقد انجزنا بُغيتنا، كنا سوية!"

كارل روان وديفيد مازي ■

اذا انتظرت عامل التصليحات فأنت تبقى طوال النهار في انتظاره. وإذا خرجت لخمس دقائق فانه يصل ويرحل في غيابك.

أ.ب.

قلب جديد لعمر

ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٤ نشرت الـ"ريدرز دايجست" ٣٣ مقالة طبية بعنوان "أنا عضو فلان..." و"أنا عضو فلانة..." كتبها ج. د. راتكليف، وفي كل منها دراسة عضو أو جزء من الجسم ودوره في حياتنا. وبهذه القصة عن "عجيبة" الطب الحديث، زرع القلب، تعود الـ"دايجست" الى هذه الكتابات التي لقيت رواجاً واسعاً. وفي المقالات اللاحقة ستعالج نواح مختلفة من صفحة "عمر" و"ياسمين."

ان مظهري في هذه اللحظة لا يشبه كثيراً قلباً بشرياً. فشكلي الاجاصي عادة فقد رونقه. وبدلا من النبض داخل صدر أحدهم تراني ملفوفاً بمناشف معقّمة ومغموراً بمحلول ملحيّ بارد ومحفوظاً باحكام داخل كيسين من النايلون ضمن وعاء مانع للهواء. وجميع هذه محفوظة في صندوق صغير معزول ومملوء بالثلج. وحرارتي التي تبلغ عادة ٣٧ درجة مئوية هبطت الى ٤ درجات.

فتلاحظ من هذا أن ثمة نية لزرعي. والشخص الذي سأنقل اليه يدعى عمر. وللوصول اليه تراني طائراً على متن نفاثة مستأجرة مع فريق طبي من أربعة أعضاء جاء لاخذي. فان لم تكن هناك عوائق فسأصل الى مستشفى عمر في أقل من ساعتين. ويجب أن تتم الاجراءات بسرعة لانني لا أعيش طويلا خارج الجسم.

مضخة جبارة. قبل ٢٦ ساعة كنت أنبض في صدر شاب عمره ٢٠ عاما ممتلىء عافية. واذا بحادث سيارة تسبّب في كسر فظيع في جمجمته. وأظهر تخطيط الدماغ ان الشاب فقد كل نشاط وبات عاجزاً عن التنفس تلقائياً. وأجريت فحوص أخرى اقنعت الاطباء بأن دماغه مائت وبأن الوسائل الميكانيكية وحدها تخول أعضاءه القيام بوظيفتها.

سألت ممرضة من "مكتب وهب الأعضاء" في المستشفى عائلة الشاب اذا كانت تفكر في التبرع بأعضائه. فتباحثت العائلة في ما بينها وأعطت موافقتها، وذلك اقتضى منها شجاعة ومحبة هائلتين. ففي عملية زرع القلب، يبعث ألم احدى العائلات أملا في عائلة اخرى.

واذ أثبتت سلسلة من الفحوص أني وبقية أعضاء الشاب أصحاء نخلو من المرض، هيأ لنا منسقو نقل الاعضاء "بيوتاً" جديدة بواسطة "الشبكة المتحدة للمشاركة في الاعضاء"(١). ووصلت الفرق الطبية المختصة قرابة السادسة مساء الى المستشفى. وكانت لعمليتي الاولوية فبدأوا بي.

لانتزاعي، بَضع جراحان شقاً طويلا نزولا من وسط الصدر. وقصّا عظم الصدر قسمين بمنشار جراحي آلي وشرّحا النسيج الواقي وأزاحا الضلوع جانباً. في الاحوال العادية أضخّ ٦٨٠٠ ليتر من الدم عبر ١٠٠ ألف كيلومتر من الأوعية الدموية كل ٢٤ ساعة. ولم يكن من سبيل لاجراء الجراحة وأنا أضخ. وللتمكن من انتزاعي عمد أحد الجراحين الى ربط شرياني الأورطي بملقط وحقن بيني وبين الرباط محلولا لشلّ القلب يتكون في معظمه من كلوريد البوتاسيوم.

أحسست بالتغير للحال. ففيما سرى البوتاسيوم البارد في شراييني التاجية، أخلّ بالتوازن الالكتروليتي (٢) الدقيق في خلاياي، فقصرت وتوقفت أنا عن النبض.

سجلت الممرضة لحظة التوقف تماماً – الساعة ٨،٠٧ مساء. وبهذا بدأ العد العكسيّ لفترة احتباس الدم عني. فأمامي خمس ساعات قبل أن يسبب لي نقص الاوكسيجين تلفاً عظيماً يجعلني غير صالح للزرع.

مرض غامض. قطع الجراحان الوصلات الرئيسية. فمن الأذين الايسر قطعا الاوردة الرئوية التي تجلب الدم المغذى بالاوكسيجين من الرئتين. وفعلوا الشيء ذاته بالوريدين الأبهرين الأعلى والادنى اللذين يحملان الدم الخالي من الاوكسيجين من الجسم الى الاذين الأيمن.

وفي الخطوة الثالثة، استخدم الجراحان المقصّ لقطع الشريان الرئوي الذي يخرج من البطين الأيمن ويبعث الدم الى الرئتين للتغذية بالاوكسيجين. والخطوة الاخيرة كانت قطع شرياني الأورطي، الرباط الاخير بجسمي القديم. والآن وقد أصبحت حراً كلياً رفعت من الصدر بعناية تامة.

اتصل أحد الجراحين بفريق الزرع الذي كان منتظراً في مستشفى عمر وأبلغه انتزاعي، وقال انني في طريقي اليهم. وفيما كنت محمولا بالطائرة رفع يده مودعاً زوجته واولاده وهو يُجرّ في عربة الى غرفة العمليات.

قبل تسعة أشهر كان عمر، وعمره ٣٨ عاماً، في صحة ممتازة. ثم لاحظ أن الرياضة باتت أكثر صعوبة عليه. وما لبث أن بدأ يلهث لأقل جهد ويشعر بالتعب في كل الاوقات.

---

(١) United Network for Organ Sharing

(٢) Electrolytic balance . والالكتروليت هو المنحلّ بالكهرباء.

وحين استشار طبيب قلب كانت سرعة نبضه نحو مئة في الدقيقة. وبدت دقات قلبه كعدو جواد. وكان كاحلاه متورمين، وهي حالة تعرف بالاستسقاء. وأظهر تخطيط صوتي للقلب أن قلب عمر تضخم الى ما يقارب مرة ونصف مرة حجمه الطبيعي، وكان يعاني ضيقاً في التنفس حتى وهو مضطجع. وتدعى مشكلة عمر "اعتلالا مجهول السبب في عضل القلب" (٣).

ان سبب المرض غامض. ويرتاب الباحثون بأن فيروسات شائعة هي أصل العلة، ولكن لا أحد يعرف لماذا تصبح هذه الفيروسات مميتة لدى بعض الناس ولا تمس آخرين. ومعظم الضحايا هم تماماً مثل عمر: شباب نسبياً وفي صحة جيدة. والواقع أن نصف الذين تزرع لهم قلوب يعانون أشكالا مختلفة من اعتلال عضل القلب. وثلثهم يعاني مرضاً حاداً في شريان تاجي، والباقون يعانون عللا وراثية أو مشاكل اخرى.

بلغ عمر حداً عجز معه عن العمل ولزم الفراش معظم الوقت. وكان زرع القلب فرصته الوحيدة للبقاء حياً. وأدرج اسم عمر ووزنه وطوله وفئة دمه على لائحة دماغ الكتروني محفوظة لدى "الشبكة المتحدة للمشاركة في الاعضاء." فكل سنة يرشح نحو ١٥ ألف أمريكي لزرع القلب، لكن عدد القلوب الموهوبة سنوياً ألف وخمسمئة. وكان عمر ينتظر دوره حين انتزعتُ.

سباق مع الوقت. بعد لحظات من هبوط الطائرة هُرع بي الى المستشفى، حيث عمر، في عربة اسعاف والى جانبي الفريق الطبي.

في غرفة العمليات كان فريق الجراحة في أعلى درجات التأهب. فُتح صدر عمر وكُشف قلبه. ووضعتُ أنا على طاولة، وقيِّدت على لوح أسود لحظة احتباس تدفق الدم عني - الساعة ٨،٠٧ مساء. والساعة الآن هي ١٠،٤٩ وقد مضت ساعتان و٤٢ دقيقة منذ انقطاع الاوكسيجين عني.

ربط عمر الى ماكينة "قلب - رئة" تسمى عادة "المضخة". وهي تقوم بوظيفة هذين العضوين مما يتيح جراحة في القلب بما فيها الزرع. والآن، كل دم عمر الوريدي يمر عبر غشاء اصطناعي يبدل ثاني أوكسيد الكربون بالاوكسيجين. وذلك ما يجري تماماً في رئتي عمر. وهذا الدم المغذى بالاوكسيجين يُضخ بعد ذلك في أنبوب آخر الى شريان عمر الأورطي ومنه خارجاً الى جسمه.

يسد فريق الجراحين الشريان الأورطي تحت الانبوب بملقط وينتزع قلب عمر القديم بالطريقة ذاتها التي انتزعني بها الفريق الواهب. والاجزاء التي يبقون عليها هي الجدران الخلفية للاذينين الايسر والايمن التي سترتبط بي رأساً.

يسجل مرور ساعتين و٣٤ دقيقة منذ احتباس الدم عني. تنزع اللفائف عني وتشذب بعض أوعيتي الدموية الزائدة طولا.

بعد ذلك أنزلق بأيدي الجراحين الى تجويفة صدر عمر حيث أستقر بديلا من قلبه القديم. ويبدأ الجراحون عملهم

(٣) Idiopathic cardiomyopathy

الدقيق الشاق بخياطتي الى جو، فيما يُدفق علي محلول ملحيّ بارد لحفظي بارداً ما أمكن. فيخيطون أولا أُذينيَّ الايسر والأيمن الى الجدران الباقية من أذيني قلب عمر القديم.

وينتقلون الى ربط أرومة شرياني الرئوي الى شريان عمر. لذلك يولج الجراحون في أطراف هذين الشريانين ابرة معقوفة كالشصّ ثم يسحبونها بواسطة كلّابات طويلة، ويكررون هذه العملية مراراً وهم يطوقون الشرايين. ويُقتضى اجراء هذه العملية بدقة متناهية لكي لا يحصل أي تسرّب للدم.

ويتطلع الجراحون الى اللوح الاسود فيجدون أن وقت احتباسي تجاوز ثلاث ساعات. ويتحول لوني رمادياً ضارباً الى الارجواني كلما طال افتقاري الى الاوكسيجين.

العودة الى العمل. وصل الجراحون الى المرحلة النهائية ولم يبق من الوصلات الاربع الاخيرة الا الشريان الأورطي. فيقيسون الطول بعناية للتأكد من عدم وجود فتلة في الأورطي لدى خياطة شرياني الى شريان عمر. وحين تحكم خياطة آخر قطبة يُحل ملقط شريان عمر الأورطي فيبدأ دمه يملأني. وتسجل احدى الممرضات الوقت: ١١،٤٦ ليلا. فتكون مدة احتباسي عن الدم طالت ٣ ساعات و٣٩ دقيقة. ويتفحصني الجراحون لكشف أي تسرّب، فيجدون تسرّبات صغيرة لا يلبثون أن يختموها.

في الحالة الطبيعية يحفزني صب الدم عبر الشرايين التاجية على بدء الضخ. لكنني ما زلت شديد البرودة الى حد أنني لم أنبض بل تلوّيت ورجفت بوهن. عندئذ تناول أحد الجراحين لوحين خاصين بكبح الانقباض العضلي ووضعهما على جانبيّ. وسرت فيّ رجة كهربائية خفيفة بقوة ١٠ واط / ثانية أي جزء من أربعين مما يعطى عادة لضحايا النوبات القلبية، فأحدث ذلك رجة دفعتني الى النبض بقوة. وكانت رؤيتي في غرفة العمليات وأنا أستعيد الحياة لحظة عاطفية لكثيرين.

وكلما حمي نشاطي أصبحت ضربات قلبي أكثر قوة. فازال الجراحون الانابيب التي تربطني الى ماكينة "القلب - الرئة" وتحول لوني الرمادي الازرق الى البنيّ الاحمر الصحيّ. وكلما ازداد خفقاني ازداد شعوري بالقوة. انني سعيد بالقيام بواجبي! لقد أصبحت قلب عمر.

وقبيل الاولى صباحاً انتهت الفحوص الحيوية واستعد جراحو عمر لاغلاق صدره. فوُصل عظم الصدر بسلك وختم جلد عمر بقطب ورزّات. وفيما كان الممرضون يجرون عمر في عربة الى غرفة الابلال كان جرّاحه يبلغ زوجته الانباء السارة: ان زوجها في حال ممتازة وأنني أقوم بوظيفتي على الوجه الاكمل.

في الصباح التالي أدرك عمر أنه لن يجاهد للتنفس بعد الآن. وفي غضون ٣ أيام شعر بالقوة فنهض وأخذ يمشي هنا وهناك. وبعد ٦ أيام من الجراحة ركب دراجة تمرين لاكثر من ٥ دقائق.

مشكلة مناعة. أنا لا أعمل بالضبط مثل قلب عمر الأصيل، لأنه أثناء الزرع اقتضى

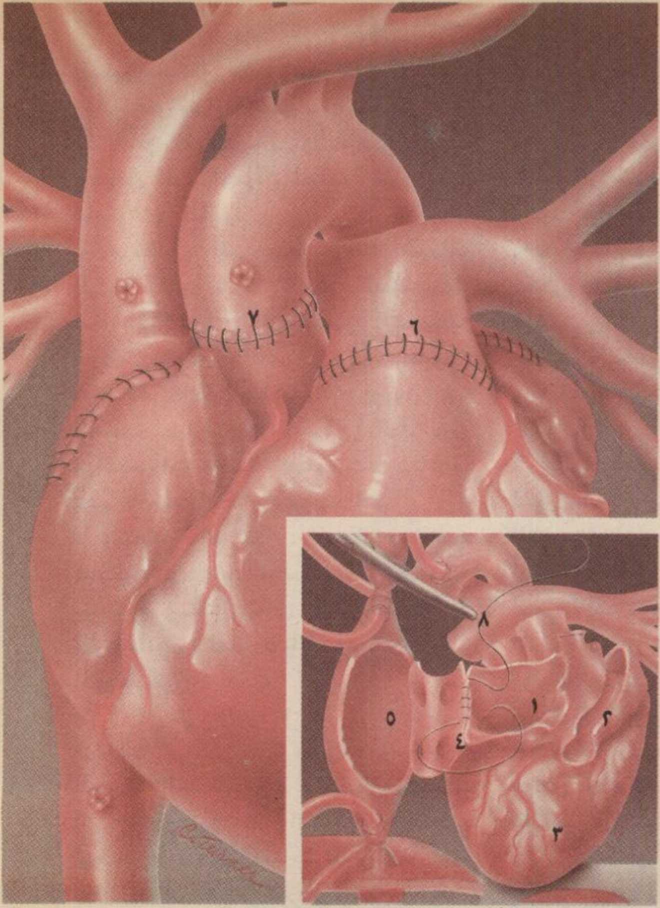

القلب المزروع

الأذينان الأيسر والأيمن (١ و٢) للقلب الموهوب (٣) يوصلان بالجدران الخلفية لأذيني قلب عمر (٤ و٥). ثم يخيط الجراحون الشرايين الرئوية (٦) وأخيرا الشريانين الاورطيين (٧). ويرخى الملقط (٨) الذي يسد شريان عمر الأورطي أثناء الجراحة، مما يتيح للدم أن يملأ القلب الجديد.

قطع كل الاعصاب الموصلة الى القلب ولا سبيل الى اعادة ربطها. وفي غياب الربط الى الجهاز العصبي اللاإرادي(٤) الذي يساعد في تنظيم أمور مثل ضغط الدم والنبض، فان سرعة نبض عمر وقت الراحة حلّقت من ٧٠ في قلبه القديم الى ٩٠ في الدقيقة، لغياب الدوافع العصبية التي تضبط النبض.

ولحسن الحظ لديّ جهاز مساند. ففي أذيني الأيمن، مباشرة تحت وريدي الابهر الاعلى، عقدة جيْبيَّة(٥) هي رزمة صغيرة من الخلايا المتخصصة تعمل كضابط إيقاع(٦). ولها ايقاع عال طبيعي مما يفسر سرعة نبض عمر وهو في حال الراحة.

---

(٤) Autonomic nervous system

(٥) Sinus node

(٦) Pacemaker

ILLUSTRATION: CYNTHIA TURNER

وتختلف استجابتي للتمرين أيضاً لاني لا أتلقى الدوافع العصبية التي تأمرني بالاسراع. وبدلا من ذلك فأن أوعية عمر السطحية تعيد اليّ الدم في وقت أسرع فأمتلىء في وقت أسرع أيضاً مما يزيد حجم الدم الذي أضخه في كل نبضة. وحين يتابع عمر التمرين تعي غدتاه الكظريتان(٧) مبلغ الاجهاد وتستجيبان بفرز هورمونات، فأحصل أنا وعمر على زخة جيدة من الادرينالين. وحين يبلغني هذا المنبه يحرك خلاياي فتزيد سرعة انقباضها.

بعد أسبوعين من زرعي غادر عمر المستشفى. انه في حال حسنة، انما هناك مشكلة بدأت تتفاعل. فجهاز مناعته مرتاب بي، فالبلاعم الكبيرة(٨) وخلايا الدم البيضاء الاخرى التي تقوم بوظيفة الرسل كانت تستكشفني منذ اللحظة التي زُرعت ولم يرُقها ما رأت. وبدلا من أن تجد مولدات مضادة(٩) مماثلة للتي تلتقيها على جميع الخلايا الاخرى في جسم عمر، أدركت هذه الرسل المستكشفة ان المولدات المضادة لدي مختلفة.

ترسل الخلايا - الرسل تقريرها الى "خلايا T " (١٠) التابعة لجهاز المناعة. وبالنسبة الى "خلايا T " فقد أكون مجرد جرثومة عادية، ووظيفتها هي مهاجمة الغرباء - أنا - وقتلهم.

والمشكلة التي يواجهها عمر وأطباؤه وأنا هي موازنة مستوى العقاقير التي تكبح المناعة. فاذا كانت الجرعات قوية جداً فانها تخفض نشاط جهاز مناعته الى حد يصبح معه معرضاً كلياً للعدوى. أما اذا لم يتناول منها كفاية فيزداد خطر نبذ جسمه اياي.

وهناك مشكلة أخرى. فالعقاقير الثلاثة التي تكبح المناعة والتي وصفها طبيب عمر كلها تسبب أعراضاً جانبية.

فالعقار "بريدنيزون" وهو نوع من "ستيرويد" يعطي عمر مظهراً حالماً ويسبب ترجحات مزاجية. و"سيكلوسبورين" قد يتلف الكليتين وبسببه ارتفع ضغط دم عمر. والعقار "أزاثيوبرين" يقمع كل خلايا الدم البيضاء، وليس فقط خلايا المناعة المستهدفة، فالجرعات القوية تعرّض الجسم للاصابة بأمراض شائعة.

ترسانة طبية. يعيد الاطباء عمر الى المستشفى لاجراء فحوص روتينية. واذ لم تتوافر بعد فحوص تثبت عدم نبذ القلب المزروع فقد أرسل الاطباء عمر الى مختبر قثطرة القلب (تمييله) حيث أولجت قثطرة في وريده الوداجي (العنقي). وظل عمر في وعي تام وكان يتكلم مع أحد المساعدين فيما الطبيب يُزلق اداة رفيعة لدنة قابلة للالتواء تسمى "بايوبتوم" نزولا في الوريد الى البطين الايمن. وللبايوبتوم فكّان قاطعان كالموسى وبحجم الملقط يفتحان ويغلقان.

وفوق صدر عمر مباشرة المكشاف الفلوري(١١) الذي يتيح للطبيب أن يوجه

---

(٧) Adrenal glands

(٨) Macrophages

(٩) Antigens

(١٠) T cells

(١١) Fluoroscope . وهو أداة لكشف التكوين الباطني للجسم الحي بواسطة الأشعة السينية (إكس).

الآلة الى بطين عمر الايمن. فيعصر الطبيب الزند ثم يسحب البايوبتوم مستأصلا نسيجاً مني.

في المختبر اختصاصيون بعلم الامراض يحللون نسيجي، فيجدون مجموعات من خلايا الدم البيضاء تحيط بقطع صغيرة من عضل القلب التالف، وذلك دليل لا يدحض على النبذ. عمر وأنا في مأزق. فيزيد أطباء عمر جرعات أدويته. انما بعد أسبوعين يكشف فحص النسيج الحي أني ما زلت في حال غزو.

ولم يبق للاطباء سوى "بندقية" واحدة يطلقونها وهي "موروموناب CD3 "(١٢). فبفضل تقنية قطع الجينات ووصلها (١٣) أمكن انتاج «OKT3» الذي يسميه الاطباء جسماً مضاداً وحيد النسيلة(١٤). وبدلا من ابطال تأثير الفيروس أو الجرثومة فان «OKT3» معدّ للتعرف الى "خلايا T" وابطال مفعولها. انما، لسوء الحظ، يبطل «OKT3» مفعول "خلايا T" في كل الجسم، مما يتسبب في فقدان المناعة عموماً ويجعل عمر اكثر تعرضاً للعدوى.

بعد اسبوعين من معالجة عمر بالـ «OKT3» أظهر فحص النسيج أن "جيش" مناعته آخذ في التقهقر. فعاود عمر ممارسة الرياضة واشتاق للرجوع الى عمله. وهو يشعر بأنه ولد من جديد، من نواح كثيرة، لكنه يعلم أن الطريق ستظل صعبة.

(١٢) Muromonab CD3 «OKT3»

(١٣) Gene — splicing techniques

(١٤) Monoclonal antibody

(١٥) Bypass surgery

ان خطر النبذ لا يزول كلياً. ويواجه عمر هماً آخر. فلئن تكن شراييني جاءت من رجل أصغر منه بـ١٨ سنة، إلا اني أواجه خطراً متنامياً من الاصابة بمرض سريع التطوّر في الشريان التاجي. وما زال الباحثون في زرع القلب يجهلون لماذا يحدث ذلك، لكن الانسدادات قد تتكوّن على امتداد "شجرة" الشرايين التاجية. فهي تحدث في نحو نصف حالات زرع القلب. والجراحة المجازية(١٥) لا تجدي هنا والعلاج الوحيد هو اجراء زرع ثان.

حالياً، على عمر أن يعيش يوماً يوماً. ففحوصه الاخيرة وصحته العامة تستمر حسنة، ولديه ٨٠ في المئة من الحظ في البقاء حياً لسنة واحدة و٧٦ في المئة للبقاء خمس سنوات.

بعد ثلاثة أشهر من الزرع عاد عمر الى وظيفته وهو يشعر بامتنان عميق لعائلة الشاب التي أعطته فرصة ثانية للحياة. أما أنا فيغمرني شعور أرتاح اليه ويزداد يوماً بعد يوم وهو أني في منزلي.

جون بيكانن ■

ترغب مجلة "ريدرز دايجست" في التعبير عن شكرها لمعاهد "جونز هوبكنز" الطبية في بلتيمور للمساعدة القيمة التي قدمتها، وللافراد الآتية أسماؤهم على نحو خاص: الدكتور وليم بومفارتنر مدير قسم زرع القلب والقلب - الرئة، الدكتور بروس رايتز مدير قسم جراحة القلب، الدكتور ستيفن آشوف مدير قسم أبحاث القلب العيادية، الدكتور كينيث بومان مدير قسم اعتلال عضلة القلب، الدكتورة آهفي هير سكوفيتز الاختصاصية بعلم المناعة. ونقدر أيضاً ارشادات ليديا راتكليف ابنة منشىء سلسلة "أنا عضو جو."

قدّم كتاباً هدية، فيمكنك استعارته دائماً. ج.غ.

العون يأتي أحياناً
على نحو غير منتظر

أمثولة الصّقر

يقول لك الناس ان تحليق المرء في الجو متعلقاً بمزلقة(١)، رياضة خطرة. لكن الخطر ليس ما تفكر فيه وأنت تقفز من جرف عال الى الفضاء. بل أنت تفكر في الرياضة، في الاثارة غير المغلولة للدوران حراً في الفضاء. انها أقرب شيء الى الطيران المحض يمارسه انسان. هناك أنت، والجناح، والريح، لا غير.

وهكذا كان الخطر أبعد شيء عن ذهني في ذلك اليوم من شهر يوليو (تموز) عندما قدت سيارتي الى جبل واشنطن في شمال ولاية نيويورك. تطلعت من حافة على قمة الجبل فرأيت أن أحوال الطيران كانت مثلى: سماء صافية، ونسيم شمالي غربي لطيف سرعته قرابة خمسة وعشرين كيلومتراً في الساعة. لا أحد حولي. ركبت جهازي ورفعت المزلقة فوقي. ووقفت بضع لحظات في الشمس الدافئة مأخوذاً بالمشهد.

(١) Hang gliding

CONDENSED FROM GUIDEPOSTS (SEPTEMBER '88) © 1988 BY
GUIDEPOSTS ASSOCIATES, INC., CARMEL, N.Y. ILLUSTRATION: JEFFREY TERRESON

واذ جثمت قرب حافة الجرف أكد لي الحفيف المألوف لرؤوس الاشجار أن تياراً حرارياً (٤) آت. والتيار الحراري هو دفق صاعد من هواء أكثر سخونة يتكون من تحمية الشمس للارض على نحو غير متساو. في يوم طيران جيد تستطيع أن "تركب" التيار صعداً الى أسفل السحاب.

ركضت بضع خطوات، وقذفت نفسي الى الفضاء. كانت القوة المفاجئة التي واجهتني عنيفة بحيث كاد قضيب التحكم يفلت من يدي. لم يسبق أن ارتفعت بمثل هذه السرعة.

قبل أن ينتهي صعودي دل مقياس الارتفاع على أنني أصبحت على علو ١٣٠٠ متر فوق الجبل، وبدأت أهبط تدريجاً. فجأة ضربتني هبَّة قوية دفعتني هذه المرة الى الوراء. تلاعبت بقضيب التحكم لتوجيه "أنف" المزلقة الى اسفل، لكنني لم أتمكن من اختراق الهواء العاصف.

انني الآن أسقط بسرعة تنذر بالخطر. لقد وقعت في مدّ هوائي معاكس وكنت ماضياً الى كارثة. ثم رأيته، صقراً أحمر الذيل. كان على بعد مترين من رأس الجناح الايمن يصارع العاصفة ذاتها. فكرت في نفسي: انه لأحمق! ماذا يفعل؟ الصقر طائر ذكي جداً لا يعلق بريح كهذه.

نظرت الى أسفل: أنا على ارتفاع تسعين متراً عن الارض، وما زلت أهبط والشجر تحتي مثل حراب مصوبة.

نظرت الى الصقر ثانية. فجأة مال على جانبه وطار في اتجاه الريح. في اتجاه الريح! ان السلوك الصحيح هو التحليق في عكس اتجاه الريح! الصقر الاحمق ينتحر.

أصبحت على بعد ستين متراً عن الارض. راودتني فكرة: اتبع الصقر يا رجل! كان ذلك منافياً لكل ما أعرفه عن الطيران. لكن معرفتي كلها باطلة الآن. أنا تحت رحمة الريح.

وتبعت الصقر.

صرت على ارتفاع ثلاثين متراً من اليابسة. فجأة ارتفع الصقر. وللحظة قصيرة بدوت معلقاً في الفضاء بلا حراك، ثم هبَّت موجة هواء ساخنة بدأت تدفع المزلقة الى فوق. فذهلت. لا شيء مما أعرفه كطيار يفسر هذه الظاهرة. لكن الامر كان حقيقياً: كنت أرتفع. تطلعت حولي لكني لم أرَ الصقر في أي مكان. لقد توارى في السماء الصافية.

بعد هبوطي بالمزلقة جلست على العشب وفكرت كم كنت قريباً من الموت. وبعين بصيرتي ظللت أرى الصقر، ذلك المخلوق الجميل غير المنتظر الذي حلق بجانبي على نحو لا يقبله العقل وقادني الى السلامة بطريقة لا يمكن شرحها.

لقد مرت بضع سنوات على ذلك اليوم. وعرفت منذ ذلك الحين أياماً حلوة وأياماً مرة. فاذا ما شعرت يوماً بأنني فقدت سيطرتي على أمور حياتي فانني أتطلع الى السماء، الى ذلك الصقر. انه دائماً هناك.

رونالد بنكرتون ■

(٤) Thermal

العناد قوّة الحمقى. — مثل الماني

أطفالُ من العالَم

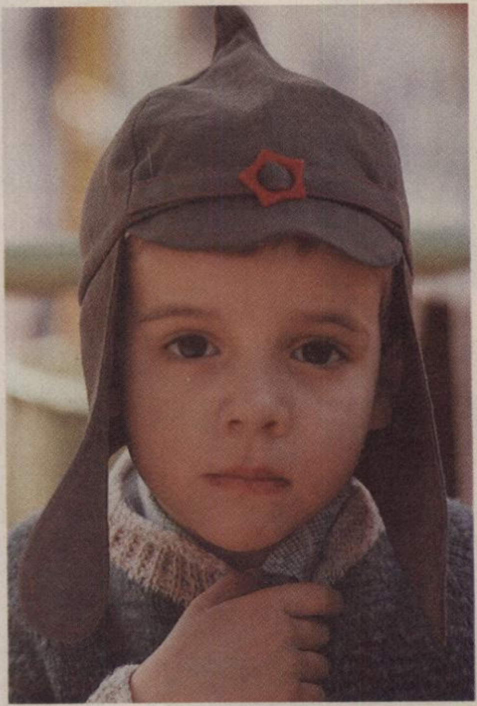

طفل روسي في موسكو.

أينما أذهب أرَ أطفالا من كل أشكال المجتمعات: من مخيمات اللاجئين وأحياء البؤس الى رخاء البلاطات الملكية. ولطالما أثّرت فيّ صلابتهم وتكيفهم وقدرتهم على الثبات وتدبُّر الطعام وتحمّل الجور والالم. كما فوجئت على نحو خاص بسهولة انخراطهم في اللعب مهما أحاط بهم من شظف العيش.

لقد أمضيت سنين كثيرة أجوب أصقاع العالم فالتقط صور الحروب والمجاعات وحفلات التتويج، وكلها أمور تحظى باهتمام الراشدين. الا أنني ◄

CONDENSED FROM PARADE (AUGUST 9, '87), © 1987 BY
PARADE PUBLICATIONS, INC., NEW YORK, N.Y. PHOTOS: © EDDIE ADAMS

وجوه فرحة لاطفال كمبوديين في تايلند.

صغيرة لم تنتبه للكاميرا تؤدي حركة بهلوانية في احدى حدائق امستردام (هولندا).

"سنيور" اسباني صغير في مدريد.

► أدركت منذ زمن بعيد أنها مواضيع يتأثر بها الاطفال أيضاً وتهتز لها مشاعرهم. لذا بدأت التقاط صور لهم. وكانت براءتهم وانفتاحهم متعة وباعثاً على التصوير، ولم يغب عن البال أبداً أنهم يعيشون في عالم لا يد لهم في صنعه.

الاطفال يحيطون بنا. انهم يمثلون ربع سكان العالم. وليسوا مجهزين للدفاع عن أنفسهم، لذا هم مضطرون الى الاعتماد على ما تقدمه اليهم. انهم ضحايا الظروف.

الاطفال مصدر بهجة لنا، ودموع، ومسؤولية. لكنهم قبل كل شيء مصدر أمل. انهم أطفالكم، انهم أطفالي، انهم أطفال العالم.

إدي أدامس ■

تلاميذ يابانيون في نزهة.

آنسة انكليزية أمام الكاميرا في لندن.

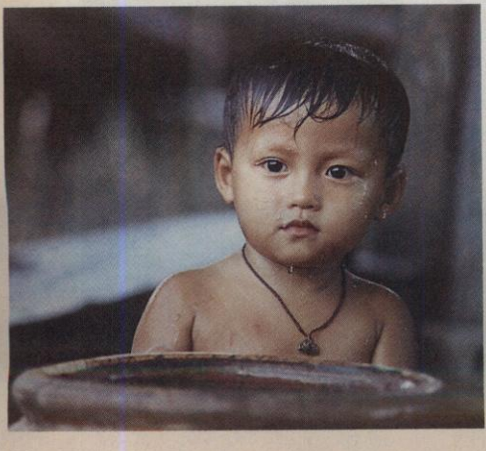

طفل فيتنامي "يعيش في عالم لم تكن له يد في صنعه."

طفلان يلعبان
في فناء احدى مدارس لندن.

صبي اثيوبي
في مدرسة.

هذا الصبي الافغاني
وجد ملاذاً في باكستان.

لاجىء صغير من لاوس الى تايلند.

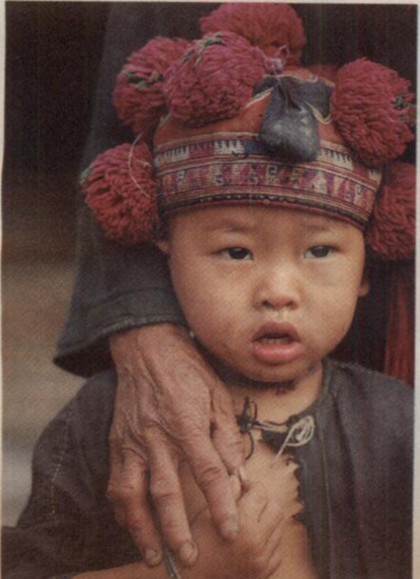

تلميذات مسلمات.

(فوق) طفلان أمريكيان - آسيويان يتعانقان بفرح في كوريا.
(الى اليسار) "منبوذان" في شمال الهند.

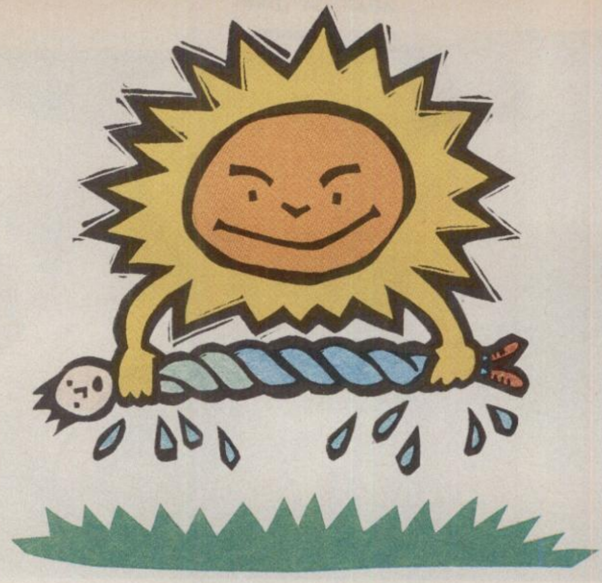

الرطوبة مزعجة. ولا فرق اذا اصطفت في الريف أم "تقليت" حراً في المدينة

الرطوبة تضعف النشاط الجنسي!

عندما يتحول الطقس في وسط غرب أمريكا الى الرطوبة يشحّ در الحليب لدى أبقار "هولشتين" الممتازة وتقل مواليدها.

وفي الجنوب تشتد الرطوبة صيفاً. ويتندَّر الظرفاء المحليون بأنك في تلك الفترة قد تشاهد كلب صيد يطارد أرنباً وكلاهما ماشيان على مهل.

وفي الايام الحارقة في واشنطن قبل أن يسمح لأفراد حرس الشرف في الجيش الامريكي بارتداء قمصان قصيرة الاكمام، كانوا يقصّون ظهور قمصانهم المنشاة البيضاء وأكمامها ويثبتون أطراف الأكمام بالدبابيس الى ستراتهم الزرقاء. فحافظوا بذلك على أناقتهم الرسمية وظلوا يشعرون ببعض الانتعاش والبرودة.

ILLUSTRATIONS: ROBERT ZIMMERMAN

فما هو هذا الشيء الحار الرطب حولنا الذي يزعجنا ويؤثر في أجسادنا وعقولنا وحتى في محتويات جيوبنا؟ الجواب من دون شك هو الرطوبة. وهذه، ببساطة، مقياس لكمية الماء في الهواء. وتقاس الرطوبة النسبية، وهو التعبير المستعمل عادة للدلالة على كمية الرطوبة في الجو، بمقارنة بخار الماء الفعلي بكمية الماء التي يمكن الهواء أن يمتصّها في درجة معينة من الحرارة. وكلما زادت سخونة الهواء زادت قدرته على استيعاب الماء. فحين تكون الحرارة ٣٢ درجة مئوية يمكن الهواء استيعاب ضعفي كمية الماء التي يقدر على استيعابها في حرارة تبلغ ٢١ درجة مئوية.

المحيطات هي المصدر الرئيسي للرطوبة. انما النباتات تضيف رطوبة الى الهواء أيضاً. ففي يوم واحد قد تطلق غابة مساحتها ٤٠ ألف متر مربع ٧٦ ألف ليتر من الماء في الهواء، أي ما يكفي لملء بركة سباحة عادية. والمجفّف في المصبغة يزيل الماء من الثياب المبلّلة، فيزيد في الرطوبة. وحتى التنفّس يساهم في هذه العملية، ففي كل زفرة ننفث في الجو نحو نصف ليتر من الهواء الرطب.

وباستخدامه أدوات قياس معقّدة نجد العلمَ آخذاً في التعلّم أكثر عن التأثير العميق والمدهش للرطوبة في كل منا.

في صيف ١٩٨٧ اتصل أشخاص حانقون بمحطة تلفزة في شمال شرق وسكونسن، مشتكين من عدم وضوح الصورة ورداءة الالتقاط. ويذكر المهندس المسؤول: "الذي حدث هو أن الرطوبة كانت تعبث باشاراتنا. انما حين اجتاحت الولاية موجة من الهواء الجاف انخفض عدد الشكاوى بحدة."

والرطوبة تسبب المتاعب أيضاً لعالمنا الميكانيكي. فتكثف الماء على رؤوس مسجلات الفيديو وأشرطتها يؤدي الى بث صورة مخطّطة. والرطوبة تقصّر عمر المشعل الكهربائي والبطاريات الكاشفات الدخان (للانذار بالحرائق). وحين يكون الطقس لزجاً تبتل الاحزمة المطاطية التي تسيّر المروحة ومكيف

الهواء والمحرك الكهربائي تحت غطاء محرك السيارة، وترسل صريراً.

وتتسبب الرطوبة أيضاً في تغيّر "دوزنة" البيانو بمثل لمح البصر. فخلال حفلات الصيف الموسيقية تدوزن البيانوات في متنزّه "وولف تراب فارم للفنون الأدائية" في فيينا بولاية فرجينيا مرتين يومياً. ويقف المدوزن في جناح المسرح حيث لا يراه النظّارة، جاهزاً لاجراء التعديلات الطارئة أثناء الأداء.

وتعجل الرطوبة تلف صور العائلة وتتلف تحفاً اثرية لا تقدر بثمن. روافد منزلك الخشبية والأبواب وأطر النوافذ تمتص زائداً من الرطوبة فتتمدد، ويداني انتفاخها ٣ في المئة وفقاً لنوع الخشب وتعرّقه وموضعه.

والرطوبة الفائقة تنمي آفات زراعية تصيب البطاطا ومحاصيل اللوبياء والفاصولياء والفول مما يرفع أثمان الغذاء، وتتسبب في "صدأ الحنطة" الذي يؤثر في أسعار منتجات الحبوب.

وقد أظهر مسح حديث في خمس ولايات شمل ١٥٠٠ موظف في ١١ من الصناعات الرئيسية، أن الحوادث اثناء العمل زادت ٣٣ في المئة حين بلغت مستويات الرطوبة ٨٠ في المئة أو أعلى.

وفي دراسة في شيكاغو تبين أن أغلاط السكرتيرات في الاختزال والطبع على الآلة الكاتبة زادت ألفاً في المئة حين ارتفعت الحرارة والرطوبة.

تدل الابحاث على أن جو الصيف الذي يبدو لطيفاً في حرارة تبلغ ٢٧ درجة مئوية، تحوله الرطوبة النسبية البالغة ٩٠ في المئة الى جو يُشعر بأن ثمة موجة حر قوامها ٣١ درجة مئوية. فالهواء الجاف يمتص العرق بالسرعة التي تفرزه ملايين الغدد في الجسم، وبذلك نحتفظ بالبرودة. أما الهواء المشبع بالرطوبة فيعجز عن امتصاص العرق الذي يتكون على الجلد فترتفع حرارة الجسم ونشعر بالتعاسة.

وتؤثر الرطوبة في صحتنا أيضاً، فتزداد أوجاع الرأس ونوبات القرحة وتخثّر الدم والطفح الجلدي في الطقس الحار الرطب. ومنذ العام ١٩٨٧ أجرت "عيادة الصحة والوزن والاجهاد" في مستشفى جونز هوبكنز في بلتيمور بولاية ميريلاند فحصاً على نحو ١٧٠٠ مريض لمعرفة استجاباتهم للرطوبة المرتفعة. فأفادوا بزيادة في الدوار (الدوخة) وأوجاع المعدة وآلام الصدر والتشنجات والاضطرابات النظرية.

واذ تزداد الرطوبة يزداد العنف في المدن وتكثر الوفيات الطبيعية وتساء معاملة الزوجات. وقد ينخفض النشاط الجنسي.

وتذوي المظاهر الخارجية أيضاً، فيبرز الطفح على الجلد الزيتي. ويمتص الشعر زيادة من الرطوبة فيتمدد نحو ٢،٥ في المئة طولاً، وهذا يجعل الشعر الجعد هشاً

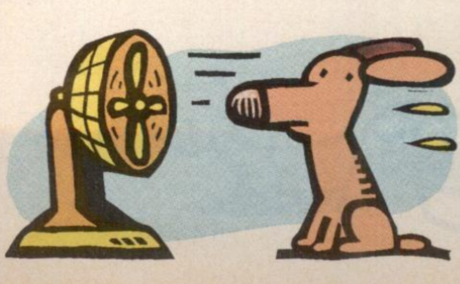

والشعر الاملس "ذابلاً." وقد ولولت صاحبة دار للتجميل خلال احدى موجات الحر الدبقة في أتلنتا بولاية جورجيا: "تجعلني الرطوبة أشعر كأني فراش مبعثر."

والى الشعور بالمهانة، تظهرنا الرطوبة أكثر بدانة. تقول ماريا سيمونسن من "عيادة الصحة والوزن والاجهاد": "حين ترتفع الرطوبة النسبية يتشرب الجسم مزيداً من الماء من القناة المعوية مما يسبب انتفاخاً قد يزيد ٢،٥ سنتيمتر على محيط الخصر والرجلين."

انما ليست كل الاخبار عن الرطوبة سيئة، اذ ان الهواء المكثف بالماء قد يكون منقذاً لحياة المصابين بذات الرئة والتهاب الشعيبات الهوائية وعلل أخرى مرتبطة بالرئتين. كما أن العدسات اللاصقة مريحة أكثر في الطقس الرطب.

ومع ذلك فان قسوة تطبع الايام حين يبدو الصيف كأنه يغلي. وهنا نصائح مفيدة تمكّن الذين لا يقتنون مراوح ومكيفات هواء من قهر الحرّ:

(★) Metabolism. والايض هو مجموع العمليات الكيميائية في الخلايا الحية.

• ادغار فولك أستاذ علم وظائف الاعضاء في جامعة أيوا يؤيد أخذ "دوش" ساخن. وينصح بحفظ الماء دافئاً. والماء الدافىء يجعلكم تعرقون أكثر، لكن ذلك مفيد. فبزيادة حجم الدم وتوسيع الاوعية الدموية تؤقلمون أجسامكم مع الطقس.

• خففوا من الاكل لأن الأيض (★) يرفع حرارة الجسم. واشربوا ماء كثيراً ولكن قللوا من المشروبات التي تحتوي على الكافايين، فهذا مدرّ للبول ويتسبب في جفاف الجسم. خففوا الكحول والمشروبات المحلاة، لأن الكحول يجفف الجسم والسكّر يؤخر امتصاص الماء.

• ارتدوا ملابس ملائمة. الملابس القطنية الفضفاضة تزيد مجرى الهواء، فتُلتقط الرطوبة من الجسم وتبقي حرارته منخفضة.

انما في بعض الاحيان ليس ثمة ما يفيد في معالجة الرطوبة. تتضاءل الطاقات وتتلاشى أمضى العزائم. ومتى حدث ذلك فانحوا باللوم على راصد الاحوال الجوية، فهو معتاد ذلك.

باتريشا سكالكا ■

مفاجأة ثانوية

عندما كنت تلميذة في المدرسة الثانوية، دعاني زميل لي لحضور فيلم سينمائي. فاستعرت اجمل ملابس اختي الكبرى، وتبرّجت على أفضل وجه. وعندما التقينا، نظر اليّ مستغرباً ثم قال: "لماذا لم تأتي بلباس المدرسة الموحّد؟ فكنا استطعنا شراء التذاكر بنصف الثمن."

ب.ل.

لا شيء يوبّخ الضمير مثل دراجة ثابتة لا تستعملها.

أ.ب.

تعاونت نيكي دو سان فال وجان تينفلي على ابداع "نافورة سترافنسكي" في باريس.
(الى اليمين) نيكي تعمل على "العاشق" أحد تماثيل حديقة تارو.

على رغم الامراض التي لازمتها ثابرت هذه الفنانة المتفانية على إسعاد جمهورها

فنانة الغرائب

تعيش في "ابي هول" مهيب ابيض كالثلج، وهو بناء يرتفع خمسة عشر مترا نصفه امرأة مثيرة ونصفه الاخر اسد مغرور. غرفة الجلوس في بطن الاسد، أما الحمام وفيه حوض له شكل افعى فمخبأ في صدر المرأة. وقد تحقق هذا الابداع على يدي قاطنته نيكي دو سان فال احدى اشهر النحاتين في ايامنا. وتتصدر اعمالها العملاقة الزاهية الالوان

PHOTOS: LEONARDO BEZOLA

المعارض والمجموعات الفنية من نيويورك الى طوكيو.

أما "الامبراطورة" الضخمة، وهو الاسم الذي اطلق على بناء ابي الهول هذا، فهي واحدة من اثني عشر تمثالا سيستغرق بناؤها تسع سنوات، تنتصب في حديقة منحوتات مذهلة هي حديقة تارو في توسكانا بايطاليا. وتدعو نيكي المجموعة "نتاج عمري". وحين تكتمل سوف تضم اثنين وعشرين تمثالا يصل ارتفاع بعضها الى ٢٥ متراً. ويرمز كل تمثال الى شخصية من مجموعة "بطاقات تارو" التي تمثل القرون الوسطى مثال "الساحر وسيدة الهيكل" و"العاشق" و"القمر" وقد نفذها خيال نيكي الخلاق. وعلى غرار ابي الهول فان عدداً من هذه التماثيل الخلابة صالح للسكن مما يجسد ايمان نيكي بأن الفن والحياة يجب الا ينفصلا.

لاقى مشروع نيكي تجاوبا وحماسة عظيمين. ويقول بونتوس هولتن: "إن حديقة تارو التي تحييها نيكي هي احدى عجائب العالم". وكان هولتن مديراً لـ"مركز بومبيدو" في باريس من العام ١٩٧٣ الى العام ١٩٨١، واسس لاحقاً "متحف الفن المعاصر" في لوس انجلس بكاليفورنيا، وهو مسؤول اليوم عن مجموعة "بالاتسو غراسي" الفنية في البندقية. ويضيف: "ان منحوتات نيكي غاية في البراءة والحرية والنضارة، حتى ان المرء يدرك ذروة البهجة بمجرد نظره اليها."

الرسم الشافي. مبدعة هذه المنحوتات البهيجة سيدة في التاسعة والخمسين عانت الكثير في سبيل تحقيق شهرتها.

ولدت كاترين ماري - أنييس دو سان فال في نويي - سور - سين بالقرب من باريس في عائلة أريستوقراطية ثرية. وكانت في الثانية من عمرها عندما انتقل ذووها الى نيويورك حيث ادخلت مدرسة محافظة. وهي اخبرتني: "عشت طفولة صعبة". وعندما تستعيد الماضي وتغرق في ذكرياته يتضح لها أنها لم تنسجم مع تقاليد العائلة وكانت تختلف كلياً عن أختيها وأخويها.

في سنها الثامنة عشرة تزوجت شاعراً وروائياً شاباً طموحاً يدعى هاري ماثيوز، ولم يكن أهلها راضين عن زواجها. وولدت ابنتها لورا عام ١٩٥١، وانتقلت العائلة بعد سنة الى فرنسا. ويتذكر ماثيوز: "في صيف ١٩٥٣ اعترضت زواجنا ازمة خطيرة، فكان أن أصيبت نيكي بانهيار عصبي حاد."

وازدادت حالها سوءاً، فأدخلها هاري مستشفى في نيس حيث خضعت لعلاج بالصدمات الكهربائية. وبعد الجلسة العاشرة حصل امر لم يكن في الحسبان: "بدأت أرسم برغبة قوية لا تقاوم. وكان الامر أشبه بسيل تدفق من نبع غير مرئي. وتنوعت رسومي وتناولت أناساً وصوراً وأشكالا غير واضحة. وكان قلقي يتبخر لحظة امسكاي قلم الرصاص."

ذات يوم أهدى اليها صديق مجموعة من الارياش والصباغ الفواشي(١) فباشرت ترسم على نحو مسعور بالرغبة الجامحة ذاتها التي دفعتها الى الرسم بقلم الرصاص. وسرعان ما بدأت صحة

(١) الفواش طريقة في الرسم بالألوان المائية.

نيكي تتحسن. وبعد مضي ثلاثة اسابيع على دخولها المستشفى سمح لها طبيبها بمغادرته.

أدركت نيكي أن أزمتها النفسية المرعبة الناجمة عن مشاكلها الزوجية تعود الى مخاوف وعدوانية مكبوتة وضياع بين وفائها لذويها وتربيتها الصارمة ورغبتها الجامحة في العيش على طريقتها الخاصة. وبعد مضي نحو سنة على شفائها انتقلت وزوجها الى جزيرة مايوركا الاسبانية حيث ولد ابنهما فيليب عام ١٩٥٥.

"لوحات" غريبة. في البدء صرفت نيكي النظر عن موهبتها واعتبرت أن رسومها العابثة لا تتمتع الا بقيمة شفائية: "لم يخطر في بالي يوماً أن أصبح رسامة. أردت أن اكون مخرجة مسرحية أو ممثلة". ونيكي دو سان فال هي في الواقع ظاهرة قل مثيلها، فهي فنانة أدركت عالم الشهرة من دون الخضوع لأي تدريب فني احترافي.

في مايوركا لم تكف عن الرسم. وذات يوم شاهد مدير معرض سويسري يمضي اجازاته في الجزيرة بعضاً من لوحاتها واقترح أن يقيم لها معرضاً. فكان لمعرض ١٩٥٦ في سان غالن بسويسرا معنى كبير بالنسبة الى نيكي إذ شعرت بأنها بدأت تصبح فنانة محترفة ناضجة. لكن هذا الشعور اوقعها في مرض مضن آخر. فالنشاط المفرط لغدتها الدرقية سبب لها نقصا كبيراً في الوزن ترافق مع ضعف في الوظائف الهضمية والتنفسية وزادت حدته نوبات متتالية لذات الرئة (بنومونيا). لكنها استطاعت متابعة العمل. وبعد سنتين تماثلت للشفاء على اثر جراحة ناجحة.

ولما استرجعت قوتها أكبت بكل طاقاتها على الرسم. وتوصلت بعد سنة الى قرار بالغ الاهمية، فهي عزمت على أن تستأنف حياتها ولكن بمفردها: "كنت أحب عائلتي كثيراً وقد شارفت الثلاثين، ومع ذلك شعرت بأن ما من وسيلة اخرى للعيش الا بتكريس حياتي لفني."

استأجرت محترفا في باريس وغرقت في العمل. وبعد فترة قصيرة أثارت تقنيتها الجديدة استياء عارماً في

"الساحر وسيدة الهيكل" احدى منحوتات حديقة تارو.

الـ"نانا" تعبير نموذجي عن مباهج الحياة.

الحلقات الفنية: كانت تلصق اشياء غريبة من علب لبن فارغة وبطاريات مرمية وازهار مجففة على لوح خشبي، وتعمد الى الجص فتصبه فوقها، ثم تعلق فوق هذه "اللوحة" الغريبة اكياس طلاء مختلفة الالوان، وبعدما تثبتها خارج المحترف تطلق نار مسدس على أكياس الطلاء وتقف وقد ملأها الرضى تشاهد جداول من اصفر وازرق وبرتقالي واسود تسيل وتقطر على نتاجها.

النانا البهيجة. اعتبر البعض تصرفات نيكي ضرباً من الدعاية، لكن جان تينغلي وهو نحات معروف وزوج نيكي الثاني كان له تفسير مغاير: "إن رغبة نيكي العارمة في ان تصبح فنانة تكرس وقتها لفنها امدتها بالقوة لتغير حياتها جذريا. ولكن عندما هجرت زوجها واولادها شعرت بأن العالم كله اصبح ضدها وانها عرضة لانتقامه ولا حول لها ولا قوة. لقد التقيتها خلال تلك الفترة، وكانت عدوانية مستوحدة صعبة المراس ومع ذلك مفعمة بالامل على نحو مذهل. وجدتها رائعة فوقعت في حبها."

وسرعان ما عمل الاثنان جنبا الى جنب فأبدعا: "علمني جان ان في امكاننا ترجمة جميع احلامنا واقعاً وأنا لم أنسَ هذا الدرس إطلاقاً."

عام ١٩٦٥ باشرت نيكي ابداع الـ"نانا" (٢) وهو مشروع آخر غريب حظي بشهرة عالمية. والـ"نانا" مجموعة اشكال نسائية عفوية محببة يصل ارتفاعها الى مترين ونصف متر، مصنوعة

مسخ من الحديد والاسمنت والجص.

من اطر اسلاك مشبكة حشيت خِرَقاً وغطيت ببوليستر سائل ثم طليت بألوان صارخة. ومذ لحظة عرضها في باريس وقف الكبار والصغار مشدوهين أمام نسوة ضخام عارمات الصدور والاوراك صغيرات الرؤوس يرقصن أو يقفن على رؤوسهن أو على أهبة الطيران بأجنحة صغيرة.

أثارت الـ"نانا" ضجة في عالم الفن. وحيت الصحافة على جانبي الاطلسي روح

(٢) Nanas

نيكي المرحة وبهجتها التي تظهر في ألوانها الصارخة ونفاذ بصيرتها التهكمي في الطبيعة الانسانية. وفوضت الحكومة الفرنسية الى نيكي وتينغلي بناء عمل فني يتضمن "نانا" لعرضه في الجناح الفرنسي من "معرض ٦٧" العالمي الذي أقيم في مونريال. وهذا العمل معروض على نحو دائم في جزيرة سكبشولمن في استوكهولم حيث يجذب حشوداً من الزوار الذين يغادرونه مبتسمين ابداً.

نتاج الالم. كثيراً ما رددت نيكي: "هدفي أن اجلب السعادة". لكنها نادراً ما ذكرت التضحيات التي بذلتها لفنها. فهي مأخوذة بعملها ولم تلاحظ الضرر الذي لحق بصحتها من جراء البوليستر الذي كانت تستعمله لطلاء تماثيلها وحمايتها من العوامل الجوية. فالابخرة المتصاعدة من هذه المادة الكيميائية السائلة اتلفت رئتيها. وفي العام ١٩٧٦ بدأت تهزل واصيبت بنوبات سعال وعانت صعوبة في التنفس، غير انها لم تأبه لهذه الاعراض الى أن انهارت. فنقلت جواً الى مستشفى في سويسرا حيث شخّص الاطباء التهاباً فيروسياً حاداً ناجماً عن حساسية مفرطة سببها البوليستر وزادت حدته إصابة بذات الرئة.

لم تتوقف نيكي عن استعمال البوليستر، الا أنها عمدت الى وضع نظارات واقية وقناع اوكسيجين لدى تعرضها لبخاره السام. وما ان تكيفت مع حساسيتها حتى بدأت تشعر بالالم في ذراعيها ويديها. انه التهاب المفاصل هذه المرة. ومع حلول العام ١٩٨٢ امتد الالم الى ظهرها ورجليها وباتت عاجزة عن المشي. ويتذكر مساعدها ريكاردو مونون: "كنت أحملها من غرفتها الى محترفها. لكنها لم تكن تفوت ساعة من برنامج عملها اليومي. لقد كانت تتمتع بقوة داخلية لا تصدق."

مئات الالوف من الذين أعجبوا بـ"نافورة سترافنسكي" قرب مركز بومبيدو لم يتبادر الى ذهنهم يوما أن اشكالها الزاهية الالوان ولدت وسط الالم. لقد جاء هذا العمل حصيلة انصهار الابداع عند نيكي وتينغلي، وقد استوحي من موسيقى ايغور سترافنسكي فجاءت التماثيل البلاستيكية المثيرة والاشكال الجديدة المتقنة مشعة بالبهجة ومفعمة بالحياة.

كانت نيكي تتعذب ألماً عندما باشرت صنع النماذج عام ١٩٨٢: "في نهاية الامر خف ألمي لانني وجدت العلاج الناجع". وكان هذا العلاج حدسا مفاده أن ثمة سببا لمعاناتها: "الالم في يدي، إذاً لم يبق الا أن أكثف من استعمال عيني فأتصور تماثيلي كاملة ولا يبقى ليدي الا القليل. وما ان استوعبت الفكرة حتى خف ألمي."

العصا السحرية. يقول جان ـ ايف موك أمين مركز بومبيدو الذي نظم عام ١٩٨٠ معرضاً لاعمال نيكي: "انها أكثر الفنانين الذين أعرفهم قدرة على العمل. وكلما زاد عملها زادت سعادتها. وفضلا عن عملها الناشط على تماثيل تارو تصمم الاساور والاوشجة وتبتكر العطور وتصمم زجاجاتها وتؤلف كتباً وتزينها بالرسوم". وهي تمول بأرباحها مشروع حديقة تارو.

تغادر نيكي توسكانا بين الفينة والفينة للعمل في منزلها في سوزاي - سور - ايكول جنوب باريس حيث كانت تعيش مع تينغلي. لكنها اليوم تقطنه وحيدة، فقد وجد الفنانان أن كلاً منهما يحتاج الى منزله الخاص حيث يستطيع العمل بحرية. فاستقر تينغلي في سويسرا في حين ملأت نيكي هذا المسكن القروي بالتماثيل والارياش وغيرها من أدوات حرفتها.

عندما ينصرف مساعدوها بعد عشر ساعات او اثنتي عشرة ساعة عملا تدرك فجأة انها وحيدة وان في امكانها أن تحظى بما تريد من الرفقة، "لكن عملي طاغية غيور لا يحتمل أي منافس". وتحاول نيكي الاسترخاء بالاستماع الى الموسيقى الكلاسيكية "ثم أتناول عصاي السحرية - ريشتي - فتتبدد وحدتي لحظة أبدأ العمل، ويسكنني السلام".

ليلي فولدز ■

جارِ من لا يجاريك

كان آلن سيفيل، نافخ البوق في الاوركسترا السيمفونية لهيئة الاذاعة البريطانية، مسافراً في القطار الى ليدز في بريطانيا. فأزعجه صوت موسيقى صاخبة صادرة عن جهاز ستيريو في المقصورة. ولما سأل صاحبته الشابة الجالسة قبالته أن تخفض الصوت، عمدت نكاية الى رفعه.

وعملا بمبدأ "جارِ مَن لا يجاريك" تناول سيفيل بوقه من الرف وأخذ يعزف لموزار وبنبرة عالية جداً ومليئة بالنشاز. فلم يطل الوقت بالشابة حتى اندفعت بغضب خارج المقصورة. وكوفىء سيفيل بتصفيق حاد من المسافرين الآخرين.

ب.ي.

مصرف الاولاد

تقدمت بريوني ستيفنز، البنت البريطانية ذات الثمانية السنوات والقاطنة في كولشستر، بطلب قرض من مصرف وستمنستر الوطني في مقابل سندات. كان حلمها أن تحصل على ٤٣،٩٥ جنيهاً استرلينياً لشراء "بيت صغير" تلعب فيه، على أن تدفع ١،٣٥ جنيهاً كل شهر من مصروف جيبها. وقد قبل المصرف اعطاء القرض لكنه تناسى، بروح رياضية، ارسال سندات بالدفع.

صحيفة "بيزنس"، بريطانيا

بعد أن تستبعد المستحيل فان ما يبقى، وإن يكن بعيد الاحتمال، هو الحقيقة.

السر آرثر كونان دويل

لماذا تعيش امرأة بدينة أكثر من رجل بدين؟

من عادة ريتشارد تيري النظر الى الخصور والاوراك. انه متخرّج في علم وظائف الاعضاء في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا، ومنذ ما يقارب خمس سنوات يجمع معلومات عن العلاقة بين الصحة وتوزّع الدهن في الجسم. وقد فتن هو وزملاؤه الباحثون بظاهرة مميزة في تركيبة الجسم تجعل المرأة البدينة أوفر عافية من الرجل البدين.

فهي في شكل اجاصة وهو في شكل تفاحة. هي تختزن الدهن الزائد في ناحية دنيا حول الوركين والفخذين وهو يختزنه فوق، في البطن.

يقول تيري ان "التفاحة" تعيش في خطر.

والدراسات البيوكيميائية لا تثبت هذا الواقع فقط، انما توصي أيضاً بفحص

انتبهوا للخصر والوركين

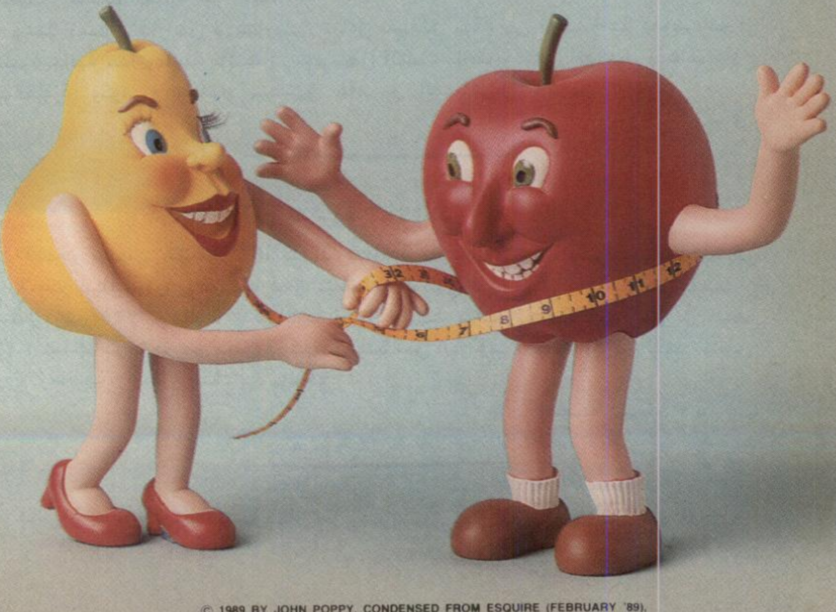

© 1989 BY JOHN POPPY. CONDENSED FROM ESQUIRE (FEBRUARY '89), NEW YORK, N.Y. SCULPTURES: KATHY JEFFERS

بسيط لاحتمال اصابتك بمرض القلب والسكتة الدماغية (الفالج) والسكري. فيما أنت واقف، خذ قياس خصرك ثم قياس وركيك في أوسع محيط للردفين. اقسم قياس الخصر على قياس الوركين، ويكون الحاصل هو مقياس نسبة الخصر الى الوركين.

فاذا كان محيط الخصر ٧٩ سنتيمتراً ومحيط الوركين ٩٢ سنتيمتراً، فتكون النسبة ٠،٨٦ الى واحد. ويتحدث الباحثون عن حد أعلى مقبول هو نسبة ٠،٨٥ الى ٠،٩٠ للرجال و٠،٧٥ الى ٠،٨٠ للنساء.

وهذا الفحص موثوق به علمياً ويسهل اجراؤه، وقد يحتل مكانة الى جانب فحص ضغط الدم ومستوى الكولستيرول كمقياس لصحة القلب والاوعية الدموية.

تقول أماندا زوجة تيري، مازحة، ان عمله ذريعة ليحدّق الى النساء. لكنه في الحقيقة أكثر اهتماماً بكل من يعاني "داء دونلابس" (١) وهو اسم غير طبي لترهّل طيات البطن فوق الحزام.

عندما يقع نظر تيري على رجل في محل بقالة ويبدو محيط خصره ١٠٠ سنتيمتر ومحيط وركيه ٩٠ سنتيمتراً تتبادر الي فكرة صور فحوص «CAT» التي يلفظها جهاز التصوير الطبقي الموجه بالدماغ الالكتروني (٢). ويتساءل: هل يعلم هذا الرجل كم من الدهن يحمل داخله؟ والتشديد هنا على كلمة "داخله."

وتمر قرب الرجل امرأة تدفع عربة مشترياتها. ويرى تيري أن محيط وركيها في ضخامة خصر الرجل، لكنه يعتبر أن الاخطار الرئيسية التي تتهددها تكمن في عروق الدوالي (فاريس) وربما في الارتباك. وهي تأخذ شكلها الاجاصي من الدهن المختزن في الردفين والفخذين. وعلى مثال معظم الدهن في جسدها، يُختزن هذا الدهن الزائد تحت جلدها مباشرة.

يبني الرجل شكل التفاحة باختزان معظم الدهن داخل البطن. ويتجمع بعض الدهن تحت الجلد، لكنه حين يقرص طيّة جلد بالقرب من سرّته (وهو فحص قياسي سريع لدهن الجسم) يجد أن ليس فيه من السماكة ما يبرر ضخامة حجمه. ولا يرى مبرراً أيضاً في الطبقة الادنى التالية وهي جدار العضل.

ومن المؤكد أن المرأة تختزن الدهن حول خصرها. لكنها في الوقت ذاته تجمعه حول وركيها أيضاً فلا تتغير نسبتها بحدة. وتظهر فحوص «CAT» لرجل وامرأة متعادلين في البدانة أن الدهن لدى المرأة مختزن خارج جوف البطن بين الجلد وجدار العضل، وهو النوع الذي يظهر في فحص طية الجلد. أما دهن الرجل فخلف جدار عضله، داخل بطنه، يحيط بامعائه وبأعضاء أخرى.

ويكره الجراحون شق بطن كهذا. ولكشف المرارة أو أي عضو داخلي آخر عليهم أن يشقوا طريقهم عبر شرائح من نسيج الدهن الرخامي الاصفر الذي يسدّ رؤيتهم ويعوق كل تحرك. فهو موجود فوق كل الاشياء.

والدهن ينفخ الصفات أي الغشاء الكبير الذي يبطّن البطن ويغطي معظم الاحشاء. ويحوي هذا الغشاء خلايا صغيرة

---

(١) Dunlaps Disease

(٢) Computerized Axial Tomography or CAT scans

تدعى "بريادیبوزيت" (٣) قابلة للامتلاء بالـ"تريغليسريد" (٤) والكولستيرول. فاذا امتلأت احداها، تحولت خلية دهن حقيقية، أي قطرة دهنية كبيرة أو ناقلة دهن عملاقة.

وحين تكبر خلية الدهن تسلك داخل البطن على نحو مغاير لسلوكها في أي مكان آخر. وقد أخذ الباحثون خلايا دهنية من أجزاء مختلفة من أجسام المتطوعين ووضعوها في أنابيب للفحص. ورأوا أن دهن الاحشاء هو أكثر نشاطاً من الدهون الاخرى. ومما يزيد الأمر سوءاً هو أن هذه الخلايا الدهنية البطنية، بحكم موقعها، تفرغ دهنها في الدم الذي يجري رأساً الى الكبد.

وعندما تواجه الكبد بمستويات مرتفعة جداً من الاحماض الدهنية الحرة، ترفع انتاجها من البروتيين الدهني المتدني الكثافة (٥) وتشحنه في الدم الذي يتجه الى القلب والرئتين والشرايين. ويصبح قسم من هذا البروتيين الدهني "الكولستيرول الرديء" المرتبط بتلف الشرايين ومرض القلب.

وهذه بعض من المجريات الداخلية التي يظهرها قياس خصرك. فاذا كنت رجلا وتجاوزت نسبة قياسك ٠،٩٠، أو كنت امرأة وتجاوزت ٠،٨٠، فقد تكون لديك مشكلة كولستيرول.

ان الفارق بين ٠،٨٥ و١،٠٠ لا يبدو كبيراً. ولكن حين يكون قياس خصرك معادلا لقياس وركيك فانك تواجه خطراً كبيراً. ربما كنت غير بدين وفق جداول قياسات التأمين على الحياة، وربما كانت سماكة طية الجلد التي تقرصها قرب سرّتك ٢٥ مليمتراً أو أقل مما يشير الى أن مجموع دهن جسمك هو ٢٥ في المئة أو أدنى. لكن مقياس نسبة الخصر الى الوركين يعكس مستويات دهنية عالية على نحو أوضح.

أما الخبر المؤسف لكثيرات من النساء فهو أن لا التمرين ولا الحمية يؤثران في خفض دهن الوركين والفخذين. فخلايا الردفين والفخذين الدهنية في المرأة عنيدة الى حد مدهش. فالخلايا في كل النواحي الاخرى من جسمها تطلق أحماضاً دهنية، لكن هذه لا تحرك ساكناً. وقد اكتشفت الباحثة الفرنسية مارييل ريبوفه - سكريف أن ثمة نشاطاً واحداً يحمل خلايا الردفين والفخذين على افراز الدهن: الارضاع. وكأن الطبيعة تحتفظ بتلك الخلايا احتياطاً أخيراً للطفل.

وربما كان اكتشاف مقياس نسبة الخصر الى الوركين رسالة أخرى من الطبيعة، اذ ان هذه النسبة تتوقف على التوازن بين العناصر لتأمين مقياس دقيق للصحة. ففحوص ضغط الدم تقيس الضغط الانقباضي بالمقارنة مع الضغط الانبساطي. وفحوص الكولستيرول المعقدة تقيس نسبة الكولستيرول الاجمالي الى البروتيين الدهني العالي الكثافة. والآن هناك مقياس نسبة الخصر الى الوركين، وهو مفتاح يكشف أن العافية الدائمة ليست في الافراط والتطرف بل في نقطة دقيقة من التوازن.

جون بوبي ■

---

(٣) Preadiposytes

(٤) Triglyceride. وهو مركّب دهني.

(٥) Very low density lipoprotein

دائرة المعارف

حَسَنٌ أن نفيد من قراءاتنا لاغناء لغتنا. هنا كلمات مأخوذة من الاعداد الاربعة السابقة من "المختار." وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. تلابيب: أطواق – مشاعر – أنكياء – أوامر نافدة.

٢. غلواء: نار مستعرة – حسناء – تشدد وتصلب – جوع.

٣. إسار: بَوْح – سوار – سجن – ما يُشَدّ به.

٤. هدأة: فجأة – هدوء – من الطيور – سحنة.

٥. طيِّع: خَيِّر – حديث السن – طائع منقاد – جبان.

٦. مرموق: من يُطال النظر اليه – عالٍ – مهمَل – محسود.

٧. نابِه: ظاهر – عظيم الانياب – لئيم – فطن.

٨. استطار: غضب – طيَّر – اصطاد طائراً – جُنَّ.

٩. تسكَّع: عرج – تشكّى – لم يهتدِ لوجهته – قدم أعذاراً.

١٠. أصيص: بريق – فرخ دجاج – وعاء للزرع – قطعة.

١١. مَهُول: كبير – مخيف – منهار – بطيء في سيره.

١٢. سياق: أسلوب ومَجْرى – أرجل – لجام – نص.

١٣. تناهى: تعب – بلغ – سقط أرضاً – أصغى.

١٤. مهَّد: نام – فلح – هيأ وسهَّل – أقنع.

١٥. نشيش: بكاء – رَشْح السائل – تنفس – صوت الغليان.

١٦. مُراءاة: اظهار خلاف ما يضمَر – مجاراة – اغراء – اختباء.

١٧. اغترَّ: خُدع – أطال شعره – ابتسم – اختال غروراً.

١٨. طمس: دهس – محا وغطّى – ضرب – سكت.

١٩. صاغِر: راكع – مصغٍ – صغير – مُهان وراضٍ بالذل.

٢٠. سَداة: ورقة – برعم – عبير – عضو ذكر في الزهرة.

٢١. استنكف: خاصم – امتنع استكباراً – عاند – رجع.

٢٢. تورَّط: طعن – وقع في أمر مشكل – احتار – دخل.

٢٣. حاق: أحاط – عاق وأخَّر – لحق – نظر حوله.

٢٤. كُوْر: درس – ابريق – ثقب – مجمرة من طين.

٢٥. برزخ: تلة – مجموعة جزر – خليج – أرض بين بحرين.

الأجوبة الصحيحة

١. التلابيب: الاطواق حول العنق، مفردها تلبيب. ويقال "أخذ بتلابيبه" أي أمسكه متمكناً منه.
٢. الغلواء: التشدد والتصلُّب حتى مجاوزة الحد. أيضاً: أول الشباب ونشاطه.
٣. الاسار: ما يُشَدّ به، الحزام. والاسار أيضاً لغة في اليسار.
٤. الهدأة: الهدوء. يقال "هدأة من الليل" أي هزيع منه أو جزء.
٥. الطوّع: الطائع. يقال "هو طَوْع يدك" أي منقاد لك.
٦. رَمَقَه: لحَظَهُ لحظاً خفيفاً. أيضاً: أطال النظر اليه. والمرموق هو من يُطال النظر اليه.
٧. النابه: الفطن ذو النباهة. أيضاً: الشريف. وجمعها نُبَهاء.
٨. استطار: انتشر، تفرّق. أيضاً: طيّر. تطيَّر بالشيء ومنه: تشاءم.
٩. تسكّع في أمره أو مسيره: لم يهتدِ لوجهته.
١٠. الأصيص: وعاء تزرع فيه الرياحين. جمعها أُصُص.
١١. المَهُول: المخيف ذو الهَوْل.
١٢. سياق الكلام: أسلوبه ومجراه. والسياق أيضاً مهر المرأة قيل له ذلك لأن العرب كانوا، اذا تزوجوا، ساقوا الابل والغنم مهراً.
١٣. تناهى الخبر الى فلان: بلغه. تناهى الشيء: بلغ نهايته.
١٤. مهَّد الأمرَ: سوّاه وسهَّله وأصلحه. مهَّد لنفسه خيراً: هيّأه وقدَّمه.
١٥. النشيش: صوت الماء وغيره اذا غلى.
١٦. المراءاة: اظهار خلاف ما يضمر. راءيتُه: أريته خلاف ما أنا عليه.
١٧. اغترَّ: خُدع. اغترَّه: أتاه على غِرَّة أي غفلة.
١٨. طَمَسَ الشيء: محاه، غطاه، أهلكه. طمَسَ أيضاً: بَعُدَ.
١٩. الصاغر: المهان، الراضي بالذل والضيم.
٢٠. السَداة: العضو الذَكَر في الزهرة.
٢١. استنكف من كذا: امتنع أنفة واستكباراً.
٢٢. تورَّط: وقع في الورطة أو في أمر مشكل. والورطة هي كل أمر تعسرت النجاة منه.
٢٣. حاق به: أحاط. حاق بهم العذاب: نزل وأحاط.
٢٤. الكُوْر: مجمرة من طين. الكورة: البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى.
٢٥. البرزخ: الحاجز بين الشيئين. وهو عند الجغرافيين قطعة أرض ضيقة محصورة بين بحرين موصلة براً ببرّ.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

لغة الخرائط

ليتني أستطيع سرد قصة كما تسردها الخريطة. إذ ما من حكاية تبرز تضارب القوى أكثر من شاطىء ألاسكا. وما من رواية محبوكة أكثر من تيارات نهر الأمازون المتداخلة. نحن نشاهد الأمور كلها على الخريطة: التاريخ، والطبيعة، والمستقبل. ما من خرافة تدعم الاساطير أكثر من شهادة النيل الجبار. وما من تأريخ يرمز الى الديمومة الحزينة أكثر من قفار سيبيريا أو من رمال الصحراء التي لا تحصى.

أحببت الخرائط منذ صغري، لجمالها وفائدتها والخيال الكامن فيها وحتى لما فيها من ادعاء. فبالخرائط ندعي نحن البشر تخطيط العالم. وندعي أنا عالمون بالامور.

وأحبّ تلك المشاهد من أفلام الأدغال عندما يلتفت المستكشف الى الدليل ويصرخ: "ها هو المكان! هات الخريطة! دعني أرى الآن..."

ويحاول الدليل توضيح الامور: "يا سيدي..." لقد خرجا عن الخريطة وسيسمعان الآن قرع طبول منتصف الليل وغيره من أصوات الأدغال المخيفة.

ما من شيء يرمز أكثر من الخرائط الى اتكالنا البشري على المكان، على تبيّن موقعنا ومحل أقامتنا على وجه الأرض. والسؤال التالي الذي يطرحه المستكشف: "أين نحن بحق السماء؟" تعبير طبيعي عن الذعر في تاريخ الاستكشاف.

تخبر الخرائط الكثير عن عالمنا، إنما المزيد عنا. بالنسبة الى المؤرخ اليوناني هيرودوتس كانت اليونان محور العالم. وبالنسبة الى الرومان كانت روما المحور.

هي أدبنا القديم، تخبرنا الكثير عن العالم والمزيد عن البشر

© 1988 BY CLAY MORGAN. CONDENSED FROM ALASKA AIRLINES MAGAZINE (JULY '88), SEATTLE, WASH.

وفي القرون الوسطى كانت القدس هي المحور. وحتى عندما عُمد الى رسم خريطة العالم علمياً، قرر الفلكيون أن أنسب موقع لخطّ الزوال(★) أي وسط العالم هو موقع بالقرب من لندن.

أدرك العلماء منذ أيام الاغريق في القرن الرابع قبل الميلاد أن الأرض كرة، أنما نحن العامّة تجاهلنا دائماً هذا الأمر. وقوّت معتقداتنا هذا المفهوم الخاطىء، فاذا بالعالم مسطح يشبه الخريطة، وله أطراف وحافات قد نقع عنها.

تبدو الأرض في بعض الخرائط القديمة مرتكزة على ظهور فيلة عملاقة. وبقيت فكرة وجوب ارتكاز الأرض على أساس صلب سائدة حتى في العصر الحديث. وذات مرة ألقى فيلسوف محاضرة، فاذا بامرأة تدنو منه لتوضيح الامور. قالت له إن الأرض ترتكز على ظهر سلحفاة عملاقة. فسألها الفيلسوف على ماذا تقف السلحفاة. فأجابته: "على سلحفاة أكبر طبعاً." ولما بدأ سؤاله المنطقي التالي صرخت: "لا جدوى من الاسئلة! ان الطريق على طولها ملأى بالسلاحف!"

الخرائط هي أدبنا الأقدم، انها أقدم من الكتب. وأنا واثق بأن الخريطة هي أول شيء كتبه البشر للاتصال في ما بينهم. وتراني أتخيّل الحادثة الآتية: ذات مساء صاف من شهر يونيو (حزيران) قبل مليون عام في وادي ريفت الكبير في شرق افريقيا، توقف البشر الأولون ليرتاحوا من رحلتهم الطويلة. فتناول أحدهم قضيباً ورسم على وحل بحيرة خطوطاً تمثل البحيرة والنهر وغابة كثيفة وبعض الأمكنة الصالحة للصيد خلف الغابة. ثم أشار الى الخريطة قائلا: "أنظروا يا رجال، نحن الآن هنا ونأمل أن نصل الى هناك غداً."

كان ذلك الكلام معقولا جداً الى حد أن أولئك الناس الاولين اعتبروه سحراً. لقد أبرز العالم في صورة، واذا بهذه الصورة التي أطلق عليها اسم "خريطة" تبدو في غاية الواقعية بحيث صدق أولئك المرتحلون أنهم سيبلغون المكان المقصود. ولم تقوِّ الخريطة اعتقادهم بوجود أراضٍ صالحة للزراعة خلف الغابة فحسب، بل أوحت بقوة أن للمستقبل وجوداً، إذ ثمة مكان يستطيعون التوجه اليه وبلوغه غداً. فشعروا بالطمأنينة. إن الطرق على الخرائط تؤدي كلها الى مكان ما.

لقد ثبّتت الخرائط العالم في مكانه. فقبل رسم الخرائط كانت الجزر تطفو على سطح المياه والمدن تختفي عن وجه الأرض. وظلت بعض البقع خالية في الخرائط، تماماً كما النقص في معرفتنا، ألا أننا ملأنا تلك البقع بأسماء من نسج خيالنا. وقد كتب الروائي البريطاني جوناثان سويفت عن الخرائط القديمة الآتي:

> رسم علماء الجغرافيا حيوانات وغابات
> ليملأوا الفراغ في خرائط افريقيا.
> وعلى المرتفعات غير المسكونة
> وضعوا فيلة حيث لا قرى.

كثيراً ما ساهمت الخرائط غير الدقيقة في الاكتشافات. فقد اعتقد الجغرافي اليوناني العظيم بطليموس (٩٠ - ١٦٨ ميلادية) أن أوروبا وآسيا

(★) Prime meridian

تنبسطان على أكثر من نصف مساحة الكرة الأرضية، في حين أنهما لا تتجاوزان عشرة في المئة من مساحة الأرض. وصمدت أرقام بطليموس ثلاثة عشر قرناً وساعدت كولومبوس على إقناع ملكي اسبانيا فرديناند وايزابيلا بسهولة ابحاره غرباً لبلوغ الشرق. ولحسن الحظّ أن أمريكا اعترضت طريقه.

لما أبحر فرديناند ماجيلان في رحلة حول العالم، ظنّ الاوروبيون أن أمريكا مجرد جزيرة تختبىء آسيا وراءها. فقد كان سائداً في زمان ماجيلان أن "العالم الجديد" لا تفصله عن "الهند الشرقية" إلّا بقعة مائية صغيرة. وتبيّن في ما بعد أن هذه "البقعة" هي المحيط الهادىء.

في هذه الاثناء، على اليابسة، مكنتنا الخرائط من التفكير في ملكية الارض. فرسمنا الخرائط لنشبع شهيتنا. كان في وسعنا أن نرسم الحدود حول هذه المدينة وهذا النهر و... فنحصل على امبراطورية! لعب الملوك بالخرائط كما نلعب نحن على رقعة شطرنج. وقسّم "العالم الجديد" بخط واحد فحصلت اسبانيا على الأراضي غرب الخط ورضيت البرتغال بما تبقى.

وسهّلت الخرائط رسم الحدود التي برّرت نشوب الحروب. لكن الخرائط الأكثر واقعية قلّما أعجبت الحكام الذين طلبوا رسمها. ففي أواخر القرن السابع عشر تعجّب ملك فرنسا لويس الرابع عشر من خريطة في غاية الواقعية، وهتف قائلا إنها أفقدته من امبراطوريته أكثر مما أربحته حروبه.

حتى اليوم، تعكس الخرائط السياسية صورة العالم كما نريده نحن. فالخريطة الصينية للهند تختلف عن الخريطة الهندية للهند، إذ ان الصين تحفظ لنفسها مساحات أكبر من جبال حملايا. وتبرز الاكوادور على خريطتها الخاصة بمساحة تبلغ ضعفي المساحة الحقيقية التي لها سيادة عليها، إذ لا يزال الخلاف قائماً حول الأراضي التي خسرتها في حربها مع البيرو عام ١٩٤١. وفي الخرائط التي تطبعها دولة غواتيمالا لا وجود لدولة بيليز (هندوراس البريطانية سابقاً).

أنا أضيع في خريطة. فأنا أحب أشكال الأرض وخطوطها. وعندما أقرأ خريطة تبهر الجبال العالية أنفاسي وتثير المحيطات مخيلتي. وعبر الطبيعة الفسيحة أراقب الأنهار المجنونة وهي تصبّ مياهها في البحر.

الجغرافيا تتكلم. تقول لي منغوليا: "لا تستطيع العبور من هنا الى هناك." وتتكهن القمم الثلجية بمستقبل قارس. وتنصحني المناطق الاستوائية: "عش ليومك،" وأراقبها اذ تتحول غاباتها مزارع، ومزارعها صحاري، وصحاريها نهايات حزينة.

الخريطة منبع للخيال. تبدو أوستراليا يتيمة على الخريطة. وترسف الجزر في قيودها. وترفع افريقيا القديمة كتفيها فتشدها أوروبا الى تحت.

كتب الروائي الاسباني سرفانتس: "ارتحلوا حول العالم في خريطة، فتوفروا مصاريف السفر ومشقاته وترتاحوا من عذابات القيظ والبرد والجوع والظمأ."

وأنا أضيف: "ارتحلوا حول العالم في خريطة، فتتجاوزوا قيود الواقع."

كلاي مورغان ■

مأساة واقعية

طاحونة في المستشفى

أطبقت مسنّنات الآلة على ذراع العامل الشاب وعجز المسعفون عن تخليصه لكن فكرة غريبة أعادت اليهم بعض الامل

كان عمل كينث رودريغز ابن التاسعة عشرة، أن يفرغ براميل من مسحوق تجميلي واق يزن واحدها نحو ١٠٠ كيلوغرام، في قادوس(★) من الفولاذ الصامد في معمل "ناب" للكيميائيات في لودي بولاية نيوجرزي. وفي أصيل ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ كان وحيداً على المنصة العالية فوق الآلات، يقلب حثالة أحد البراميل فوق القادوس الذي تبلغ مساحة قمته ١،٢ متر مربع ثم يستدق لينتهي بحجيرة تحوي بريمتين لولبيتين للطحن.

انتظر كينث حتى مخضت البريمتان كتلة المسحوق في أنبوب المخرج. وكان قطر البريمة الصغرى ٥ سنتيمترات وهي تدور بسرعة ضمن لفات البريمة الكبرى التي يبلغ قطرها ٢٣ سنتيمتراً. وكعادته، مد يده ليكشط الفضالة المتشبثة بجوانب القادوس.

فجأة نهشت الآلة يده.

ذلك لأن نتوءاً في البريمة الكبرى حصر راحته اليسرى وعلق بالقفاز الذي يكسوها. فغدت الاسنان فوق يده، وفي لمح البصر التفت حول ذراعه. فصرخ من أعماقه: "رباه! لا!" وبيده الحرة تمسك بالحاجز وحاول بيأس أن يمنع جسمه من الانجذاب داخل الآلة.

لكن هذه كانت قوية جداً. فراح كينث يغوص في القادوس ورأسه في المقدم وزعيقه يملأ المكان، فيما ذراعه تفتل داخل المسننات. وسمع صوت عظامه وهي تسحن.

كان يتلوى فوق حافة القادوس وذراعه المبتورة تحته عندما نشب الطرف الكلاب للبريمة الكبرى بجذعه. بات مشكوكاً وعنقه مضغوطة الى جدار الآلة.

استعاد كينث وعيه وسمع صوت أقدام راكضة وصياحاً. وكانت البريمتان

(★) القادوس وعاء قمعي لتلقيم الطاحون او الآلة بالقمح او الفحم أو غير ذلك.

ILLUSTRATION: ALAN REINGOLD

توقفتا عن الدوران من جراء ضغط جسمه. لكنه كان يختنق، وعندما حاول أن يقوِّم عنقه وجد أنها حُشرت بعنف الى المعدن وحُبست على نحو مضاعف بالبريمة التي كبَّلت صدره تحت عظم الترقوة.

كان كينث مشوَّش الذهن بسبب ضحالة تنفُّسه، فاتجهت أفكاره الى دينورا خطيبته والى والديه وشقيقته. وشعر باستسلام: لن أراهم بعد الآن، فأنا مقبل على الموت.

غير أن شيئاً تمرّد داخله. فجأة أغضبته فكرة الاستسلام فقرر أن يتحمل مقدار استطاعته. وصلى.

شاهد فوقه على الممر الضيّق وجه أحد زملائه. فناشده "اسحبني خارجاً" وهو يناوله يده اليمنى. شد الرجل بقوة، لكن كينث ظل راسخاً في مكانه والالم يسفع صدره. قال له زميله: "استمرَّ في المقاومة، فقد طلبنا مساعدة."

بعد دقيقة اندفع الشرطي بيرن شيورتينو (٤٢ عاما) داخل الغرفة وكوَّن رأياً عن الوضع. كان القادوس مثبتاً فوق منصة تعلو مترين عن أرض الغرفة، وكل ما استطاع شيورتينو تمييزه من خلال فتحة صغيرة في قعره حشوة من اللحم والثياب الممزَّقة. وعندما صعد الى الممر الضيّق ونظر الى أسفل أصيب بالذعر. كان وجه الرجل المسحوق في الداخل شاحباً فاقد الحياة.

حينئذ بادر شيورتينو الى مراقبة طَرْف عيني الشاب. فاتصل بدائرة الشرطة عبر جهازه اللاسلكي: "أرسلوا كل ما عندكم! أريد اطباء ومساعدين طبيين وسيارة اسعاف وجهاز اطفاء." وخلال ثوان تحركت عربات الانقاذ وتعالت صفارات الانذار في أرجاء المدينة.

هيئة الموت. صعد المساعد الطبي ريتشي بيلفيلد (٢٧ عاما) درجات السلم الضيقة اثنتين اثنتين، وأنعم النظر الى كيني ثم صاح بزميلته مارسي وليمس الواقفة تحت: "نحن أمام مشكلة، فهو آخذ في الازرقاق وقد انقطع تنفسه."

تدلى بيلفيلد داخل القادوس وقد شبك رجليه في جوانبه ووضع يديه على وجه كينث، وبتأن رفع فكه قليلا ليُفتح طريق الهواء الى رئتيه.

لاحظ أن النزف الخارجي لم يكن ذا شأن، لكنّ الشاب قد يكون يعاني نزفاً داخل صدره. ولم يرَ بيلفيلد شيئاً من الذراع المشوَّهة.

أجرت مارسي وليمس اتصالا لاسلكياً تطلب فريقاً جراحياً للصدمات، وصعدت الى جانب زميلها. وتبادلا نظرة تغني عن كل كلام. فهما يعرفان هيئة الموت، وهذه تتبلور في كينث رودريغز.

أما كينث فركز وعيه على تنفسه فحسب. فهو الآن يفرط في ادخال الهواء الى رئتيه، وقد أجبر نفسه على تخفيف ذلك. واستمر يقاوم ألمه الجائش وهلعه. وزيَّن لنفسه أنه سينجح في الخروج من مأزقه. لكنه كان الوحيد في الغرفة الذي يعتقد ذلك.

آمن كينث طوال حياته بالتعويل على نفسه لشق مكان له تحت الشمس. وكان فخوراً لانه مارس بضعة أعمال خلال دراسته ليشتري ثيابه وسيارته الخاصة. بل انه عمل ساعات اضافية وقتَّر على

نفسه ليستطيع شراء شقته الخاصة. والآن إذ يطلب مجرد البقاء قيد الحياة لم تتغير مبادئه. فهو يود أن يستحق الحياة.

"ها هو يفقد الوعي!" صرخت وليمس اذ تراخى كينث فجأة الى داخل الراقود. وبمساعدة الشرطي شيورتينو ربطت حبلا حول خصره ولفّته على بعض الانابيب العالية وثبّتت طرفه في الحاجز الواقي.

وكان بيلفيلد لا يزال يسند فك الضحية ويضع فوقه كمامة أوكسيجين. ووجدت مارسي وليمس ضغط الدم منخفضاً ولكن صامداً. وقدرت أن اللفات المعدنية للبريمة كانت تسد الجروح التي أحدثتها. فلقمت الجريح مصلا في أوردة قدمه لتعويض الخسارة في حجم الدم. ثم أخذت يمناه الحرة بيديها.

حتى تلك اللحظة كان ثلاثون شخصاً وصلوا للمساعدة. وتفحص رجال الاطفاء والنجدة القادوس ثم تراجعوا برعب مَنْ فقد الامل. فهم لم يتبينوا طريقة ينقذون بها كينث. فادارة البريمتين عكسياً ستؤدي الى فتح جروحه والتسبب في مزيد من الضرر. حتى "فكّا الحياة" المستخدمان لاستخراج الضحايا من السيارات المسحونة لن يعملا في قادوس مرتفع من الفولاذ الذي لا يصدأ، وقد يقتلان الرجل المسفود داخله. لكنّ كينث، على رغم أن أحداً من منقذيه لم يبدُ عارفاً كيف يحرره، كان شاكراً حضورهم. فما مِن انسان يريد أن يقاوم الموت منفرداً.

بعيداً من شفا الهاوية. بعد مرور ساعة على محنة كينث وصل الدكتور جون لوكورتو رئيس جراحي الصدمات في مركز هاكنساك الطبي. ولم يحتج الى أكثر من ٣٠ ثانية ليقوّم مدى الخطر الجسيم المحدق بكينث. فأي حركة قد تقطع النخاع الشوكي وتخرق الرئة وتسبب نزفاً داخلياً حتى الموت. لكنّ لوكورتو كان تمرّس طويلا بجبه الكوارث فلم تَعُدْ تربكه.

كان هدفه المباشر تأمين تنفُّس مريح لكينث. فأصدر أوامره: "إنزعوا صفيحة القادوس الامامية. علينا ان نحرِّر مجرى تنفسه."

فتوجه رجال الاطفاء الى الصفحة بمناشيرهم المعدنية الجبارة وراحوا يقطعــون الشقّين الملحـومَيْن على جانبيها. وكانت المناشير تُثلم فتبدل، لكنّ الشقين أذعنا لها شيئاً فشيئاً.

وكان كينث يئن من الارتجاج كلما زادت المناشير نزولا، فتشد مارسي وليمس على يديه.

وصرخت مارسي وهي تلاحظ عيني كينث تنقلبان الى الداخل "لا تستسلم يا كينث! افتح عينيك!"

فابتعد كينث من شفا الهاوية طارفاً بعينيه ولاهثاً.

ومرّت ساعة أخرى قبل أن تسقط الصفيحة الامامية مثل قشرة موز ضخمة. وما ان وقعت حتى تهاوى جسد كينث على البريمتين، وأفلت حبل الدعم. فانبرى رجال الاطفاء بحمية وربطوا حزاماً حول حقويه لرفعه مجدداً. وكان الملازم بول بريرا الذي عركه الدهر ٣٥ عاماً في سلك الشرطة وزاده صلابة، يحاول تفكيك محرك البريمتين تحت قاعدة القادوس.

فلقد بدت تلك الطريقة الوحيدة لسحب كينث. لكن مصبَّعة السلالم والممشى الضيق كانا في الطريق. كان الامر مستحيلا.

سمع بيريرا كينث يئن ويناشده: "إلامَ، الانتظار؟"

فأجابه: "ثلاث دقائق أو أربع ثم آخذك في الاحضان."

وجد بيريرا نفسه جاهلا ما يتعين عليه عمله. فصلى بصوت أجش: "يا رب، ألا ارشدنا وخلّص هذا الرجل."

لاحظ لوكورتو عبر الغرفة أن أول "ساعتين ذهبيتين" تكادان تنقضيان، وهما الحاسمتان في النجاة من الصدمات. صحيح أن هذا الشاب يتمتع بارادة جبارة لكنه سيموت من دون علاج فوري لجروحه.

"كل شيء الى المستشفى." خطرت في ذهن كينث فكرة يائسة: فلربما استطاع رجال الانقاذ تحريره اذا تخلصوا من الذراع الملوية تحته. قال: "أعطيك ساعة أخرى، يا دكتور. فاذا لم تستطيعوا اخراجي من هنا خلالها اقطع الذراع."

كان لوكورتو مستعداً لبتر الذراع كحل أخير. ولكن، أبقيت الذراع أم لا، لم يكن يستطيع ازالة البريمة عن الصدر من دون التسهيلات المتاحة في غرفة العمليات.

فاجاب: "كلا، سنحاول تخليص الذراع." والتفت الى فرق الانقاذ كأنه عثر على الحل الوحيد الممكن: "ليذهب كل شيء الى المستشفى. سنأخذه الى غرفة الجراحة وهو داخل القادوس!"

قوَّم رجال الاطفاء حجم القادوس ووزنه البالغ ٣٣٠ كيلوغراماً، ورمقوا لوكورتو بنظرة ثانية ثم أخذوا مطارقهم وأزاميلهم وراحوا يعملون تكسيراً في المسامير الثمانية الملولبة الضخمة التي تثبت القادوس في منصته.

بعدما قُطعت المسامير وثبّت المحرك في القادوس انصرف عشرة رجال خلال نصف ساعة الى دفع القادوس من المنصة الى رافعة مشعَّبة حُرّكت حتى رصيف التحميل في المصنع. وأرجع الاطباء سيارة الاسعاف الى المدخل. حينئذ سرى في الحشد تأسُّف لان السيارة تضيق عن الآلة حوالى ٨ سنتيمترات.

قال بيريرا: "ما نحتاج اليه هو شاحنة مقفلة معدة لنقل الاثاث ذات رافعة هيدروليكية." فأجريت مكالمة هاتفية، وبعد خمس دقائق أوقفت شاحنة نقل قرب الباب.

بعد وضع كينث في الشاحنة توجهت هذه مباشرة الى مركز طبي على بعد خمسة كيلومترات. هناك كان طاقم الطوارىء جهّز غرفة احتشد فيها ستة جراحين.

تطوع اطفائيان، يساعدهما ميكانيكيو الصيانة في المستشفى، لتفكيك محرك البريمتين قطعة قطعة حتى عمود التدوير. وحرر الاطباء كينث من القادوس فيما قِطَعُ البريمتين لا تزال غارزة في لحمه، ونقلوه على عربة الى غرفة العمليات.

أُخضع المصاب لتخدير عمومي، وأزاح الجراحون رأس البريمة الصغرى الغارزة قليلا تحت ابطه، ثم خلّصوا الذراع اليسرى المحطمة من مسننات البريمة الكبرى. وكانت الذراع التي تلولبت لفَّة

ونصف لفَّة قد هُصِرت فباتت كثافتها خمسة سنتيمترات.

شدَّ الاطباء على مزق عريض في الصدر ونزعوا من الجرح قطعة من الفولاذ استقرت تحت عظم الترقوة على بعد ٤ سنتيمترات من القلب. وقطبوا ثلاثة جروح بالغة في الوريد تحت الترقوة.

كانت شبكة الاعصاب التي تخدم الذراع المشوهة سحنت وتلفت، لكن الاعصاب لم تنسحب من العمود الفقري. فقال لوكورتو: "دعونا لا ننقِّب في الجوار، ولنترك الطبيعة لنرى ما في وسعها أن تفعل."

مدَّد جرّاح تجبيري ذراع كينث ووضع صفائح معدنية على امتداد العظام المكسورة. وبعدما سوّى الاجزاء كما في أحجية الصور المقطَّعة، ثبتها ببراغيّ الى المعدن.

كان الفجر بزغ عندما انتهى الجراحون من عمليتهم واقتيد كينث الى غرفة "العناية الفائقة." وداوم لوكورتو في المستشفى فزار مرضاه كالمعتاد، ثم عرّج على كينث قرابة التاسعة، فوجده قد أفاق من المخدر، فقال له: "ستمر أيام وربما أسابيع قبل أن نعرف مصير ذراعك، أما ما عداها فيبدو على ما يُرام."

فأجاب كينث: "لا عليك، أنا بخير."

في الايام التي تلت الحادث عمل الجراحون على ترميم ذراع كينث بزرع جلد وعظم. وبدأت الاعصاب تتجدد، وعندما غادر كينث المستشفى بعد ستة أسابيع كان الاحساس بدأ يدب في ذراعه.

تلت ذلك عدة جراحات تجميلية وساعات طويلة من المعالجة بالعمل. ولا تزال الطريق طويلة أمام كينث، فذراعه لا تزال أضعف من أن ترفع فنجان قهوة.

لكن كينث غير هيّاب. يقول: "سأظل أثابر على استخدام ذراعي حتى يتم لي ذلك كاملا. واذا كان من أمثولة استخلصتها من محنتي فهي أن على المرء ألا يستسلم لليأس في أي حال."

بيتر مايكلمور ■

آثار حيّة!

تستهويني برامج التلفزيون الخاصة بالتنقيب عن الآثار، لكن أمي البالغة الثانية والثمانين من العمر لا تشاطر في شغفي هذا. وذات مساء عرض التلفزيون برنامجاً عن اكتشاف جديد لباخرة غارقة على مسافة من الشاطىء التركي منذ قرابة ٣٤٠٠ سنة. فسألت امي: "هل تريدين مشاهدة البرنامج معي؟" فأجابت: "حسناً، ولكن بشرط ان يكون هناك ناجون."

س - ١٨٠

عندما يفعل أحدهم شيئاً "لمصلحتك" فأغلب الظن أنك لن تستمتع به.

د.ل.

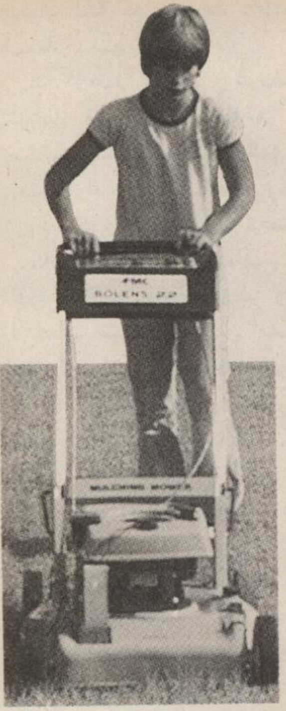

انه صراع تواجهه كل عائلة هنا توجيهات تساعد الاهل في اقناع أولادهم بالمشاركة في أعباء البيت

عَوِّدوا أولادَكم العَمل المنزلي

وافق ابنك سري (١٤ عاماً) على الاعتناء بالحديقة. وتبين لك بعد ثلاثة أسابيع أنه لم ينجز شيئاً.

كيف يكون رد فعلك ازاء هذا التصرف اللامسؤول؟

ان رد الفعل الاول لدى كثير من الاهل هو انزال العقاب بالولد: "ستلازم البيت لمدة أسبوع." إلا أن هذا التقييد لن يساعد سري على تعلم تنظيم وقته ولن يزيد الحافز لديه للمساعدة والمشاركة.

ان تعليمكم أولادكم المساهمة في الحياة العائلية جزء من التربية الصالحة.

يحتاج الاولاد الى تحمل المسؤولية في البيت. وحتى الاطفال في سنتهم الثانية يمكنهم أن يتعلموا وضع ثياب النوم في مكانها. وعندما يبلغ الولد السن الرابعة عشرة يجب أن يكون قادراً على انجاز معظم الاعمال المنزلية: الاعتناء بحاجاته الشخصية، تحضير الطعام، تنظيف المنزل، تنظيم مصروفه الشخصي.

ولسوء الحظ، يجعل الاهل من الاولاد اتكاليين من خلال تدليلهم المفرط والمغالاة في ارشادهم وعمل الكثير لتسهيل أمورهم. من واجب الاهل أن

CONDENSED FROM «HOW TO GET KIDS TO HELP AT HOME,» BY ELVA ARSON. COPYRIGHT © 1989 BY THE MOODY BIBLE INSTITUTE OF CHICAGO, PUBLISHED BY MOODY PRESS, CHICAGO, ILL. PHOTO: © G. WILLIAMS / STOCK PHOTOS, INC.

يتنحوا جانباً ويساعدوا أولادهم ليصبحوا شباباً منتجين وسعداء ومسؤولين.

وهنا السبيل الى ذلك:

نظموا. يفشل الكثير من الاهل في تطبيق الافكار الجيدة لانهم لا يخططون لها. تُترك المهمات المنزلية للمصادفات. يتعثر أفراد العائلة بعضهم ببعض وهم لا يدرون من المسؤول عن هذا العمل أو ذاك.

بعض الاهل يحل هذه المشكلة بعقد اجتماعات عائلية أسبوعية. ويساعد الاولاد في هذه الاجتماعات بابراز حلول للمشاكل العائلية. عندما يشارك الاولاد في سن القوانين وتخطيط المهمات تزداد لديهم ارادة التعاون.

بادىء ذي بدء، ضعوا قائمة بالمهمات الضرورية لادارة البيت بسهولة. اجعلوا كل مهمة تستغرق ١٥ دقيقة. بعد ذلك عينوا وظيفة كل فرد في العائلة - كما الاهل كذلك الاولاد، وكل بحسب امكاناته وتفضيلاته. ويمكن توزيع المهمات مداورة أسبوعياً أو شهرياً.

وكما يجب على الاولاد المساعدة في تحديد العمل وتخطيطه، فلهم الحق أيضاً في المشاركة في تقويم الاعمال المنجزة.

فكروا كأولاد. سألت ليلى ولديها اللذين يبلغان الخامسة والثامنة من العمر: "كيف يمكنكما ان تعيشا في هذا المكان القذر؟ ستبقيان في غرفتكما حتى تنهيا تنظيفها." وبعد ساعة وجدت أنهما لم يفعلا شيئاً سوى تكويم الاشياء بغير انتظام قرب الجدران. فوبختهما غاضبة: "ما هذه الفوضى! لا يسعني حتى فتح الباب!" فنظرا اليها متجهمين حائرين.

كثيراً ما يوجه الاهل الى أولادهم أوامر مبهمة أو تنقصها الدقة. فعندما يسمع الاولاد أمهم تأمرهم: "نظفوا غرفتكم،" تتكون لديهم فكرة غير واضحة عما تعني هذه العبارة. تخيلت ليلى الاسرّة مرتبة والاحذية مصففة والالعاب موضبة. أما الولدان فتصوروا غرفة ذات ممرات من غير عوائق تؤدي الى الاسرّة.

إذا اردتم تعليم أولادكم كيف يعملون فعليكم أن تقسموا كل مهمة جديدة أجزاء صغيرة وتظهروا طريقة تطبيقها خطوة خطوة. إذا أوكلت الى ولدك تنظيف الحمام، مثلا، أريه كيف ينظف المغسلة ويحف المغطس ويمسح الارض. ضعي نفسك مكانه. هل جميع لوازم التنظيف في متناوله؟ هل يحتاج الى كرسي يقف عليه؟

لكل وظيفة بداية ونهاية. لا تطلبوا من ولد صغير أن "يجرف أوراق الاشجار،" عوض ذلك اسألوه أن يجرف الاوراق في مساحة صغيرة او حددوا ١٥ دقيقة واحصوا كمية الاوراق التي يكومها خلالها. إذا جعلتم العمل محدداً وسهل التطبيق فسيشعر الولد بالرضى عندما يتوصل الى انجازه.

أثنوا على النجاح. إذا تركتم لدى أولادكم انطباعاً بأنهم لا يستطيعون تأدية عمل جيد على الاطلاق فسيبدون في عيون أنفسهم عاجزين وغير أكفياء. ولن يصبحوا مستقلين تماماً إلا إذا آمنوا بقدرتهم على النجاح.

ابنتي كارلا في الصف الابتدائي الخامس، ومعلمتها أشعرت كل تلميذ في الصف بأنه مميز. عندما كان التلاميذ يحصلون على أقل من علامة الامتحان الكاملة كانت تنوه بما أتقنوه وتؤكد أن في امكانهم تعلم ما فاتهم.

يمكنكم اتباع الطريقة ذاتها عندما تقوّمون عمل ولدكم في المنزل. لا تحللوا ولا تنتقدوا كثيراً، بل أجزلوا المديح: "كم تبدو لماعة هذه الصنابير!" ركزوا على ما أحسن ولدكم صنعه لا على ما أساء.

ان التعلم عملية فيها الفشل وفيها النجاح. ان أنتم علمتم أولادكم ألا يخافوا ارتكاب الاخطاء فسيتعلمون بسرعة وسيشعرون بأنهم احرار في تقبل التحديات الجديدة.

حملوا أولادكم مسؤولية أعمالهم. على الولد أن يدرك أن ثمة نتائج لاعماله. عندما تنسى ابنتك غداءها في البيت وتتصل بك مستنجدة، أشعريها بمحبتك وأنت تجيبينها بهدوء: "آسفة يا عزيزتي، أعلم انك ستشعرين بالجوع." كوني ودودة وعطوفة، ولكن عززي قدرة ابنتك على تحمل نتائج نسيانها. جميعنا ننسى أحياناً، وهذه ليست جريمة ولا عاهة، لكننا نتعلم من أخطائنا عندما لا نجد أحداً ينتشلنا دائماً من الصعوبات.

اذا أهمل ابنك وضع ثيابه المتسخة في سلة الغسيل، اجعليه يدرك أن ذلك يعني ارتداءه ثياباً قذرة. واذا تركت ابنتك ألعابها مكومة في غرفة الجلوس، فأعلميها أن لديها خياراً: اما أن تجمع ألعابها واما أن تقومي أنت بذلك. ولكن ان أنت فعلت فسيكون هناك عقاب: ستحتجز الالعاب في الخزانة وعليها أن تنتظر حتى نهاية الاسبوع للافراج عنها.

دائماً قرروا سلفاً ماذا ستفعلون أنتم وليس ما ستجعلون ولدكم يفعل. اذا كان هناك عمل لم ينجز فيمكنكم القول: "عندما تجهز المائدة سنتناول طعام الغداء." أو: "إن رتبت ثيابك الشتوية بإتقان في الخزانة فسأخرج لك ثيابك الصيفية من العلية." مع الوقت، اذا سمحتم لأولادكم بأن يختبروا نتائج أعمالهم، فسيتعلمون أن يتصرفوا بمسؤولية.

كافئوهم ولا ترشوهم. ينصح الخبراء الأهل بعدم دفع المال في مقابل تأدية الاعمال المنزلية، فتلك المهمات جزء من المسؤوليات العائلية. لكن الحوافز غير المادية تأتي دائماً بنتائج جيدة. اذا أنجز ولدكم عملا صعباً كافئوه بنزهة خاصة الى دكان المثلجات أو بلعب الكرة معه.

أفيدوا من مصروف الجيب الذي تقدمونه الى أولادكم لحضّهم على التعاون. عندما يهمل أولادي أعمالهم آخذ منهم "غرامة" بدل تأديتها عنهم. لكنهم نادراً ما "يستأجرون" خدماتي!

عندما يطلب أولادكم مزيداً من المال دعوهم يؤدون أعمالا اضافية قد تستأجرون أشخاصاً آخرين لتأديتها، مثل تنظيف المرأب أو طلي السياج. اشرحوا لهم بوضوح ماذا تريدون منهم أن يفعلوا، وبعد ذلك حملوهم مسؤولية تنفيذ العمل.

غالباً ما يرى الأهل والاولاد في الاعمال المنزلية رتابة وضرورة غير مستحبة، يعيّن الاهل المهمات ويأمرون ويوجهون وينتقـدون، فينتهي الأمـر والجميـع مكبوتون وغاضبون.

أخبرتني أم لولدين: "اعتقدت أن ولديّ لا يزالان صغيرين على مساعدتي في المنزل. وأكببت على اعمال البيت أنجزها في نهاية كل أسبوع وأنا اشعر بالغضب والضيق. أما اليوم فيساعدني ابني الاصغر (٧ سنوات) في غسل الثياب ويساعدني الاكبـر (٩ سنوات) في ترتيبها. ونعمل معاً مدة ١٥ دقيقة كل صباح في التنظيف. هذا يؤمن لي وقتاً أكثر أقضية برفقتهما."

تتيح الاعمال المنزلية فرصة ذهبية لتعليم أولادكم مغزى المساهمة. يمكنكم أن تظهروا لهم أن هناك علاقة مباشرة بين ما يفعلونه وما يكافأون به من حياة منزلية سهلة ومنظمة. واذا بدأتم باكراً تحميـل أولادكم المسؤوليـة، وزدتم المسؤوليات تدريجاً، فستجعلون الحياة أسهل لكم وأغنى لاولادكم.

إلفا آنسون ■

استشارة نسائية

كنت متأهباً للصق ورق الجدران في بيت أحد الزبائن، لكن ربة البيت لم تستطع أن تقرّر أين نلصقه: على النصف السفلي أم النصف العلوي للحائط؟ فقالت لي: "أنت تؤدي هذا العمل لكسب عيشك، ولا بدّ أنك تعرف أكثر مني أين يجب أن تلصقه."

فأجبتها: "الامر يعود اليك وحدك يا سيدتي."

لكنها أصرّت قائلة: "لا بد أنك تعلم ما هو الافضل."

وبعد نقاش عرضت رأيي: "حسناً، أقترح أن نغطي الجزء السفلي اذ..."

فقاطعتني: "آه، لا، ذلك غير مناسب اطلاقاً."

وهكذا ألصقت الورق على النصف الأعلى من الجدران.

د.ج.

ضمان أكيد

في اليوم الاول من عملي مساعدة لمديرة المدرسة التكميلية حيث تتعلم ابنتي طُلب مني أن أعدّ بضعة آلاف من الدولارات هي ريع مباراة رياضية. بعد ذلك أرسلتني المديرة الى المصرف لأودع المبلغ. ولدى عودتي سألتها: "كيف ائتمنتني على مبلغ كبير كهذا؟"

فأجابتني بابتسامة: "لدينا ابنتك."

ر.و.

اخطاء الآخرين تشبه النحل... إن لم نرَه لم يؤذنا.

ل.ف.

النفايات السامّة تهدّد مستقبل الأرض

متعهدون جشعون فاقدو الضمير لا يتورعون عن رمي ملايين الاطنان من النفايات السامة في بلدان العالم الثالث بهدف الاثراء. والضرورة تقضي عاجلا بوضع حد لمخالفاتهم الخطيرة

كانت السفينة الصغيرة الحاوية "كارين ب" راسية بعيداً عن السفن الاخرى في ميناء ليفورنو المزدحم بايطاليا. قبل وصولها في ١٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ نظم السكان تظاهرات طالبين عدم السماح لها بدخول الميناء، كما رفض عمال الميناء تفريغها.

والآن، بعد مرور عشرة أسابيع، تطلع القبطان ريتشارد هنتر لايتنر من علياء منصة قيادة السفينة البالغة حمولتها ١٠١٠ اطنان الى الحاويات المنضدة على متنها وقال: "إننا كالمصابين بالطاعون، لا أحد يريد أن يقترب منا." وبدا كأن السفينة محكوم عليها بالبقاء راسية في البحر الى ما لا نهاية.

كانت "كارين ب" وحمولتها السامة محور أزمة تتعلق بالبيئة. فداخل الحاويات على متنها ١٠ آلاف برميل من النفايات السامة، بما فيها بقايا الدهان المشتملة على معادن ثقيلة ومذيبات عضوية مسرطنة(١) ونفايات حمضية. والأشد خطراً من كل هذه مادة "بوليكلورينيتد بايفنيل" أحد مصادر مادة "ديوكسين" الكيميائية القاتلة.

كانت الحمولة شحنت من بيزا وموانىء اخرى في ايطاليا الى كوكو وهي ميناء صغير يبعد ٢٢٥ كيلومتراً الى الشرق من لاغوس في نيجيريا، حيث نضدت البراميل ملاصقة لامدادات مياه الشفة. وبفعل التعرض للشمس الاستوائية الحارة تبخرت المواد الكيميائية فتعاظم الضغط مسبباً شقوقاً في البراميل التي يسع كل منها ٢٠٠ ليتر، فأخذت ترشح. وحين زار أندرو ليس الموقع، وهو خبير بالنفايات السامة في منظمة "أصدقاء الارض" الدولية المناصرة للبيئة وقد جاء في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ بطلب من الحكومة النيجيرية، وجد أبخرة لاذعة تتصاعد مهسهسة من البراميل. فقال: "انها لامسؤولية مجرمة. ففضلا عن تلويث البيئة، قد تتسبب هذه المواد الكيميائية في داء السرطان."

في يوليو (تموز) ١٩٨٨ أُجبرت الحكومة الايطالية، بضغط من نيجيريا، على استعادة النفايات. وكلّفت السفينة "كارين ب" المهمة. وفي طريق العودة أصيب عدد من بحارتها العشرة بأوجاع في الرأس وغثيان وآلام حادة متقطعة في صدورهم.

وقامت تظاهرات حين كشف أن "كارين ب" مزمعة على افراغ حمولتها في رافينا بايطاليا. ومن ثم رفضت السلطات في اسبانيا وبريطانيا وفرنسا وهولندا السماح بتفريغها في موانئها. يقول يان ويسمنز مدير "السجل الدولي للمواد الكيميائية المحتملة السمّية": "ان السفينة "كارين ب" جعلت الناس يدركون مبلغ خطر تلك النفايات. ومن الخطأ ارسالها الى بلاد لا تملك التسهيلات لمعالجتها."

يُقدر رسمياً أن بلدان المجموعة الاوروبية الاثني عشر تنتج سنوياً ما بين ٢٥ و٣٥ طناً من النفايات الخطرة التي تحتوي على مواد سامة. لكن التقديرات غير الرسمية وضعت الرقم الحقيقي في حدود ١٦٠ مليون طن. وعلى رغم تباين تحديد كلمة "سام" من بلد الى آخر فانها

(١) أي مسببة للسرطان.

براميل نفايات سامة عثر عليها في مدينة كوكو بنيجيريا في يونيو (حزيران) ١٩٨٨.

تعني، عموماً، النفايات غير المشعّة التي قد تلحق أذى خطيراً بكل من يبتلعها أو يتنشقها أو يلمسها، أو تضر البيئة من طريق ابادة الحياة النباتية وتسميم الجداول وتلويث الهواء.

يقول إنريكو فالكي استاذ التخطيط البيئي في جامعة فلورنسا: "نظراً الى أن كل منتج مصنّع يخلّف نوعاً من النفايات، فان المشكلة تتعاظم بنمو الاستهلاك." فانتاج سيارة تزن ألف كيلوغرام، مثلا، سيخلّف نحو ٣٠ كيلوغراماً من الدهان والنفايات الكيميائية. وثلاجة عادية الحجم مرميَّة قد تحوي كيلوغرامين من الـ"كلورو فلورو كربون" المتلف الرئيسي لطبقة الاوزون(٢). في العام ١٩٨٨ أدرجت "منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي" نحو ٤٥ نوعاً من النفايات الخطرة تراوح بين أدوية مرمية ومعادن ثقيلة مثل الكادميوم والزئبق ومواد أخرى تستخدم في التصوير والمعالجة الصناعية.

ولجعل النفايات آمنة يقتضي تكريرها أو حرقها أو تحويلها رماداً أو معالجتها كيميائياً أو بيولوجياً أو دفنها مؤبداً في حفر أرضية مراقبة. لكن هذه الاجراءات مكلفة بالمقارنة مع نفقات رميها. ونظراً الى الاهتمام البيئي المتنامي والقوانين الاكثر تشدداً التي تصعّب على الصناعيين الغربيين رمي النفايات غير المعالجة في بلدانهم، أخذوا يصدرونها الى البلدان النامية في العالم الثالث.

يشرح ويسمنز: "ما علينا الا أن نقارن التكاليف لنرى الدوافع المغرية. فالتخلص من مادة "بوليكلورينيتد بايفنيل" على نحو تام في مرمد مرتفع الحرارة، يكلف نحو ٢٥٠٠ دولار للطن الواحد. وحتى الدهان الذي يسهل ترميده يكلف ٣٥٠ دولاراً للطن. فان تمكنت الشركة المتعهدة التخلص من النفايات،

(٢) هي طبقة في الجو تمتص الاشعة ما فوق البنفسجية الحارقة من نور الشمس وتمنعها من الوصول الى الارض.

من فرض الاسعار السائدة ثم رمي النفايات في أحد بلدان العالم الثالث بكلفة ٧٥ دولاراً للطن، مثلا، فانها تحقق أرباحاً ضخمة."

البراميل على متن "كارين ب" كانت معدة في الاصل للشحن الى نيجيريا على مسؤولية عملاء ايطاليين جمعوها من شركات في بلدان مختلفة منها النروج وهولندا وايطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة. ويقدر أن العملاء فرضوا على زبائنهم أسعاراً مترجحة بين ٢٧٠ و٥٥٠ دولاراً للطن الواحد، ولكن يعتقد أنهم لم يتكلفوا أكثر من نصف هذه القيمة. ومن المدهش انه، على رغم الطبيعة القاتلة المحتملة للمواد، فالعملاء لم يأتوا عملا مخالفاً للقانون.

واستناداً الى المجموعة الضاغطة البيئية الدولية "السلام الاخضر" شهدت السنوات الاخيرة اتصال ما يزيد على ١٤٠ شركة ومتعهداً لرمي النفايات بسلطات في ٤٤ من الدول النامية، في محاولة لشحن اكثر من ١٧ مليون طن من النفايات سنوياً من المناطق الصناعية الى هذه البلدان. وعلى سبيل المثال:

□ في ابريل (نيسان) ١٩٨٧ تركت على رصيف مرفأ بورتو كابلو في فنزويلا براميل من دون حماية ولا مراقبة تحوي ٤٠٠٠ طن من النفايات الشديدة السمّية مصدرها ايطاليا. فانشقت البراميل وتسرّب السائل الى الشواطىء المجاورة فتوفي طفل بسبب حروق كيميائية وعولجت في المستشفى المحلي اصابات جلدية بمعدل ٣٠ طفلا في اليوم.

□ في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ ابرمت ولاية بينين في افريقيا الغربية عقدا مع شركة "سيسكو ليمتد" ومقرها جبل طارق، لاستقبال نفايات سامة بسعر ٢،٥٠ دولار للطن. وعلى مدى ١٠ سنين ستشحن خمسة ملايين طن سنوياً من النفايات التي تشمل بقايا مبيدات الاعشاب ومذيبات الدهان، ورميها هناك. وقع العقد أربعة من وزراء الحكومة، لكنه فُسخ حين اعترض وزير الصحة أندريه أتشاديه قائلا: "ان مثل هذه المشاريع مضرّة ببلادنا وتشكل تهديداً لمواردنا ولحياة شعبنا."

□ في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ أيضاً باعت شركة ألمانية غربية الى تركيا خليطاً من النشارة وفضلات دهان وزيت على أنها "وقود بديل." وعندما وجد الاتراك أن الوقود لا يحترق جيداً عمدوا الى تحليله، فتبين لهم أنه ممزوج بمعادن ثقيلة وهيدروكربونات ممزوجة بالكلور، فأجبروا الشركة على ازالة النفايات.

وفي محاولة لقطع الطريق على أعمال المتعهدين الفاقدي الاخلاق والضمير، أقرَّ أكثر من ١٠٠ بلد في مدينة بال بسويسرا في مارس (آذار) ١٩٨٩ ميثاق "برنامج الامم المتحدة للبيئة" لتنظيم تجارة النفايات السامة الخطرة عبر الحدود الدولية. ويحدد الميثاق اصناف النفايات وينص على وجوب تطبيق القوانين الدولية الخاصة بالتوضيب والاعلان بالملصقات عن المحتويات ونقل البضائع، واعتبار الاتجار غير المشروع بهذه النفايات جريمة يعاقب عليها. والاكثر أهمية أن الحكومات المصدرة للنفايات تطلب شهادة من الحكومة

المستوردة بأن لديها التسهيلات الضرورية لمعالجتها بالطرق الصحيحة الفاعلة، والميثاق الذي وقعه ٣٥ بلداً يقتضي مصادقة من السلطات الاشتراعية في ٤٠ من البلدان الموقعة قبل أن يصبح نافذاً قانونياً في كل بلدان العالم.

ويرى مصطفى طلبة، المدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة للبيئة، أن البحث عن اتفاق كهذا ضروري لبيئة اكثر أماناً. ويشدد على ان "المشكلة لا تعني البلدان النامية وحدها، وانما تعني العالم كله. حين تلوّث الـ"بوليكلورينيتد بايفنيل" والهيدروكربونات الكلورية الأنهار والمحيطات، فلن يكون مهماً أين رميت، اذ ان كل شخص على وجه الارض قد يتأثر بها في النهاية."

ان الحاجة الى تشريع دولي يزيدها غياب هيئة مراقبة لتحركات البواخر التي تنقل النفايات. وتتمثل الحاجة القصوى الى ذلك في قضية باخرة الشحن "خيان سي" التي غادرت فيلادلفيا في ٣١ أغسطس (آب) ١٩٨٦ وعلى متنها ١٤ ألف طن من الرماد الصناعي بهدف رميها في جزر البهاما. فمنعت من تفريغ حمولتها هناك وبقيت ١٧ شهراً في البحر الكاريبي تفتش عن مكان بديل. ثم اتجهت الى جزر "الرأس الاخضر" قبالة ساحل غرب افريقيا، ورفضت هناك أيضاً. فأبحرت الى يوغوسلافيا حيث "أصلحت" وأعيدت تسميتها "فيليسيا." وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ ظهرت الباخرة المنكودة في ميناء سنغافورة حيث رست، وكان عنبرها فارغاً. أما أين رميت حمولتها فسيظل ذلك سراً غامضاً.

لقد رفض اكثر من عشرة بلدان في أربع قارات افراغ حمولتها، وقدرت تكاليف تجوالها بخمسة ملايين دولار.

وفيما تزداد تكاليف هذه "البواخر المتجوّلة" يزداد خطر التلوّث كذلك. يقول إريك إلن مدير "المكتب البحري الدولي" في لندن: "اذا لم يكن ثمة ميناء يقبل بالنفايات، فقد يلجأ قبطان غير مسؤول أو بحارة مرتعبون الى طرحها في البحر."

أقام "المكتب البحري الدولي" في لندن "خط اتصال ساخناً"(٣) لبحارة البواخر للادلاء بمعلوماتهم عن التخلص من النفايات بمثل هذه الطرق المخالفة للقانون. ولكن سيظل من الصعب جمع الادلة الثبوتية لتلك الممارسات. ولقد دين اثنان من مستخدمي شركة فنلندية عام ١٩٨٤ لرمي ٤٠ طناً من النفايات السامة في مياه بحر البلطيق القليلة العمق وفي أنحاء اخرى من فنلندا. ولكن في معظم الحالات لا يمكن تحديد هوية مرتكبي المخالفات.

يقول البروفسور انريكو فالكي: "لا يمكن حل المشكلة الا دولياً. على المدى القصير نحتاج الى قوانين دولية في شأن انتاج النفايات ونقلها وتصريفها، وعلى المدى البعيد علينا بالتفكير في ما هو نافع أو مضرّ اجتماعياً أو بيئياً."

وتبعاً للنتيجة التي تمخّضت عنها قضية الباخرة "كارين ب" وما رافقها من دعاية مخزية مدمرة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨، حظرت الحكومة الايطالية تصدير النفايات الى بلدان العالم الثالث، حاذية بذلك حذو هولندا.

(٣) لا حاجة للمتكلم الى التعريف بنفسه.

المختار

اربحوا ٣٣٪

يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١٩٨٩/٨/١ و١٩٩٠/٩/٣٠
اربعة اعداد اضافية مجاناً
مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهراً) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً،
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة.

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

التاريخ ______________________

التوقيع ______________________

الـرجاء ارسـال القسيمة والشيـك بالبـريـد المسجـل (المضمـون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

في أحد الاجتماعات في أديس أبابا باثيوبيا في مايو (أيار) ١٩٨٨ أعلنت منظمة الوحدة الافريقية اعتبارها رمي النفايات النووية والصناعية في افريقيا جريمة، ودعت أعضاءها الخمسين الى الاحجام عن عقد اتفاقات من هذا النوع. ويؤكد فرنسوا رولان دو فيفييه وهو بلجيكي عضو في البرلمان الاوروبي وأحد مؤسسي "الاتحـاد الاوروبي من أجل البيئة" ورئيسه: "نظراً الى افتقار بلدان العالم الثالث الى التكنولوجيا لمعالجة النفايات السامة، فالحل الوحيد هو حظر شحن هذه النفايات الى تلك البلدان."

ومع ذلك فان "برنامج الامم المتحدة للبيئة" وبلدان "منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي" والعالم الثالث لا تعضد فرض حظر كامل. فكيف سيتمكن العالم الثالث من تطوير التكنولوجيا الضرورية لمعالجة نفاياته الذاتية؟ يقول ستانلي كلنتون ديفيس المفوض الاوروبي السابق لشؤون البيئة: "على الغرب تقع مسؤولية مساعدة الدول النامية على تحقيق هذه الغاية."

في اوروبا الغربية تختلف الطرق المتبعة للتخلص من النفايات. فما بين ٥٠ و٧٠ في المئة من النفايات الخطرة يدفن في الارض اما في مناجم ومقالع حجار مهجورة واما في أراض معدة للطمر. وأقل من ١٥ في المئة يعالج ليعاد استخدامه، ونحو ٨ في المئة يعالج كيميائياً او بيولوجياً، ويرمَّد نحو ٨ في المئة ويطرح نحو ٣ في المئة في البحر.

ان تحويل المواد العضوية الخطرة رماداً هو أسلم طريقة لمعالجتها، كما يقول مايكل برغر وهو محلل للمياه المبتذلة في الشركة الكيميائية الجبارة "باير AG" في المانيا الغربية. ويشرح: "في حرارة تبلغ ٩٠٠ درجة مئوية على الاقل تنحلّ المواد الى أجزائها الأساسية اللاعضوية كالماء وثاني أوكسيد الكربون. وفي حالات كثيرة تكون هذه الطريقة الوحيدة المقبولة بيئياً، انما في الوقت الحاضر هناك نقص في المرمّدات." ويُقدر أن أوروبا الغربية تحتاج الى أكثر من ٤٠ مرمدا أضافياً عالي التقنية تبلغ كلفتهـا ١،٢ مليار دولار لمعـالجـة المشكلة."

يقـول مصطفى طلبـة: "ان أولى أولوياتنا خفض كمية النفايات الخطرة المولّدة." ويوافق الصناعيون والبيئيون على ذلك. وقد تمّ تقدّم في هذا المجال، اذ اضافت الشركة السويسرية الكيميائية "ساندوز" وحدة تنظيف الى معملها للصباغ تتيح لها استرداد قرابة ٣ أطنان من النحاس سنوياً واعادة استعمالها عوض رميها في نهر الراين. ونتيجة تطوير مواد كيميائيـة أكثر أمـاناً للاستخدام في المولدات والمحـولات الكهـربـائيـة تـوقـف انتـاج الـ"بوليكلورينيتد بايفنيل" في أوروبا الغربية. وفي السنة ١٩٩٠ يرتقب أن تخفض دول المجموعة الاوروبية كميات الـ"كلورو فلورو كربون" المستخدمة في قوارير الرذاذ (سبراي) بنسبة ٩٠ في المئة. ويجهد العلماء في البحث عن بدائل اكثر أمانا. وفي غضون ذلك عمدت مدن في المانيا الغربية، وشركة "بيجام" احـدى كبرى شـركات التبـريد في

بريطانيا، الى اعادة استعمال الـ"كلورو فلورو كربون" المكرر من الأدوات المنزلية المنبوذة.

ويرى رولان دو فيفييه أن "اختيار المستهلك للسلع هو السلاح الاقوى. ومتى أدرك أصحاب المعامل أن الناس يفضّلون المنتجات السليمة و"الصديقة" للبيئة، مثل البطاريات الخالية من الزئبق والرذاذات الخالية من الكلورو فلورو كربون، فسنبدأ استعادة عالم أوفر صحة."

حين أفرغت البراميل المتأكلة الراشحة من "كارين ب" في ليفورنو شتاء ١٩٨٨ - ١٩٨٩ اعتقد كثيرون أن تلك كانت خاتمة المشكلة. لكنها لم تكن الا البداية. فالواضح أن تصريف النفايات الخطرة يواجه العالم الصناعي المتقدم بتحد ملحّ ضاغط. أما الحلول فمتوافرة. ولكن، يصرّ مصطفى طلبة على ان الحاجة ملحة للعمل: "كلنا نعتمد على موارد الارض البيولوجية لاجل خيرنا وسعادتنا. وما لم نبذل جهداً هائلا ودائماً لوقاية بحارنا وأنهارنا وغاباتنا والتربة والهواء من السموم التي يصنعها الانسان، فسنواجه كارثة. علينا أن نقبل التحدي الآن اذا أردنا ان نخلّف للجيل القادم أرضاً صالحة للحياة."

أندرو لينكليتر ■

ثلاثة على ثلاثة

أخبر أحدهم صديقه: "كانت طفولتي شاقة، فأبي يملك ٢٠٠ بقرة في مزرعته، وكل صباح كنت أقتسم حلبها مع أخوتي."

فهتف صديقه متعجباً: "ربّاه! لا بّد أنه كان عملاً مضنياً لثلاثة صبية."

- الحقيقة أنه أودى بنا الى حافة الجنون، الى أن اشترى أبي مئة رأس أخرى.

"لكن كيف يمكن شراء مزيد من الابقار أن يخفف الامر عليكم؟"

- الامر بديهي، فالأحمق يستطيع أن يقسم ٣٠٠ على ثلاثة.

ك.ك.

عاطفة أب

كانت العائلة مجتمعة تشاهد صوراً قديمة من النوع الذي يسلّط على شاشة. فجأة انعكست أمامنا صورة لفتت انتباه الجميع، تظهر والدي مرتدياً قميصه الرياضية المفضلة وهو يحملني وعمري الندي ثلاثة أسابيع. وكانت تعابير وجهه تنمّ عن مشاعره، فعلّق على الصورة قائلاً: "ها هي أفضل جائزة فزت بها." فتأثرت لعاطفته والتفتّ نحوه مبتسمة، فتابع: "لست أدري ماذا حلّ بتلك القميص."

ج.غ.

أخبار العلم

الابقار والشوكولاتة

كل الاطفال "يعرفون" أن الحليب بالشوكولاتة من أبقار بُنية! ولكن قليل من الناس يعرفون ماذا يحدث عندما تأكل الابقار الشوكولاتة: تنخفض فاتورة العلف وترتفع نسبة الزبدة في الحليب وبالتالي يأتي هذا بسعر أرفع. وليم فليكنجر، المتخصص بدراسة تغذية المواشي في دوفر بولاية بنسلفانيا، ينصح زبائنه بأن يخلطوا الشوكولاتة بالعلف الذي تستهلكه قطعانهم. وفي المزارع هناك تأكل البقرة المتوسطة كيلوغرامين ونصف كيلوغرام من الشوكولاتة يومياً، أي نحو عُشر طعامها الاجمالي.

يقول رالف ماغريغور: "الابقار تحب الشوكولاتة." ويحصل رالف مع ٣٠ مزارعاً آخرين على الشوكولاتة من معمل "هيرشي" في بنسلفانيا حيث تفرز قطع الشوكولاتة المعيبة وتكوَّم على الارض. ويباع طن الشوكولاتة بمئة دولار، أي أقل عشرين دولاراً من الذرة، ويؤمن ضعفي الطاقة الغذائية.

صحيفة "وول ستريت جورنال"

الكومبيوتر الواشي

مهرِّب المخدرات البريطاني بول داي رجل منظَّم. فقد دوّن صفقاته على "كومبيوتر" للجيب ثمنه ١٥٠ دولاراً بعدما سرَّب ما قيمته ١٥٠ مليون دولار من الهيروبين الى لندن عبر مطار هيثرو. عندما اوقف موظفو الجمارك البريطانية داي لم يجدوا معه مخدرات بل الكومبيوتر المسمى "بسيّون اورغانايزر". فتكلف الابتسام وقال: "لن تجنوا منه اي فائدة، فقد محوت كل شيء."

هكذا خُيِّل اليه، فظن ان معظم اجهزة الكومبيوتر تعمل بذاكرة تلتقط التسجيلات العشوائية التي تختفي بعد محوها. لكن مصممي "الاورغانايزر"، احترازا من محو تسجيل عن غير قصد، جهزوا الآلة بلفيفة إضافية للمعلومات، وهي ضرب من التشعُّب الالكتروني الذي يصون موقتاً المعلومات الممحوّة من الذاكرة.

وبكل بساطة اخذ رجال الشرطة اللفيفة الاضافية الى شركة "بسيّون" حيث استرجع التقنيون المعلومات الواشية. فنال الداهية داي حكماً بالسجن ٢٨ عاماً!

ب.ل.

حصاة تسند خابية

اذا استبدلنا القناني الزجاجية بقوارير من البلاستيك الخفيف الوزن على متنِ طائرة في احد الخطوط الجوية، نوفر سنويا وقوداً بقيمة ١٥ الف دولار.

صحيفة "نيو سينتست"

لم تستطع أقوى العقاقير
منع هذه المريضة من تحقيق العهد الذي قطعته على نفسها

الإرادة المنتصِرَة

"ستمكث هنا حتى مماتها."

استطاعت ماري سماع أصوات الممرضات مع أن الأغطية كانت تحجب رأسها. ومن أعماقها تناهت اليها أصوات اخرى: "موتي يا ماري موتي!" فالتفّت على نفسها كالجنين في أحشاء أمّه وراحت تئن.

خلال سنتين، لازمت ماري فراشها معظم الوقت فهبط وزنها إلى ٣٩ كيلوغراماً وفقدت أسنانها. وسلبتها قواها حقن العقاقير المهدئة القوية المفعول، فصعب عليها الكلام وباتت بالكاد قادرة على اطعام نفسها.

وفي الصباح، عندما يتضاءل مفعول العقاقير، كانت تحاول ان تبلغ الردهة فتحسّ بالأرض تنحدر تحت قدمَيْها. ولكي تحافظ على توازنها، كانت تسير على مؤخر قدميها مادة ذراعَيْها الصلبَتين في

ILLUSTRATION: GEORGE ANGELINI

الهواء فتسمع الممرضات يقلْن ساخرات: "ها هي ماري الطيّارة، تعلو وترتفع ثم تحلّق."

قاومت ماري بشدة الذعر المسيطر عليها، إلى ان استجمعت يوماً شجاعتها وبإذن من الطبيب، خرجت وحدها من المستشفى ومشت مجهدة نحو كنيسة صغيرة على التلة. كانت الكنيسة فارغة فدخلتها ماري وتمسّكت بأطراف المقاعد الخشبية ثم جثت وصلّت:

"يا ربّ، لست أدري إن كنت سأتعافى لكنني احاول ذلك جاهدة. وأعدك، إنْ ساعدتني على مغادرة هذا المستشفى، انني سأذكر كل ما عانيته فأساعد أمثالي الباقين هناك."

كان ذلك في مارس (آذار) ١٩٦٥ — وكانت ماري مريضة عقلياً قضت ١٨ عاماً في مستشفى دانفرز الحكومي في ولاية مساشوستس، تدخله تارة وتغادره طوراً.

بداية قاسية. ولدت ماري في بوسطن في (كانون الاول) في ديسمبر من والدة مدمنة الخمرة ووالد لم تعرفه قط. وفي سنها الرابعة، انتهى بها المطاف في دار لرعاية الاطفال. وبعد مرور سنتين، تبنّاها زوجان كهلان وأخذاها إلى منزلهما في غلاوشستر.

كان النظام صارماً في منزل والديها الجديدين إذ لم يكن في مقدورها ان تتحدث عن حياتها السابقة أو أن تخبر أحداً عمّا يجري في المنزل أو ان تذرف الدموع أمام أبيها. فإن هي خرقت قاعدة واحدة، أرسلها والدها إلى القبو وأطفأ النور فيه.

وهكذا، كلّما حاولت أن تحتمي في حضن أمها، أبعدتها هذه عنها. فتحوّلت ماري الى القراءة اشباعاً لحاجاتها العاطفية. وأعجبت بروايات الأطفال بسبب خاتماتها السعيدة. أحبّت ماري قصة "ديفيد كوبرفيلد" (١) للكاتب شارلز ديكنز وقصة "كم كان واديَّ نضراً" (٢) للكاتب ريتشارد لويلين. وقد شجّعها والداها بالتبنّي على المطالعة إذ انها تبعدها عن الشبّان، وهو أمر كثيراً ما شغل بال والدتها.

اصرّ والد ماري على انها أينما ذهبت عليها ان تكون في المنزل قبل إنارة الشارع. وذات مساء، وهي في الرابعة عشرة من عمرها، كانت في طريق عودتها الى المنزل عندما أضيئت مصابيح الشارع فأصابها ذعر شديد. وهرعت نحو المنزل متسلقة السلم، ثمَّ قرعت الباب الأمامي مناشدة والدها: "أرجوك، دعني أدخل. سأحسّن سلوكي. دعني أدخل فحسب." ففتح والدها الباب قائلا:

"إرحلي، فأنت لا تقطنين هنا بعد اليوم." ثم اغلق الباب بعنف. وعندما دعيت لاحقاً للعودة الى المنزل، رفضت ذلك فتمّ ارسالها إلى مدرسة داخلية تابعة لاحدى جمعيات بوسطن.

ظهور المرض. في بادىء الأمر، حقّقت ماري نجاحاً باهراً وعمّقت المعلمات ولعها بالأدب. وما لبثت أن طالعت آثار شكسبير وشللي واميلي ديكنسون. ولكن قبل أن تنهي دراستها الثانوية، اعترتها

(١) David Copperfield

(٢) How Green Was My valley

موجات من الكآبة أغرقتها في مشاعر الاشفاق على الذات وسلبتها القدرة على القيام بأي عمل فلازمت فراشها وهي تفكّر: "إنني وحيدة، تركني الجميع وما من أحدٍ يأبه لي."

ذعر العامل الاجتماعي من حالة القنوط المسيطرة على ماري فأرسلها فوراً إلى مستشفى مساشوستس الرئيسي، لكنّها رفضت تناول الطعام أو الإجابة عن الأسئلة فنقلت الى مستشفى دانفرز الحكومي.

قرابة العام ١٩٥٨، أجمع الاطباء على أن ماري تعاني داء الفصام، ولم تفدها انواع العلاج بما في ذلك العلاج بالصدمات والمداواة بالانسولين القليل التي تبقي المريض في غيبوبة طويلة.

وبعد اكتشاف عقار ستلازين (٣) لمعالجة الفصام وحالات التشوش النفسي الاخرى اختبره الاطباء على ماري ولكنّه لم يعطِ نتيجة. وإذ لم يكن أوصي بعد بالحدّ الأقصى للجرعات اليومية من هذا العقار، رفعت نسبة الجرعات التي كانت تعطى لماري باستمرار، مما زاد اعراض الفصام سوءاً الى أن تحوّلت سميّة، فبدأت تهذي وتتصبّب عرقاً وهي تتقلّب في فراشها. وأخيراً، نقلها اطبّاؤها بسرعة إلى المبنى الطبّي حيث تجمّع اطباء آخرون لنجدتها.

في اليوم التالي، أوقف برنامج العلاج بالعقاقير وبدأت حالة ماري تتحسّن تدريجاً. ثمَّ وجدت عملا في مشغل إعادة التأهيل التابع للمستشفى حيث كانت تصنع رباطات للأحذية. كان العمل صعباً بالنسبة اليها إذ ان الجلد القاسي جرح أصابعها، لكنها برعت فيه. وذات يوم، اقتربت من سكرتيرة وهي تطبع رسالة على الآلة الكاتبة وقالت لها: "علّميني الطباعة."

ماري بالتر

في العام ١٩٦٦، اي بعد مرور سنة على العهد الذي قطعته على نفسها في الكنيسة، سُمح لها بمغادرة المستشفى. كانت لا تزال تعاني نوبات الحَصَر النفسي (٤) لكن هذه النوبات لم تكن متكررة وشديدة كما في السابق.

الرفيق المنشود. احتفظت ماري بعملها في مشغل المستشفى، وهناك التقت جو بالتر في العام ١٩٦٧ وهو يعاني مرض تناوب المسّ والانقباض، وأصيب بانهيار عصبي بعد تخرّجه في جامعة بوسطن ببضع سنوات. تحسّنت حال جو الى حدّ بعيد بفضل العلاج بالعقاقير وحصل على وظيفة محاسب في المشغل. فُتنت ماري بقوة جو وصدقه

(٣) Stelazine
(٤) Anxiety

PHOTO: © LOU JONES

وسهولة طباعه وأُعجب هو بها بمقدار ما أعجبت هي به، فانتهى بهما الامر الى الزواج.

في نهاية العام ١٩٦٧، وجدت ماري وظيفة جديدة في "مستشفى هانت التذكاري" في دانفرز حيث عملت في تطهير المعدّات، لكنها أدركت انها اذا ارادت تحقيق وعدها بمساعدة المرضى العقليين تعينت عليها متابعة الدراسة.

فما كان من جو إلّا ان شجّعها بإخلاص. كانت ماري آنذاك في السابعة والثلاثين من العمر، ولم تحضر صفاً دراسياً منذ عشرين سنة، إلا انها تابعت دروساً مسائية في الأدب الانكليزي بكلية "نورث شور" وأحرزت أعلى العلامات، وهذا شجّعها على الالتحاق بالثانوية حيث تفوّقت فاستحقت أن يدرج اسمها على لائحة الشرف، ونالت شهادة في الآداب خولتها الالتحاق بجامعة سالم الحكومية.

للمرة الاولى، أحسّت ماري بالأمل يدخل حياتها. وفي شتاء العام ١٩٧٥، أُدخل جو المستشفى وقال الأطباء انه مصاب بالتهاب وريدي. (٥) وبعد خروج جو من المستشفى في ديسمبر (كانون الاول) أهدى اليها قلمَيْ حبر ورصاص ذهبيين قائلا: "لن انتظر تخرّجك لأقدّم اليك هذه الهدية. لقد بذلت جهداً كبيراً، وأريد أن أعطيك هديتك الآن."

آمال كبيرة. توفي جو يوم رأس السنة لإصابته بانسداد رئوي (٦) فخسرت ماري الرجل الذي بنت معه حياتها، وتساءلت بغضب: "كيف تخلّى عني وأنا أحبّه حباً جماً؟" لكنها أدركت انه مكّنها من تنفيذ الوعد الذي قطعته على نفسها. فإن هي أخفقت الآن تكون قد تخلّت عنه.

درست ماري علم النفس في جامعة سالم الحكومية حيث حازت شهادة بكالوريوس في الآداب. ثمَّ عادت الى مستشفى دانفرز (الحكومي) كعاملة اجتماعية مجازة. ووجدت في ما بعد عملاً في "نورث ايسترن فاميلي،" وهو معهد خاص يهتم لشؤون الصحة العقلية والخدمات الاجتماعية، فساعدت في وضع برنامج يمكّن مرضى المستشفيات الحكومية المختصة بالامراض العقلية من الانخراط مجدداً في المجتمع.

ثم أدركت وجوب الحصول على شهادة أعلى ليصبح عملها أكثر فاعلية، فقدّمت طلب انتساب الى جامعة في تكساس، لكن طلبها رد لأن الجامعة علمت بمعاناتها امراضاً عقلية. لم يوهن هذا الأمر عزم ماري فطمحت إلى أعلى، أي جامعة هارفرد.

استهلّت ماري طلب الانتساب بالآتي: "يعتبر معظم الناس قضاء عشرين سنة في مستشفى للأمراض العقلية عنصراً سلبياً في حياتهم، أما بالنسبة اليّ، فقد كان تجربة نمّت شخصيتي."

وفي نيسان (ابريل) ١٩٨١، قبلت جامعة هارفرد طلب ماري، إلا ان رسوم التعليم وكلفة الطعام والمنامة فاقت الـ١١ الف دولار لم تملك ماري منها إلا ٧٨ دولاراً. على رغم ذلك عزمت على الالتحاق بالجامعة. فإن هي تابعت عملها في المعهد دواماً كاملا مع متابعة

---

(٥) Phlebitis

(٦) Pulmonary Embolism

دروسها، استطاعت جمع المبلغ، لذا، طلبت سلفة ثلاثة أشهر على معاشها، فوافق المدير. وهكذا، انطلقت ماري نحو هدفها فحصلت عام ١٩٨٢ على شهادة الماجستر بالإدارة والتخطيط والسياسة الاجتماعية.

انتصار الإرادة. تابعت ماري لسنوات عدة تناول العقاقير التي تخفّف حدة الحَصَر النفسي. وتحت وطأة الضغط، عانت مجدداً صداعات وآلاماً في الصدر وصعوبة في التنفّس. كانت تلك أعراض مرض ظنّت ماري انها قهرته منذ زمن. فاتصلت بالطبيب النفساني هوارد ستون ووصفت له الاعراض وأخبرته انها مصابة بمرض الفصام. ثم سألته هل عليها زيادة الجرعات اليومية فأجابها: "أفضّل معاينتك."

وصدق ظنّ الطبيب: لقد اخطأ الاطباء في تشخيص مرض ماري، فهي لم تعانِ الفصام قطعاً، بل عانت كآبة باطنية تصحبها نوبات ذعر (٧). فالفصام اضطراب فكريّ قد يؤثر على مزاج الشخص فيما الكآبة الباطنية اضطراب مزاجي قد يفسد القدرة على التفكير. لذا، فإن العقاقير التي تناولتها ماري طوال عشرين سنة لم تكن العقاقير الصحيحة.

لم يعترِ ماري اي شعور بالغضب أو المرارة، بل اكتفت بالقول للدكتور ستون انها ستبدّل الادوية وتتابع حياتها العادية. ففكّر الطبيب: "ها هي امرأة في منتصف الخمسينات من عمرها، أخرجت نفسها من مستشفى الامراض العقلية، والتحقت بالمدارس والجامعات، وساعدت الآخرين في التغلب على قلقهم. كل هذا، وهي تتناول عقاقير تفسد قدرتها على العمل. إنه حقاً انتصار رائع للارادة.

عندما تناولت ماري العقاقير الجديدة المناسبة، اختفت أعراض مرضها فتجدّد نشاطها وثابرت على العمل. وفي العام ١٩٨٧، أسّست "معهد بالتر" في ايبسويتش، وهو مؤسسة لا تبغي الربح، توفر تسهيلات للمصابين بالامراض العقلية. ونشرت في العام ذاته مذكراتها بعنوان: "لا تغنِّ اغاني حزينة" (٨) وفي العام التالي، كرّمتها "الأكاديمية الوطنية لتحسين أحوال المعاقين."

ماري بالتر هي الآن امرأة ناحلة وخطها الشيب وتستخدم النظارات. وهي في حركة دائمة تتنقّل من جناح إلى آخر في عملها الجديد. فهي تحتلّ منذ نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي منصب مديرة الشؤون الاجتماعية في المؤسسة التي دخلتها مريضة قبل ٤١ عاماً أي مستشفى دانفرز الحكومي. فتجتمع بالمرضى والممرضات والمشرفين وممثلي المدارس ومختلف المهن. وهي تدعو دائماً إلى الاعتماد على النفس، والاهتمام بالغير والحفاظ على الأمل. وباتصال هاتفي واحد منها، يحضر ثلاثون نجاراً طموحاً من مهنية "نورث شور" في بفرلي بولاية مساشوستس لتشييد جدران وقواطع داخلية.

تقول ماري: "لقد حظيت بنعم كثيرة في حياتي وآمل أن اشارك الغير فيها."

تريفور آرمبريستر ■

(٧) Endogenous Depression with Panic Attacks

(٨) Sing No Sad Songs

دَعي طِفلك يَنمو مَع سِيريلاك
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat-Banana
بالقمح والموز
Rice بالأرز
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Nestlé
نستله
Wheat- قمح
سيريلاك
الطعامُ الأول لِطفلك بالمِلعقة
عندما يَبلغ طفلك شهره الرابع ،
لا يَعود الحليبُ وحده يَكفيه .
عليكِ بوجبةٍ مِن سيريلاك .
سيريلاك متوفر بعدةِ أنواع تُلائم مَذاق
طفلك . سيريلاك يحتوي على العناصِر
الغذائية الأساسية التي تؤمّن
لطفلكِ نمواً متناسقاً
وسليماً .
Nestlé
تضمنه
نستله

شون كونري

"اسمي بوند، جيمس بوند." بهذه الكلمات قدّم شون كونري نفسه عام ١٩٦٢ الى رواد السينما في العالم.

في سبعة من أفلام جيمس بوند أنتجت خلال واحد وعشرين عاماً جسّد هذا الاسكوتلندي الاسمر شخصية العميل السري اللطيف الذي عرف في أنحاء العالم بـ"العميل ٠٠٧"

في أكثر أماكن الارض غرابة حاول الأعداء القضاء على "العميل ٠٠٧" فاستنفدوا جميع الوسائل، من أسماك القرش الجائعة الى أشعة الليزر، لكنه كان ينجو كل مرة، ولم تنل منه نائلة وثقته بنفسه لم تتزعزع. وبين ذراعيه دائماً امرأة جميلة. وقد تساءل الكاتب بوب غرين مرة وهو من المعجبين بهذا البطل: "هل من صبي واحد لم يشأ في سره أن يكبر ويصبح جيمس بوند؟"

ومع ذلك فان سيرة طومي كونري هي أكثر اثارة من قصة أي جاسوس. فهو ابن عامل فقير محدود الثقافة متواضع المعرفة، شبّ ليصبح شون كونري الواسع الاطلاع الذي جال في أنحاء العالم وطبّقت شهرته الآفاق.

ولد شون في ٢٥ أغسطس (آب) ١٩٣٠ في حي حقير من ادنبرة يدعى فونتين بريدج. وكانت العائلة تقيم في مسكن من غرفتين وحمام خارجي بارد المياه. وقد استطاع والده المكافح أن يحافظ على وظيفته في مصنع للمطاط أيام الازمة الاقتصادية العصيبة آنذاك، وأن يخصص بعض الوقت لابنه الوحيد. فعلمه السباحة وساعد زوجته على تعليمه القراءة قبل أن يدخل المدرسة. وعندما تفاقمت الازمة الاقتصادية اضطرت أوفاميا كونري الى العمل كخادمة.

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وجد طومي، المغامر بطبعه، عملا كموزع حليب على الابواب في أولى ساعات الصباح قبل موعد المدرسة. وكان في التاسعة من عمره آنذاك.

ترك كونري المدرسة في الثالثة عشرة من عمره لكي يتفرغ لعمله كموزع. وكان يبدأ جولته في الخامسة صباحاً وينهي توزيع الحليب بسرعة لينتقل الى توزيع الفحم أو البطاطا. وفي السن السادسة عشرة عقد العزم على الهروب من عالمه الفقير.

وبدا الاسطول الملكي البريطاني كخشبة خلاص، فانخرط فيه. ولكن ما ان تسلّم عمله حتى أدرك أن البحرية بالنسبة الى شاب عديم الثقافة هي طريق مسدود آخر. وبقي يعمل نوتياً على ساحل انكلترا الجنوبي فلم يشاهد سوى المياه

PHOTO: © ELISA LEONELLI / SHOOTING STAR

مَن لا يَعرف جَيمس بوند ؟

قصة حياته غريبة
مثل فيلم خيالي

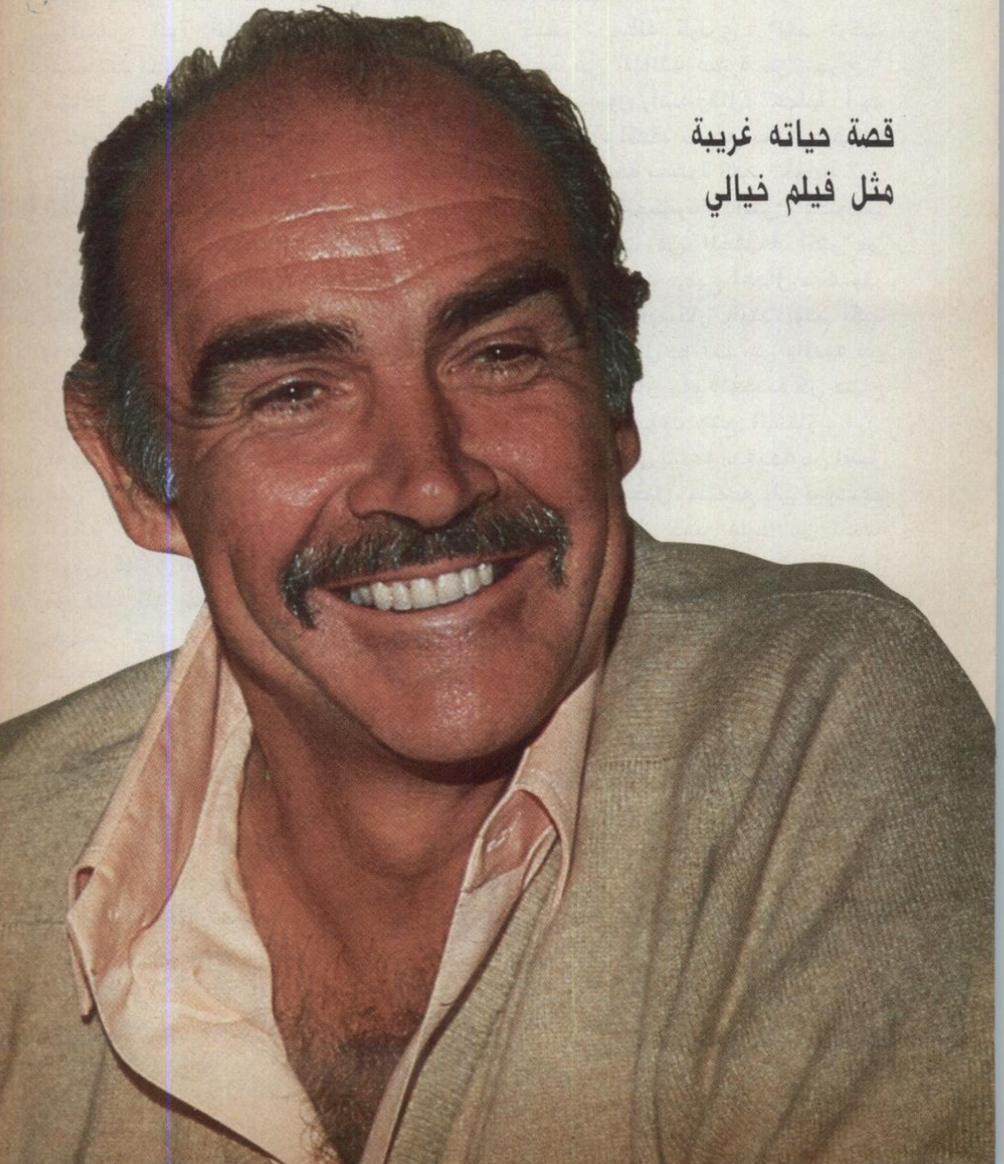

الاقليمية البريطانية. ووفرت له بنيته القوية (وقد أصبح طوله ١٨٨ سنتيمتراً) عملا في فريق الملاكمة، لكن نجمه لم يلمع. وخلال سنة شعر المراهق المفعم بالحنين الى الوطن بالقلق على احتمالات نجاحه الضعيفة. وبدأ يشكو من مشاكل صحية في المعدة. وأدخلته البحرية البريطانية المستشفى بعدما اصيب بقرحة ومن ثم سُرّح من الخدمة في السن التاسعة عشرة لاسباب صحية.

تريد أن تصبح ممثلاً؟ عمل طومي في مطبعة جريدة "أخبار المساء" في ادنبرة. وبعدما أصبح سباحاً ماهراً اشتغل كعامل انقاذ في المسبح المحلي. ومكّنه قوامه المتناسق من العمل كـ"موديل" (١) في معهد الفنون في ادنبرة. وشجعه صديق له على الاشتراك في مباراة "ملك جمال العالم" (٢) التي تجرى في لندن. فاحتل طومي كونري المرتبة الثالثة. ولكن أهم من ذلك أنه سمع أن الانتاج الانكليزي لفيلم "جنوب المحيط الهادئ" (٣) يحتاج الى ممثلين بدائل، فتقدم وأنشد مقطعاً من أغنية بصوته اللطيف وأدى بعض الخطوات الراقصة، فحصل على الوظيفة. الا ان لكنته الاسكوتلندية كانت صعبة الفهم فلم تحدّثه الا قلة من الممثلين "ظنوا أني بولوني."

وحده روبرت هندرسون، وهو أمريكي في السابعة والاربعين كان يخرج الفيلم، تكلم ذات يوم مطولا مع المفتول العضلات ذي الطموح الجامح، الذي أخبره أنه كان يود أن يصبح لاعب كرة قدم محترفاً. فأجابه هندرسون: "المشكلة مع لاعب كرة القدم أن حياته العملية تنتهي في الثامنة والعشرين او الثلاثين، فماذا ستفعل بعد ذلك؟ أليس من الافضل أن تصبح ممثلا؟"

"كيف؟" سأله كونري. "لقد تركت المدرسة في الثالثة عشرة من عمري."

هز هندرسون رأسه وقال: "عملياً، أنت لست مثقفاً. لكنك تتمتع بخيال وفطنة وسأعطيك لائحة بعشرة كتب تقرأها."

والكتب "العشرة" التي ذكرها هندرسون كانت في الحقيقة أكثر من مئتين اذ تضمنت جميع أعمال شكسبير وتوماس ولف وأوسكار وايلد. وقد أكب عليها كونري بكل ما أخذ عن والديه من نشاط وعزم. فكان يؤم المكتبة كل صباح ويلازمها حتى موعد فتح الستار.

وكان يبقى الى ساعة متقدمة من الليل برفقة آلة التسجيل، يستمع الى صوت لم يكن بولونياً، بل خسر قليلا من لكنته الاسكوتلندية. وبعد مضي سنة قرر امتهان التمثيل واختار لنفسه اسماً آخر يستهل به حياته الجديدة.

عام ١٩٥٧ أنتجت هيئة الاذاعة البريطانية «BBC» مسرحية "ترتيلة لذي الوزن الثقيل" للكاتب رود سرلينغ. وأدى دور مونتين ماكلينتوك، الملاكم اليائس، ممثل شاب لاكم في فريق الاسطول الملكي. وكان أداؤه رائعاً. اسمه؟ شون كونري.

وفي العام نفسه اختير كونري لتأدية دور في "آنا كريستي" (٤). وعهد في الدور

(١) الموديل نموذج مثالي للرسم أو النحت.
(٢) Mr. Universe
(٣) South Pacific
(٤) Anna Christie

النسائي الرئيسي الى ديان سيلنتو الشقراء التي غدت بعد سنوات قليلة زوجة كونري.

ظهر كونري خلال هذه الفترة في خمسة أفلام لم تحصد نجاحاً. لكنه في أحدها لفت نظر والت ديزني الذي استقدمه الى الولايات المتحدة عام ١٩٥٨ وأسند اليه دور مايكل ماكبرايد في فيلم عن اسطورة للجنّ بعنوان "داربي أوغيل والاقزام." وفي اللحظات الاكثر تشويقاً في الفيلم يقع عراك مثير بين ماكبرايد وشقيّ القرية.

ومن بين الذين لاحظوا حضور كونري على الشاشة في هذا الفيلم المنتج هاري سالتزمان وشريكه ألبرت بروكولي اللذان كانا يختاران ممثلين لفيلم "الدكتور نو" المقتبس من رواية ايان فليمنغ التي نشرت عام ١٩٥٨.

استدعي كونري الى مكتب المنتجين في لندن لاجراء مقابلة. وقد قال سالتزمان لاحقاً: "راقبناه وهو يعبر الشارع قافزاً على غرار سوبرمان. وأدركنا اننا وجدنا بوند الذي نريد."

لكن ايان فليمنغ كاتب روايات جيمس بوند كان يحتفظ بحق الموافقة على الممثلين، وكان من الصعب اقناعه. يقول كونري: "كان أحب على قلب فليمنغ أن يمثل كاري غرانت الدور، لكن المال لم يكن كافياً. لذا اضطر الى القبول بي."

مثل كونري الدور خمس مرات في الستينات وأبدع، بدءاً بـ"الدكتور نو" مروراً بـ"من روسيا مع حبي" و"غولدفنغر" و"ثاندربول" وصولاً الى "المرء يعيش مرتين فقط"(٥). وهو أسر بسحره اللطيف ومحياه الجميل الجذاب جماهير المشاهدين في أرجاء الكرة الارضية.

لقد كان في وسع صبية صغار، من شيكاغو الى روما، اخبارك بالحرف الواحد ما تفوه به "العميل ٠٠٧" عندما هدده غولدفنغر بمسدس ليزر:

"أتتوقع مني أن أتكلم؟"

- كلا يا سيد بوند، أتوقع منك أن تموت.

لكن "العميل ٠٠٧" لم يمت. ونجاح أفلام جيمس بوند مكّن كونري من الانتقال وزوجته وابنهما جايسون وابنة زوجته الى منزل يطل على متنزه أكتون بارك في لندن. وتمكن أيضا من شراء منزل مريح لذويه واقناع والده بالتقاعد.

مع ذلك شعر كونري بأن دور جيمس بوند يقيده كممثل، فطلب فسخ العقد. عام ١٩٧١ أُعلن أنه سيمثل فيلم بوند

(٥) From Russia With Love; Goldfinger; Thunderball; You Only Live Twice

PHOTO: GLOBE PHOTOS

آخر في مقابل مليون دولار حوّلها كلها الى "الصندوق التربوي الاسكوتلندي الدولي" الذي أسسه لمساعدة الاسكوتلنديين الفقراء على دخول المدارس.

هدية من والد. بعد الانتهاء من تصوير فيلم "الالماس يبقى الى الابد" (٦) وهو السادس في سلسلة أفلام جيمس بوند، زار كونري والديه في منزلهما الجديد في ادنبرة. وكان والده في تلك الحقبة يصارع السرطان، لكن أحداً في العائلة لم يعرف أنه في خطر داهم. وأمضى شون الليلة عند ذويه، وفي اليوم التالي نقل جو الى المستشفى.

"لدى مغادرتنا، التفتُّ ورأيته واقفاً في مدخل غرفته. فلوح لي بقوة..."

انتصب كونري فجأة وهو يخبرني القصة وردد الحركة التي قام بها والده مرة: رفع ذقنه وعلّى ذراعيه وأطبق كفيه فوق رأسه. وتابع: "اعتقدت أنه يقول: لا تقلق في شأني. فعدت الى لندن. وفي الاولى من صباح اليوم التالي أبلغت أنه توفي. موته هز كياني. ولقد أدهشني هذا الشعور بالخسارة الذي دهمني، اذ كنت أعتقد أن تأثير أمي علي كان أكبر من تأثير أبي."

لكن هذه ليست بهدية صغيرة، أن يرى المرء والده يقف في وجه الموت غير خائف.

بعد فترة قصيرة أسند المخرج الكبير جون هيوستن الى كونري دوراً في فيلم "الرجل الذي أراد أن يكون ملكاً" (٧) وهو مأخوذ من قصة كبلينغ حول جنديين بريطانيين في الهند تمكنا بالحيلة من ارتقاء عرش كفيرستان الجبلية. ووجد هيوستن الثنائي المثالي للقيام بدور دانيال درافوت وبيتشي كارنهان: شون كونري ومايكل كاين وهو صديق كونري اللندني منذ أيام الصبا.

وكان لمشهد موت داني درافوت أثر بالغ أكثر من أي دور آخر مثله كونري: أحاط به رجال القبيلة، فثبّت تاجه على رأسه الاصلع وبدأ يعبر الجسر المعلق فوق هوة عميقة بخطوات كبيرة واثقة.

وفيما راح رجال القبيلة يقطعون الحبال أدى كونري حركة اجلال واضحة لابيه: رفع ذقنه وبدأ ينشد: "فرقة مجيدة... قلة مختارة..." وعندما هوى أكمل بيتشي الاغنية.

وجه بطولة. ملايين توجهوا الى دور السينما لمشاهدة كونري في دور داني وفي أدوار اخرى كانت بمثابة تغيير في النهج المتبع، كما في "الريح والاسد" (٨) عام ١٩٧٥ حيث مثل دور راسولي الزعيم العربي الشهم، وشخصية روبن هود في فيلم "روبن وماريان" (٩) عام ١٩٧٦.

مثل كونري دور جيمس بوند مرة أخرى عام ١٩٨٣ في فيلم "لا تقل أبداً ثانية" (١٠). لكنه لم يعد مجرد جيمس

---

(٦) Diamonds Are Forever

(٧) The Man Who Would Be King

(٨) The Wind and the Lion

(٩) Robin and Marian

(١٠) Never Say Never Again

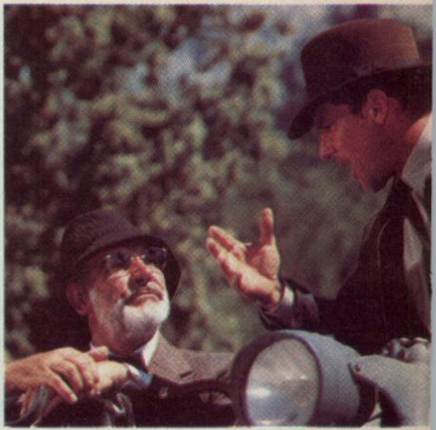

مع هاريسون فورد في فيلمه الاخير "إنديانا جونز والمهمة الاخيرة."

بوند بل أصبح، حسبما قال نيل سينيارد وهو محاضر حول الافلام البريطانية، "وجه البطولة المقبول في عصر مناهض للبطولة."

وأظهرت الادوار المختلفة التي أداها في الثمانينات مكانته المرموقة. وعن شخصيته في "لصوص الزمان" و"اسم الوردة" (١١) يقول كونري: "انهما قمة الادوار، انهما دوران نموذجيان."

وأفضل أدواره كان في فيلم "القاهرون" (١٢) الذي نال عليه جائزة أوسكار لافضل تمثيل. وهو أدى فيه دور جيمي مالون وهو شرطي متمرس في شيكاغو ومدرب للمبتدئين. وقد ارتكز كونري في تصوره لشخصية مالون الايرلندي الاصل على ذكرياته عن بعض رجال الشرطة الاقوياء الاشداء في ادنبرة. وكان للنصيحة الشهيرة التي وجهها كونري في دور مالون الى اليوت نس بالغ الاثر والوقع: "تريد النيل من كابوني؟ سأقول لك كيف: يشهر عليك سكيناً، تشهر عليه مسدساً. يرسل رجلاً من رجالك الى المستشفى، ترسل رجلا من رجاله الى المشرحة. هذه هي الطريقة في شيكاغو." عندما عرض هذا المشهد الآسر خلال حفلة تقديم جوائز الاوسكار أثار موجة عارمة من التهليل بين الحضور.

الدرب الشاق. بينما كان كونري ينتقل الى هذه الادوار "الابوية" أعلن ابنه جايسون أنه يريد أن يصبح ممثلا.

"تعال معي،" قال له كونري. ووضع له لائحة بأسماء المسرحيات والاعمال الاخرى ليقرأها على غرار ما فعله روبرت هندرسون معه سابقاً. وحضّرا معاً مشهدين وأغنية يؤديها جايسون في تجربة امتحانية، وقبل الابن في شركة مسرحية في اسكوتلندا.

---

(١١) Time Badits; The Name of the Rose

(١٢) The Untouchables

PHOTOS: © 1989 LUCASFILM LTD. / MURRAY CLOSE

وبعد فترة تدرب أمضاها جايسون هناك اشترى سيارة مستعملة وقصد لندن باحثاً عن مجالات أخرى وتجارب جديدة في عالم السينما. وسألت شون: "أتقصد أنك لم تشتر سيارة جديدة لابنك؟" فحدق الي بنظرة صارمة على طريقة أجداده الاسكوتلنديين وقال: "لا، لم أشتر له سيارة. قد تسمي ذلك حرفة أو تربية، ولكن عليه أن يسلك الدرب الشاق، فهذا شرط أساسي لكي يصبح ممثلا."

شون كونري اليوم في التاسعة والخمسين. وهو وزوجته ميشلين روكبرون التي تزوجها قبل أربع عشرة سنة يملكان منازل في قارتين. وهو ما زال يقرأ كثيراً ويرسم بحماسة ويدعم "الصندوق التربوي الاسكوتلندي الدولي" ويتلقى العروض كما حين كان في دور جيمس بوند.

أما الآن، على شاشات السينما في العالم، فيمثل شون كونري في "انديانا جونز والمهمة الاخيرة" (١٣) دور والد انديانا جونز. ويبدو في هذا الدور، بقبعته ونظارتيه ولحيته التي غزاها الشيب، مجسداً تماماً شخصية الاب الذي يشب ابنه ويصبح عالم آثار مغامراً.

وأي مغامرات! في أحد المشاهد يستولي الدكتور هنري جونز وابنه على طائرة ألمانية عدوة، فيتولى الابن قيادتها في حين يجلس الاب في المقعد الخلفي ويطلق النار على مطارديهما. هذه هي الصورة المفضلة لدى كونري: الاب والابن يحاربان جنباً الى جنب وينتصران على الاقدار.

جون كالهان ■

(١٣) Indiana Jones and the Last Crusade

من كسر الصحون؟

بعد الانتهاء من طعام الغداء انصرفت الام وابنتها لغسل الصحون وبقي الأب والابن في غرفة الجلوس يشاهدان برنامجاً تلفزيونياً. فجأة سُمع صوت تحطم صحون أعقبه صمت مطبق. فنظر الفتى الى أبيه وقال: "هذا فعل ماما."

– وكيف عرفت؟

"لانها لزمت الصمت."

ن.إ.

اتفقوا على الّا يتفقوا

كان المعلمون يناقشون مشاكل العمل الجماعي في صفوفهم، فانتظموا في مجموعات لمعالجتها. وبعد ساعة، اجتمعوا لكي يستمعوا الى التقارير: وبدا واضحاً ان احدى الفرق عانت مشاكل جمّة، فكل ما استطاع أن يقوله الناطق باسمها: "لم نستطع الاتفاق على اي شيء." عندئذ، صاحت احدى الاعضاء غاضبة: "هذا غير صحيح!"

د.ج.

في عصر الالكترون لا يزال معظم الناس يهتدي بالمثل الشعبي "تعلَّم من كيسك"

حِكَم

الحكمة المبنية على التجربة وصفة منزلية لتخمين الامور. فهي وسيلة يسهل تذكّرها تقع بين القواعد الحسابية والتخمين، وترشدك في مسائل قد تجتاز عوائقها.

أنا أرغب في الافلات من بعض الازعاجات كما يفعل آخرون. لذلك كتبت رسائل الى كل شخص خطر اسمه في بالي طالباً من الجميع ان يكتبوا اليّ حكمة اكتسبوها من تجاربهم الخاصة. وهنا بعض ما تلقيت:

كيف تقدّر الموسيقى؟

اذا كانت القطعة الموسيقية أُلِّفت بعد ولادتك، فلست مضطراً الى تقديرها.

فرنسيس جود كوك، مؤلفة موسيقية (ولدت عام ١٩١٠)، مساتشوستس

متى تسقي العشب؟

يحين أوان سقي العشب في حديقتك عندما تترك قدماك آثاراً عليه مما يدل على الذبول.

نورمن هومل، جامعة كورنيل

كيف تحضرين المعكرونة؟

الابهام والسبابة يطوّقان مقدار أربعة أطباق من المعكرونة الجافّة.

جيمس كولبي، مهندس مدني، بوسطن، مساتشوستس

كيف تختار البطيخ الأحمر؟

يكون البطيخ ناضجاً اذا ضربته ضربة خفيفة وسمعت صوت "بانك" بدل "بينك."

بول كاستنر، ناغانو، اليابان

CONDENSED FROM «RULES OF THUMB,» COPYRIGHT © 1983 BY TOM PARKER, AND «RULES OF THUMB 2,» COPYRIGHT © 1987 BY TOM PARKER, PUBLISHED BY HOUGHTON CO., BOSTON, MASS. ILLUSTRATIONS: ROY MCKIE

كيف تعثر على مطعم جيد وأنت خارج البلاد؟

اذا كنت في بلدة صغيرة، إسأل الجزار عن مطعم تتناول فيه الغداء. فهو يعرف مَنْ يشتري اللحم الجيد.

نشرة "تقرير المسافر"

كيف تطيل عمر حذائك؟

إذا تناوبت على ثلاثة أحذية فستدوم ثلاثتها الفترة ذاتها التي تخدمك خمسة أحذية تنتعل كلا منها على الدوام.

جو كوسنتيني، صاحب محل أحذية متقاعد، ايثاكا، نيويورك

كيف تقود سيارتك من دون وقود؟

اذا كان وقود سيارتك ينفد وأنت لم تبلغ المحطة التالية، اخفض سرعتك الى ٥٥ كيلومتراً في الساعة.

ر.س. وودز، أستاذ متقاعد، ميرندا، كاليفورنيا

كيف تنجز عملا؟

أوكل هذا العمل الى شخص دائم الانشغال.

سكوت باركر، بومون، تكساس

كيف تقبض على سارق مصرف؟

(هذه الحكمة صالحة في الدول التي تعتمد الجهة اليمنى قاعدة في قيادة السيارة.)

حين يهرب المشتبه فيه بسيارته من مكان الجريمة، فانه يأخذ المنعطفات اليمنى أكثر من اليسرى. ان لم ترَ أي جهة سلك الهارب، خذ المنعطفات اليمنى.

جون هاوسدن، ضابط في الشرطة، فريمونت، كاليفورنيا

حكمة الحِكَم.

كان ر. باكمنستر فولر مخترع القبة الجيوديسية يحبّ الاستشهاد بالمثل الانكليزي "اذا ساورتك الشكوك، فلا تفعل."

طوم باركر ■

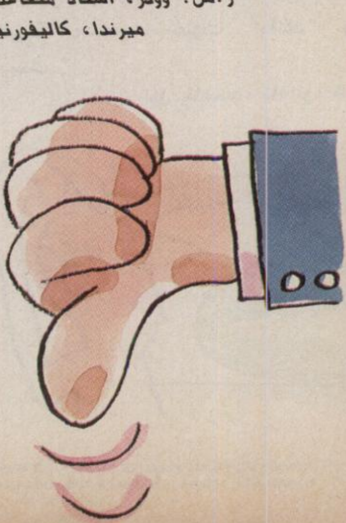

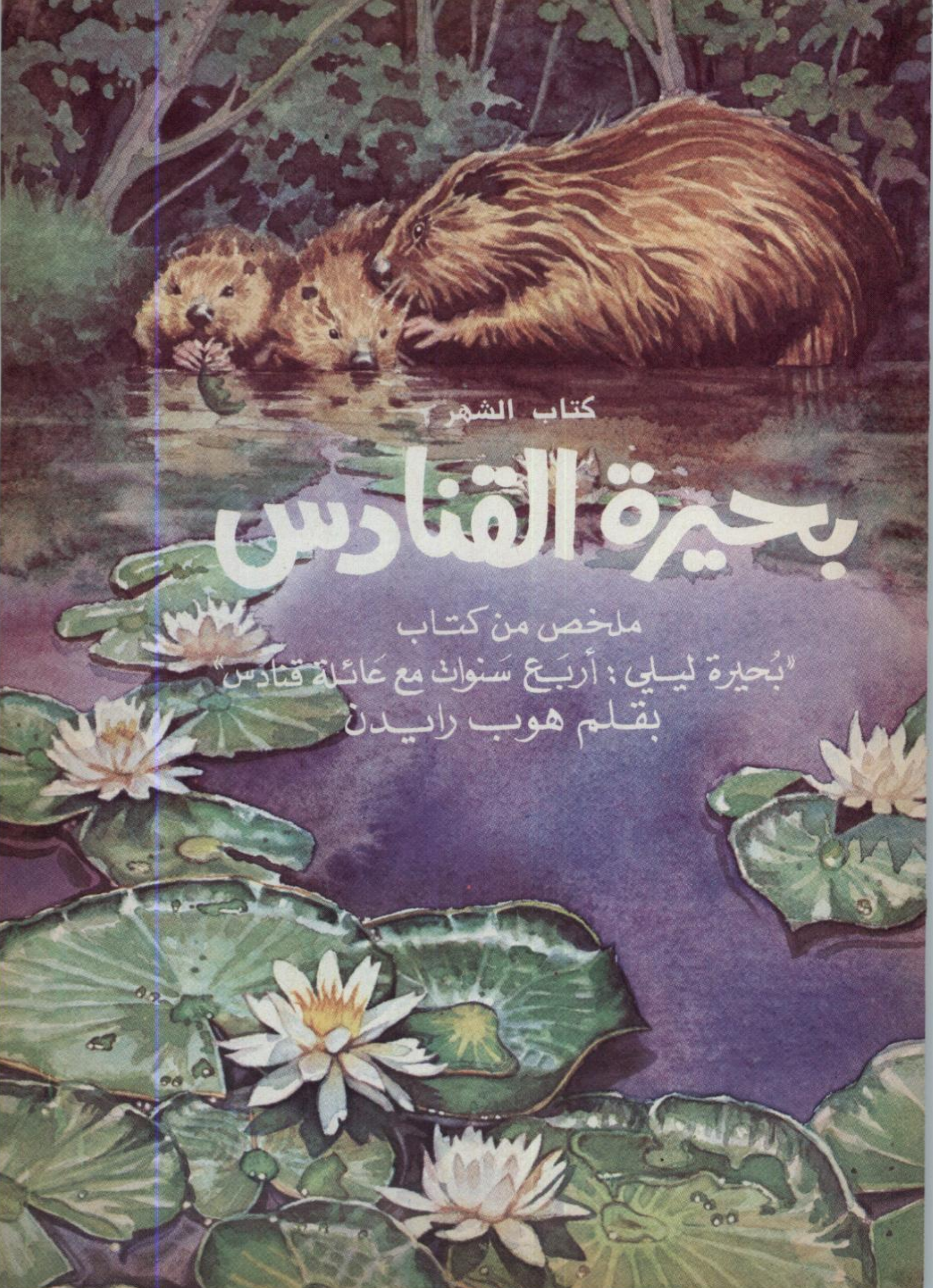

كتاب الشهر

بحيرة القنادس

ملخص من كتاب

«بُحيرة ليلي: أربَع سَنوات مع عَائلة قنادس»

بقلم هوب رايدن

بحيرة القنادس

لدى وصولها الى البحيرة النائية، كانت عالمة البيئة هوب رايدن عازمة على البقاء سنة واحدة لوضع دراسة عن مستوطنة القنادس هناك. الا أنها أمست أسيرة العالم الغامض الجميل لهذا الكائن البري بحيث واصلت دراستها

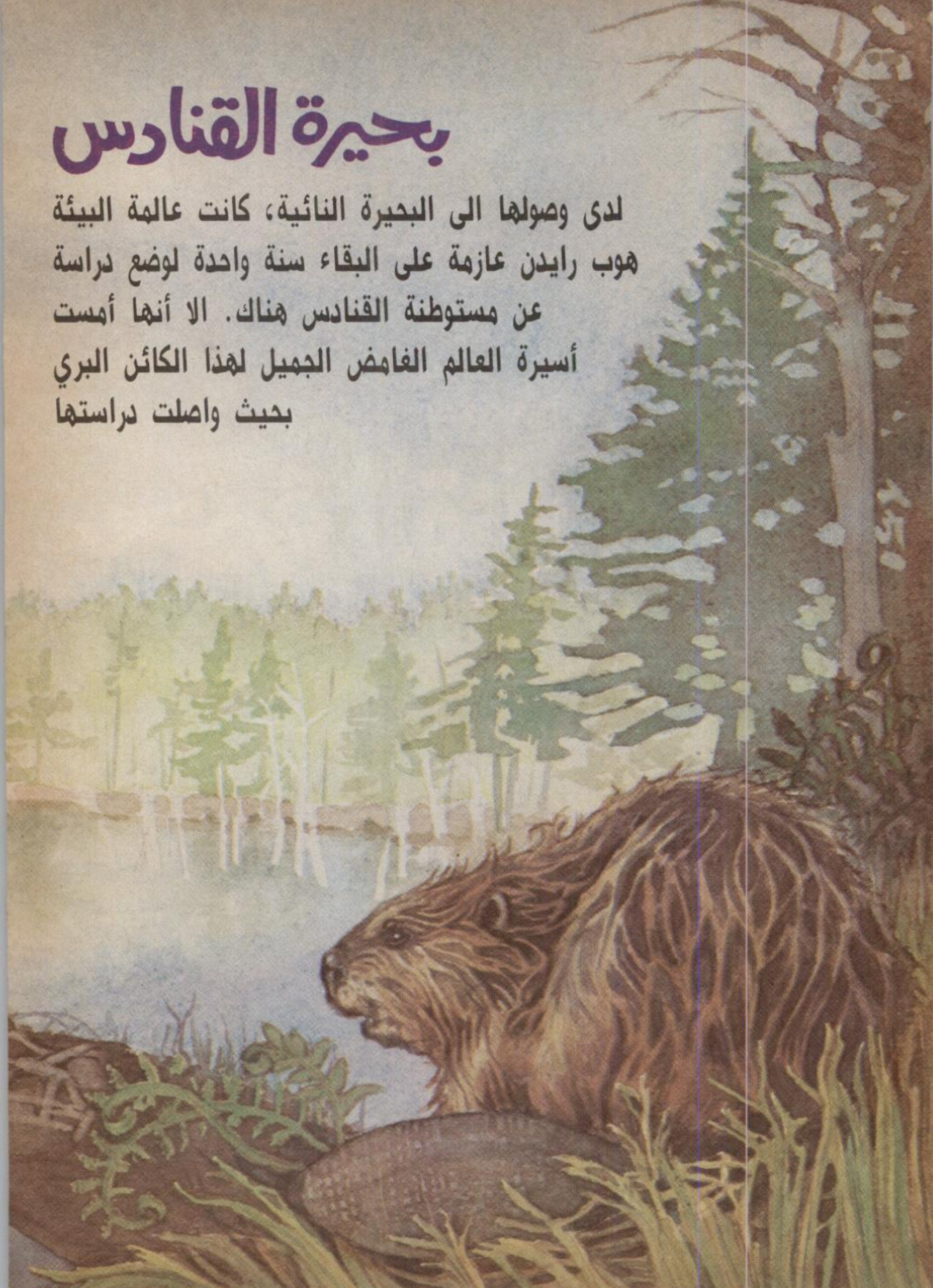

ثلاث سنوات أخرى.
وهي في كتابها هذا تفتح نافذة
على حياة القنادس في كفاحها لانقاذ موطنها
وتأمين غذائها وتربية صغارها
في مواجهة جور الطبيعة وأذى الانسان.

CONDENSED FROM «LILY POND: FOUR YEARS WITH A FAMILY OF BEAVERS,»
COPYRIGHT © 1989 BY HOPE RYDEN AND BY WILLIAM MORROW AND CO., INC.,
NEW YORK, N.Y. ILLUSTRATIONS: LYNN RENEE

كان انتظاري وحيدة في الظلام أمراً لم أعتده فأحسست في نفسي نزوعاً الى النوم، ذلك لان حواسي لم تكن انتظمت ودورة الحياة الليلية للكائنات التي كنت مصممة على معرفتها.

وكانت القنادس(١) في بحيرة ليلي صامتة بمقدار ما كانت خفية. وفيما أنا على وشك أن أغفو سمعت صوت حيوان ينسل الى الماء. فاستيقظت حواسي كلها ولاحظت أمواجاً تنداح نحو الشاطىء بفعل حركة كائن يسبح تحت صفحة الماء.

ثم نبهني حفيف في العشب الى أن عضواً آخر من مستعمرة القنادس لا بد قريب مني. وتسارع خفق قلبي حين أدركت الصوت الحاد المتقطع لانياب تقرض خشباً وأيقنت أن ثمة قندساً في متناول مني.

وعبثاً حدقت في عتمة تلك الليلة التي احتجب قمرها لتحديد مصدر الصوت. وحاولت أن أنزع من ذهني صورة أنياب القندس الكبيرة البرتقالية، تلك الادوات الحادة القاطعة التي تتيح له نشر شجرة في غضون دقائق.

وأطبق صمت. جلست القرفصاء. ومع علمي أن القندس ليس حيواناً عدائياً اجمالا، فأن عجزي عن تحديد مكانه جعلني مضطربة. واذ نبهني صوت ذيله المنبسط يجره خلفه الى أنه اتخذ موضعاً له خلفي مباشرة، قبعت في مكاني بلا حراك. وتساءلت: ماذا يبغي هذا الحيوان؟

كان بالتأكيد عالماً بوجودي بمقدار ما كنت عالمة بوجوده. بل ان حاسة الشم لديه تفوق تلك التي لدي الى حد بعيد. هل كان يراقبني؟

بعد لحظات تكرر صوت القرض آتياً هذه المرة من ناحية أبعد صعداً. فحدثت نفسي: حسناً، لم يعد القندس منشغلا بي، مع أنني كنت أرغب في معرفة أين كان يقطع كي أتمكن من الابتعاد تفادياً لما قد يصيبني من جراء سقوط الشجرة.

ومن دون أي انذار خرقت الهدوء صفقة مدوية، صوت مروع كقصف الرعد جعلني أثب منتصبة على قدمي وجعل القندس يعدو منطلقاً في محاذاتي نحو المنحدر فالى البحيرة.

لم يهدأ روعي ولم تتخل ساقاي المرتجفتان عن وضع الحيطة الا بعد مرور بضع دقائق. ولم تكن تلك المرة الاولى أسمع صفع قندس وجه الماء بذيله. لكن كوني مراقبة من حيوان بري تجربة أثارت أعصابي في تلك الليلة من صيف ١٩٨٤.

كنت مدركة منذ البداية أن النوع الذي قررت دراسته سيمثل لي تحدياً صعباً. وقد جئت الى محمية هاريمان الحكومية في جبال رامابو بولاية نيويورك لاراقب النشاط اليومي للقنادس وأطلع على طريقة عيشها وتواصلها وكفاحها للبقاء قيد الحياة. لكن حيوان القندس يمضي قسماً كبيراً من حياته تحت الماء، ويبقى ساعات النهار بعيداً عن الانظار نائماً في وجاره الذي لا نفاذ لغيره اليه.

ومع ذلك كان القندس وحده، بين كل الكائنات، الذي ملك علي مشاعري وأسر

(١) القندس أو السمّور (beaver) حيوان من القواضم ثمين الفرو.

مخيلتي. وعلى رغم الارتباك الذي داخلني نتيجة الاصوات الليلية، من زعيق فراخ البوم الى شجار الراكون بصخبه المخيف، قررت أن أواظب على عملي.

تنفست عميقاً وانتظرت الى أن هدأ روعي. وذكرت نفسي بالمهمة التي جئت لها: أن أبدو جزءاً من بحيرة ليلي مثلما هي القضاعات وفئران المسك والضفادع والسلاحف التي لم يكن وجودها يزعج سكنى القنادس. وتحقيق ذلك يتطلب وقتاً ومقدرة على الاحتمال وصبراً... وثمة أمر آخر: علي أولا أن أصادق الليل.

عائلة قنادس

كانت ورشة القنادس التي استقررت فيها للمراقبة تضم وجاراً مخروطياً عماده أغصان وطين لصوق، وسداً يمتد ٤٥ متراً أحدث بحيرة ناهزت مساحتها هكتاراً ونصف هكتار. وغطى صفحة البحيرة زهر النيلوفر (زنبق الماء) العطر بألوانه الزهري والابيض والاصفر، وظهرت خطوط دقيقة من المياه الرقراقة ترسم أشكالا في سجادة النيلوفر هذه. وغالباً ما تشق القنادس قنوات تنقل عبرها الخشب الذي تقطعه. وكانت هذه الممرات من المياه الصافية تمثل خطوط شحنها.

بعد فترة وجيزة من اكتشافي البحيرة بدأت مراقبتي جدياً. فكنت أبقى ليلياً حتى الساعة الاولى، او الثانية بعد منتصف الليل. وكل مساء كنت أشاهد قندساً ضخماً يمارس الشعائر اياها: في تمام السادسة والدقيقة العاشرة يخرج من وجاره عبر ثقب استحدث تحت الماء، مخلفاً وراءه فقاقيع هواء، ثم يتوجه مباشرة نحو السد ويشرع يتفحصه بعناية فائقة منعماً نظره في أنحائه ومنصتاً الى صوت تسربات محتملة عنه. ودفعني سهره على هذا البناء المدهش الى تسميته "المفتش العام".

كان كائناً ذا مظهر لطيف. فراؤه بلون خشب الماهوغاني البني الضارب الى الحمرة، يعنى به الى حد الكمال. ومع أن ضخامة حجمه - لم يكن لدي شك في أنه كان يزن نحو ثلاثين كيلوغراماً - دلت بوضوح على أنه كان معمراً، فلم يحمل شارباه أي أثر للشيب. وذات مرة، اذ جلس منتصباً على وركيه، لمحت قواطعه الطويلة ذات اللون البرتقالي الوضاء وكانت لا تزال في حال ممتازة.

بدا لي في بعض المناسبات أن المفتش العام كان يحاول التقرب مني. فاذا هو أحياناً يتوقف عن السباحة وتشخص عيناه الى شكلي الساكن، لكنه لا يلبث أن يثور لوجودي. فنفحة من رائحتي أو جلبة أحدثها من غير انتباه كانت تدفعه الى رفع ذيله حتى يلتف حول جسده ثم يضرب به وجه البحيرة بقوة هائلة بحيث ان قائمتيه الخلفيتين كانتا ترتدان خارج الماء وينبثق رشاش غامر يرتفع عالياً في الهواء.

لم يقتض الامر طويلا لأتعرف الى رفيقة المفتش العام، وسميتها ليلي. وأيقنت أن ثمة أربعة قنادس تعيش معاً في مسكن واحد. ولكن وحده المفتش العام كان يدنو مني ويبقى على مسافة قريبة في حين بقيت الثلاثة الاخرى أشكالا غير واضحة الملامح، تلزم أي شاطىء يكون بعيداً من حيث يصادف وجودي. واذ صممت على رؤية العائلة

مجتمعة عن كثب، قررت أخيراً - وبعض الشك يداخلني - أن استخدم غذاء لاستدراجها.

لم يكن الغذاء الشجري الذي تفضله القنادس - الحور والصفصاف والبتولا وجار الماء - متوافراً في محيط بحيرة ليلي، الامر الذي جعلني أتساءل لماذا لا تنتقل هذه الكائنات الى مكان آخر. وسرعان ما تبين لي أن لدى هذه المستعمرة من الغذاء ما يكفي حاجتها. فهي تقتات بزهر النيلوفر من اللحظة التي تترك وجارها مع ساعات المساء الاولى حتى قبل طلوع الفجر. وكثيراً ما كانت اصوات المضغ المرتفعة الاشارة الوحيدة لتحديد مكان قندس.

ومع هذا أملت أن تكون تقدمة من أغصان شجر الحور وليمة مغرية لا يمكن القنادس مقاومتها. وما ان حل الخريف حتى جندت لمساعدتي في هذا الامر صديقي دان بيرسون الذي كانت الاشجار في ممتلكاته تنمو بأعداد وافرة.

اختبأنا نحن الاثنين خلف صخرة كبيرة مستديرة على خطوات من المياه حيث ألقينا الاغصان. وبينما كنا ننتظر روى لي دان كيف كان يراقب القنادس وهو بعد صبي، وأنه رأى ذات مرة قندسين عند سد يتماسان بوجهيهما ويطلقان هممات ناعمة، وأضاف: "بدا الامر كأنهما يتبادلان القبل."

لم افاجأ بتحليله لسلوكهما. فالقندس كائن اجتماعي ويقيم روابط عائلية متينة. تتألف كل مستعمرة، عادة، من زوجين بالغين لا يفترقان مدى الحياة، ومعهما صغارهما المولودة حديثاً، فضلا عن الحوليات وهي الذرية التي تكون ولدت قبل سنة. وتجد أحياناً عائلة يصل عدد أفرادها الى أربعة عشر قندساً تعيش في وجار واحد طوال فصل الشتاء.

بقينا أنا ودان عند البحيرة وقتاً طويلا بعد المغيب، وكل ما استطعنا رؤيته انعكاس القمر على قنوات من المياه الجارية. ثم سمعناه، ذلك الصريف الخشن لاسنان تقطع خشباً. وشيئاً فشيئاً استطعت تمييز أربعة أشكال: زوجين بالغين وحوليين بدا واضحاً أنهما ولدا في ربيع العام السابق، وسميت هذين لوريل وسكيبر. وراقبت الاربعة، مفتونة، وهي تغوص معاً لتعود فتطفو في انسجام مدهش.

تموج سطح البحيرة قليلا. وادركت أن كائناً يسبح تحت الماء فانحنيت فوقه لأتبين أياً من القنادس سيظهر.

وهتفت وقد أخذتني المفاجأة: "ياه، انه مولود جديد! وذاك مولود آخر!"

لم يكن مفترضا حدوث

ذلك. فالقنادس تولد في الربيع وليس في الخريف. ولكن ها هما اثنان طفلان ربما في الاسبوع الرابع من عمرهما.

بدا الصغيران وهما يناوران في بحيرة ليلي مثل حوريتين مائيتين. وبوحي مظهرهما هذا سميتهما "لوتس" (سنط) و"بلوسوم" (زهرة متفتحة).

فاتتني مراقبة نمو الصغيرين في الاسابيع الاولى، ذلك لانهما أبقيا في الوجار حيث تناوب الاعضاء الآخرون اشباع حاجاتها. وأملت أن ينشأ الصغيران صلبي العود ليتمكنا من البقاء قيد الحياة خلال الفصل القاسي المقبل. وأملت كذلك أن تجتاز كل قنادس بحيرة ليلي الشتاء بسلام. ولمساعدتها كان علي أن أعرف أنواع الطعام التي يمكن أن تمدها باسباب البقاء في الاشهر الباردة حين لا تعود نبتة النيلوفر تزهر. ثمة ستة قنادس يجب اطعامها.

هدية خضراء

بعد فترة أحضرت حزمة ثانية من أغصان الحور الى البحيرة لاستدراج القنادس الى مرأى مني، لكن محاولتي أحبطت اذ بدأت ليلي، بدل أن تأكلها، تسحبها غصناً غصناً عبر البحيرة. وراقبتها وهي تثبتها على نحو نظامي تحت الماء أمام الوجار، فتدفن كل غصن على حدة، من رأسه أولا، في بطن التربة الطينية. كانت تدخرها مؤونة للشتاء.

عندما يتجمد وجه البحيرة تنكفىء الحيوانات الى وجارها والى ما تبقى من مياه صالحة للسباحة تحت طبقة الجليد، علماً أن كل مخارج الوجار مفتوحة تحت سطح الماء. وتتحول القنادس، والحال هذه، حبيسة عالم قطبي. ولهذا السبب يتعين على المجموعة أن تخزن ما يكفي من الاغصان في قاع البحيرة قرب الوجار ليغتذي بها أفرادها مدة ثلاثة أشهر.

لكني، وأنا أراقب ليلي، أدركت أن القنادس الاخرى كانت تبري بنهم الاغصان التي كانت هي وحدها تجهد لجمعها. وكأنها أدركت هذا الأمر، فكانت تعود مسرعة بعد كل نقلة لتلتقط غصناً آخر وتعبر به البحيرة.

عملت ليلي بوتيرة غير معهودة في القندس الذي يعتمد عادة أسلوب عمل متمهلا. وهي تخلت تلك الليلة عن وجبتها المسائية ولم تهتم حتى بتذوق أغصان الحور. وتساءلت: ألم يكن أي من القنادس الاخرى شاعراً بالعوامل التي أيقظت في ليلي هذا الاندفاع الغامر لتخبىء طعاماً؟

في نقلتها الاخيرة التقطت ليلي في فمها ثمانية من أطول الاغصان المتبقية وسبحت بها عبر البحيرة. ولو لم أكن نفسي مدركة أن قندساً كان يشحن هذه الضمة لتملكتني الحيرة أمام مشهد دغل يتنقل في المياه مندفعاً بقوة ذاتية.

في صباح اليوم التالي حضرت ومعي صديقي جون ميلر وهو عالم بيئة أيضاً، وتفقدنا محيط البحيرة بحثاً عن دليل على أن القنادس بدأت تقطع أشجاراً لتخزنها في مخبأ المؤونة الشتوي. فلاحظنا أن شجرة قيقب مستنقعي بشرت لمعرفة مذاقها قبل أن

تترك، وأن أخرى قطعت لكنها ظلت عالقة بشجرة بلوط عالية. وبعدما شدها جون بقوة تمكن من انزالها فسقطت جزئياً في الماء. واملنا ان يعثر عليها احد القنادس فتضاف الى مخزون ليلي الهزيل من الاغصان.

عاينت بقلق كبير قمة مخبأ مؤونة القنادس القائم تحت الماء. وتساءلت: هل يعقل أن تبقى قيد الحياة وكل ما لديها من غذاء هذه الكمية الحقيرة؟ ولماذا لم تنتقل الى مكان آخر حيث الاشجار أوفر؟ هل مرد ذلك الى أن الصغيرين ولدا متأخرين كثيراً عن موعدهما من السنة؟ ايا يكن السبب، لا يمكن القنادس أن تغادر الآن، اذ لم يتبق لها متسع من الوقت للاهتداء الى موقع جديد وتحويله بحيرة وبناء وجار فيه وخزن كمية من الغذاء تكفيها حاجتها لفصل الشتاء.

اقترح علي دان، بعدما قوم الوضع، أن نمد يد العون الى المستعمرة فنلقي اليها قطعاً من خشب الحور. وأضاف: "لقد عثرت على مجموعة من هذه الاشجار في أرضي."

ترددت حيال هذا الامر، وكانت بدأت تتنازعني أحاسيس متعارضة ازاء تقديمي أغصان الحور الاولى. وحدثتني نفسي أن أترك القنادس لمصيرها، فالطبيعة دائماً على حق حتى عندما تقسو.

الموسم القاتل

ذات مساء قارس وصلت الى البحيرة لأجد أن معظمها تجلد، الا من حوض صغير من الماء الجاري أمام الوجار مباشرة ظل يفي حاجة الصغيرين الى الغطس واللهو.

قبعت بضع دقائق أراقب الصغيرين يلعبان قبل أن يلمحا المفتش العام يظهر على سطح البحيرة أمام الوجار. وبعدما لامس بخطمه خطميهما تحية، راح يعمل كاسراً الواحاً من الجليد على طول حافة حوض الصغيرين. كان يضغط الجليد بقائمتيه الاماميتين حتى تنكسر قطعة منه. وحيث طبقة الجليد سميكة كان يصعد اليها ويترك لثقل جسده أن يفصل جزءاً آخر. وكان يسبح تحت طبقة الجليد ويلطمها صعداً.

كانت مشاهدته تسلية عظيمة: ضربة قوية ويتفسخ الجليد، وفي الصدمة الثانية أو الثالثة من تحت يتحطم ليطل المفتش العام من خلاله.

بابقاء مجاري المياه مفتوحة كان هذا القندس يرجىء انحباسه في عالم مظلم معزول، ويكسب مزيداً من الوقت لاضافة اغصان أخرى الى مؤونته الضئيلة. وعلى رغم ذلك، في الليالي القليلة التي تلت، كانت طبقة الجليد تزداد سماكة فيما المياه الجارية تنحسر. وذات ليلة وصلت لأجد "حوض السباحة" حيث كان الصغيران يلهوان تجمد. وبذلك باتت قنادسي معزولة تحت الجليد. ودعوت لها بشتاء آمن.

تحولت بحيرة ليلي مشهداً قطبياً يعمي الابصار، مدى من البياض موسوماً بآثار قوائم حيوان هام على صفحته المتلألئة. والاطراف الملتزة لاشجار غار الجبل المصطفة عند الشاطىء الجنوبي انحنت مثقلة بالثلج على وجار القنادس فوارته.

الآن وقد صار في مقدورنا أن نسير على البحيرة المتجمدة عبرنا أنا وجون نحو الوجار

لنتفقده عن كثب. واذ اقتربنا من القلعة ذات القبة الثلجية دهشنا حين رأينا بخاراً يتصاعد من فوهة ثقب أنبوبي عند قمتها. وبدت كأنها مصغر لكوخ إسكيمو أضرم قاطنوه ناراً.

كان "الدخان" ناتجاً من الانفاس الدافئة للقنادس اذ تنبعث الى الخارج فتمتزج بالهواء البارد. وسمعت من الداخل همهمة من "حديث القنادس" حاكت نبراتها أصواتاً بشرية. واذ وقفنا نصغي الى وشوشاتها علق جون: "يبدو أن القنادس في صحة جيدة."

وكان تساقط الثلج قبل ليلة أضاف طبقة عازلة أخرى الى منزل القنادس الكبير. ومع وجود ستة حيوانات تولد حرارة جسدية فلا بد من أن حجراتها كانت دافئة.

شاهدت قنادسي مرة أخرى في ديسمبر (كانون الاول). وكان دان استشار خبيراً من جامعة مساتشوستس أبلغ اليه أن القنادس تواجه خطر المجاعة في فترة تبدأ مع دفء الربيع وذوبان الثلوج وتنتهي قبل أن يتوافر نتاج الطبيعة. وأقنعني بأن نقطع حملا من شجر الحور ونطرحه على الجليد كي يجد أي قندس بقي حياً بعد فصل الشتاء ما يستهل به غذاءه في الربيع.

أمضينا أنا ودان وابنته نينا وجون بعد ظهر يوم نقطع شجيرات جمعنا منها حزمات لنقلها الى البحيرة. وكنا انتهينا من افراغها من الشاحنة الصغيرة حين دوى صوت قوي نتج من انخساف الطبقة الجليدية تحت ثقل حمولة شجر الحور. وبعدما تراجع الصدى تأملنا بذهول ما أفضى اليه الحادث: كانت حزمة الحور المتشابكة طافية في مياه البحيرة. ولم تمر دقيقة واحدة حتى ظهر بجانبها وجه مفرى أخذ يحدق الينا طويلا. كان ذلك وجه ليلي.

بادرتها: "أحضرنا لك عشاء الميلاد."

ولدى سماعها صوتي عادت فغاصت. وبعد لحظة بدأت الاغصان العائمة تهتز في مكانها فيما كانت ليلي تعمل على سحب غصن منها. ثم ظهر الصغيران فحدقا أولا الى المشهد الشتوي ثم تفرسا فينا. وانتفض ذيلاهما في الهواء قبل أن يؤديا غطسة لولبية في انسجام تام. وبعد قليل سمعنا قرضاً آتياً من تحت حزمة الخشب الطافية.

وبدأ غصن طويل يختفي. وانقضى نصف ساعة وأنا أراقب ليلي وصغيريها تسحب أغصاناً الى مخزن المؤونة.

بعد ليال عدة زرت البحيرة القابعة تحت قمر كبير وضاء، واسترقت النظر الى قندس مبتل يتلألأ فراؤه على الضفة. كان ذلك المفتش العام. لمحته يجر احدى شجيراتنا الى شق من المياه الجارية بجانب السد. وبدت الفتحة ضيقة جداً، وعلى رغم ذلك استطاع أن يسحب مؤخر الشجيرة بجهد كبير ويدخله الشق. وبعدما نزل هو نفسه تحت الماء جذب بقية الشجيرة وراءه.

ثم استنتجت، ان المفتش العام كان يسحب الشجيرة تحت الجليد نحو مخبأ الطعام على مسافة مئة متر. اقتفيت سبيله متتبعة الطقطقة والخربشة التي كانت تحدثها حمولته حين تصدم سقف الجليد أو تنجر على صخر في القاع. ولم أصدق انه كان قادراً على انجاز مهمته الا بعدما قطع ٧٥ متراً. وتساءلت: من أي نسيج رئتا هذا الحيوان؟ ذلك لانه، وفق تقديري، صرف اكثر من ٤٠ دقيقة من العمل الشاق من غير أن يتنفس.

جاء الربيع!

في مارس (آذار) تكدس نحو ثمانية سنتيمترات من الثلج البليل على المحمية، ثم سقط رذاذ من المطر البارد غلف الارض بقشرة زجاجية زلقة. انتعلت جزمتي العالية وسرت على البحيرة مدركة أن الجليد الرقيق سينكسر تحت خطواتي. وألفيت نفسي مرتين والمياه تغمر ركبتي. واذ وصلت الى الوجار ألقيت على الجليد بضعة أغصان من شجر البتولا آملة أن يظهر قندس. ثم جلست على صخرة رطبة وأنصت.

انقضت عشرة أسابيع مذ رأيت قندساً من مستعمرتي. ترى هل قسمت القنادس غذاءها على نحو كفاها مؤونة ثلاثة أشهر؟ هل الستة كلها لا تزال حية داخل وجارها؟

بدأ يتساقط ثلج خفيف. وبعد برهة سمعت صوتاً مكتوماً. كان ذلك قندساً قفز في فجوة الغطس التي تقود الى داخل البحيرة، وكان على وشك أن يسبح للمرة الاولى في المياه المفتوحة أمامي مباشرة.

ظهر على سطح الماء كائن بدا عليه نعاس شديد وعام بضع ثوان. وبعدما هز رأسه كما يفعل الكلب سحب نفسه الى صخرة تعلوها قشرة ثلجية على بعد مترين من حيث جلست. أغمض عينيه نصف اغماضة ولم يأت حركة. وأنا بدوري لم أحرك ساكناً. وأخيراً قلت له: "لا تخف، فأنت تذكرني."

بدا واضحاً أنه عرفني، ذلك لانه بعدما تفرس في لحظة شرع ينظف فراءه ويصففه مستخدماً قائمتيه الاماميتين. وفيما أنا أراقبه يمسح خديه ويفرك أذنيه ظهر بجانبه أحد الصغيرين جاء طلباً للهواء. فعاودت حديثي محيياً: "مرحباً يا هذا. تسعدني رؤيتك ثانية." وبدا الحيوانان كلاهما مشدوهين كما لو انهما أصيبا بدوار بفعل هذه الشحنة غير المعتادة من النور والرائحة والصوت.

وظهر قندس صغير ثان اتخذ مكاناً قرب القندس البالغ الناحل. وسرني كثيراً أن

أرى الصغيرين اللذين ولدا متأخرين نجيا من فصل الشتاء وهما في صحة جيدة.

كان الليل خيم تقريباً عندما غادرت البحيرة. وسلكت طريق المحمية المغطاة بعشرة سنتيمترات من الثلج والبهجة تغمرني. فثلاثة على الاقل في مستعمرة القنادس استطاعت ان تنجو من الموسم القاتل. والجليد يكاد يذوب.

بعد بضعة أيام عدت لأجد الجليد اختفى كله وعكست المياه الزرقاء الراكدة قبة الفضاء كما لم تفعل قط عندما كانت أزهار النيلوفر متفتحة. وذهلت أمام هذا الامتداد الواسع للبحيرة، بعدما كنت عرفتها مغطاة بأوراق النبات. لكن وضعها هذا لن يستمر طويلا، فنبتات النيلوفر السريعة النمو تتبرعم تحت الماء وتتطاول الى النور. وفي غضون ذلك تتمتع القنادس بحرية الحركة ويسهل علي تحديد أمكنتها.

كان القندس الحولي لوريل الذي لم أشاهده طوال أربعة أشهر الاول يظهر في المياه الجارية. ومع أن طبقات الدهن كانت ذابت عن جسمه المستدير خلال الشتاء فلم أجد صعوبة في التعرف اليه.

المفتش العام كان القندس التالي يخرج من الوجار. وشرع هو ولوريل يثبان واحدهما على ظهر الآخر منهمكين في ألعاب مائية لا تتوقف: ينقلبان ويغوصان ويقفزان في عرض بهلواني يفيض حيوية ونشاطاً. وكان ذلك بلا شك متعة حيوانية.

حدثت نفسي أنهما لا بد سعيدان. انه الربيع، ويستطيعان الآن تنشق هواء منعش نقي ورؤية الضوء. وأكثر من ذلك أنهما، وان لفترة قصيرة، ليسا مكرهين على التقيد بقنوات شحن محددة بل يمكنهما التنقل حيث يشاءان. ويمكنهما الغوص والعوم واللهو على مساحة هكتار ونصف هكتار من الماء كما لم يعهدا من قبل.

واذ خرجت ليلي من الوجار يرافقها الحولي الثاني سكيبر، أيقنت أن القنادس كلها اجتازت فصل الشتاء، فوازت فرحتي تلك التي كانت القنادس تعبر عنها بمرح. لقد جاء الربيع.

ثم تبينت امراً مفاجئاً. مئات من جذور النيلوفر المسودة انتشرت على امتداد الضفة وكل واحد من هذه الجذور الليفية الطويلة التي لها مكونات البطاطس قضم جزئياً. اذاً هذا هو المورد الذي ساعد القنادس على تحمل الشتاء.

دروس تأديبية

كان القلق ينتابني منذ بعض الوقت من أن يؤدي وجودي المتكرر الى انتفاء الحس الطبيعي لدى القنادس بالخوف من البشر. وثبتت صحة مخاوفي. ذات يوم جاء بحيرة ليلي صياد. فسبح المفتش العام صوب البقعة التي رمى فيها الرجل شباكه وحدق اليه بتمعن من غير أن يظهر عليه أن الطارق الغريب أثاره فيصفع الماء بذيله. بل، على عكس ذلك، شرع يمضغ ورقة نيلوفر وهو على أقل من عشرة أمتار من الغريب.

لمت نفسي على ما اعتبرته خطأي. فهذه الحيوانات باتت تألف وجودي معها بحيث لم تعد تكترث لوجود أناس آخرين. وبواسطة منظار لاحظت أن الصياد كان شاعراً

بـوجـود القنـدس، بـل كـان يـراقبـه. واكتفيت للحـظة بـالمـراقبـة بينمـا واصل الصياد صيده والمفتش العام يقترب منه وفجأة الفى هذا نفسه في ورطة اذ سبح داخل الشبكة وعلق فيها.

أسرعت الى حيث كان الصياد الذي ما ان رآني حتى أرخى شباكه فتمكن المفتش العام من الافلات.

قال الرجل: "كان يحاول انتزاع سمكتي."

فغالطته: "هذا غير صحيح، فالقندس كائن نباتي. والحقيقة أن هذه بحيرته وهو لم يكن محترساً كما يفترض فيه، وهذا بسببي أنا."

بدا الرجل ودوداً وممن لا يتعمدون ايذاء قندس. وفي أي حال، أثبت الحادث كيف أن نشاطات البشر الطيبين يمكن أن تؤدي أحياناً الى كارثة تطاول الكائنات البرية.

في الاسبوع الذي تلا اخبرت جون بما حصل وأوضحت له مخاوفي مما يمكن أن يحصل اذا ما انتشر نبأ وجود مستعمرة للقنادس هنا. وأضفت: "يبدو أن الوقت حان لاضعاف ثقة القنادس بنا."

استوضحني جون: "وكيف السبيل الى ذلك؟"

– التعاطي معها بلغة تفهمها.

خرجنا أنا وجون تلك الليلة الى البحيرة مزودين مجذافاً ورفشاً. واقتضت خطتنا أن نستخدم هاتين الاداتين كذيلين نخبط بهما صفحة الماء.

أحسست بتوبيخ ضمير عميق حيال ما كنا نعتزمه. فالقنادس باتت توليني ثقتها. وفي عالم مثالي تعتبر العلاقة الوثيقة التي نشأت بيني وبين أعضاء المستعمرة علاقة صحيحة، غير ان هذا العالم ليس مثالياً.

وقف جون على صخرة وانتظر حتى أوشكت ليلي أن تعبر أمامه سباحة وضرب سطح البحيرة بالمجذاف الخشب بقوة أدت الى كسره في الوسط. وحتى قبل أن تسقط قطرات رشاش الماء في البحيرة كانت ليلي غاصت عميقاً بعيدة عن النظر.

قلت له: "صفعة ذيلك هذه كافية،" وتأهبت لاقوم بالعمل نفسه بواسطة الرفش الفولاذ. راقبت المفتش العام وهو يتجه نحونا، واذ صار على أقل من عشرة أمتار مني رفعت الرفش فوق رأسي وخبطته بكل ما أوتيت، فتطاير الماء في كل اتجاه وغطس المفتش العام عمودياً نحو القاع بلمح البصر.

بدا أن الصوت اجتذب الصغيرين، لوتس وبلوسوم، اللذين اندفعا نحونا من الجهة

المقابلة. فقال جون مازحاً: "يبدو أننا عممنا استدعاء عاماً للقنادس."

توقف الصغيران وهما على مسافة ستة أمتار منا، ورمقانا بحشرية ظاهرة. أخذ جون الرفش مني وكان على وشك أن ينفذ ضربة عنيفة أخرى.

حضضته: "هيا!"

وفي اللحظة التي صدم صحن الرفش الماء صفع الصغيران الماء بذيلهما، فاذا برشاشات ثلاثة ترتفع في الهواء في وقت واحد. غاصا ثواني ثم عاما في انتظار أن يعيد جون الكرة. وهو ما فعله. ومرة اخرى صفعا الماء بذيليهما في اللحظة نفسها التي لامس الرفش صفحة البحيرة.

قلت: "انهما يظنان الامر تسلية." ثم انتبهت الى ظهور جسمين آخرين على وجه الماء.

حين عاد المفتش العام وليلي لم يستطيعا تفسير العلاقة بين متعة الصغيرين وبيننا، وبدا أنهما يحاولان دفعهما تحت الماء وهما يطلقان هسيساً عدائياً تجاهنا.

فقلت: "حسناً. استطعنا استعداء الكبيرين على الاقل."

لم يسبق لي أن سمعتهما يهسان أو رأيتهما يتخذان خطوات لحماية صغيريهما. فالمفتش العام وليلي كما عرفتهما صاحبا طبيعة لطيفة، ولكن بعد الذي حدث صارت القنادس كلها تتحاشاني.

في الرابع من يوليو (تموز) الذي يصادف ذكرى استقلال الولايات المتحدة (تطلق في المناسبة العاب نارية) شاهدت مجموعة من المحتفلين يعاكسون القنادس فرموها بعدد من المفرقعات. واذا ما كانت مستعمرتي لم تزل تبدي أي استجابة للجنس البشري، فقد توقعت أن يبدد هذا العمل الأخرق ثقتها الى الابد.

البحيرة الجديدة

ذات ليلة اختفى لوريل وسكيبر. لقد آن أوان مغادرتهما وهما الآن على عتبة السنة الثالثة من عمرهما. تتبعت آثار ذيل سكيبر على الضفة الشمالية حيث اجتاز طريقاً فمنحدراً شديداً. واكتشفت في اسفل المنحدر جدولا كبح سد مجرى مائه فبدأت تتكون فيه بحيرة.

والواقع ان سكيبر ولوريل استقرا في واد ضيق يقطعه غدير صغير. واذ تفقدت الموقع ألفيت نفسي مفتونة به. فهو مليء بأنواع النبات من كل لون. أطلقت على المكان اسم "البحيرة الجديدة."

ساءلت نفسي: هل سيتحول الصغيران زوجين الآن؟ اذ يعرف في الكائنات التي تمارس حياة اجتماعية متطورة أنها تتوالد ضمن نسلها كوسيلة بقاء توفر للمستعمرات المعزولة ذرية متكيفة والحياة في بيئتها الخاصة.

كان الموقع الجديد في حاجة الى أمور كثيرة ليصبح صالحاً للسكن قبل حلول الشتاء. ووجب أولا اعلاء حدود السد. فبدأ سكيبر ولوريل يعملان على نحو متمهل. كانا

يستخرجان مقدار حفنة من الطين من أسفل البحيرة ويضغطانه باحكام على صدريهما ويسبحان ببطء نحو السد ليدسرا الطين على قمته. وفي حين بدوا غير متعجلين، كانا في واقع الامر ينجزان مهمتين في آن: يعمقان قناة ويعليان السد.

وزع لوريل وسكيبر وقتهما طوال شهري مايو ويونيو (أيار وحزيران) بين البحيرة الجديدة وبحيرة ليلي. وفي أحد الايام حلت المأساة. وصلت الى بحيرة ليلي قرابة الظهر ودرت حولها في اتجاه طريق المحمية. وهناك وجدت لوريل.

لم يكن مضى وقت طويل على نفوقها. وظهر اثر من الدم على الاسفلت كان بمثابة شهادة على الجهد الذي بذلته وهي تحاول الوصول الى جانب الطريق اثر تعرضها لصدمة قاتلة. وبدا أنها كانت متوجهة نحو وجارها الجديد بعد زيارة أخيرة لمسقط رأسها عندما صدمتها سيارة مسرعة.

داعبت فراءها بأناملي. نفوق لوريل بالنسبة الي كان خسارة مأسوية. فهي عاشت سنتين وتحدت كل الصعاب التي واجهتها بها الطبيعة وأثبتت أنها كفية بامتياز. لكن الذي أودى بها لا يمت بصلة الى الطبيعة.

جلست ذلك المساء عند البحيرة الجديدة أراقب سكيبر يعمل بمفرده على تدعيم السد. الا أنني ما أحسست نفسي مهتمة للامر. وهو لم يكن يدرك أن رفيقته قضت. غير أنه هجر المكان في الليلة التالية وعاد يقيم في بحيرة ليلي.

غامضة هي الحيوانات.

بقي الآن مكان واحد أراقبه. في هذا الصيف الذي تميز بالجفاف أضافت القنادس خمسة سنتيمترات الى ارتفاع سد بحيرة ليلي. وتركز معظم عملها تحت الماء تزيد وحلا الى القاعدة لتمنع أي تسرب. ونتيجة ذلك حافظت بحيرة ليلي على أعلى منسوب عال للمياه. وتحولت الى ما يشبه منتجعاً للحياة البرية يجتذب مزيداً من الكائنات المتنوعة.

بدا واضحاً أن سكيبر قرر البقاء في بحيرة ليلي. وأيا يكن الاحساس الذي داخله في مارس (آذار) ودفعه الى السعي الى حياة مستقلة، فقد همد الآن. أقام طوال الصيف في وجار والديه يعمل على سدهما ويتغذى بنبتاتهما ويلهو مع وليديهما. وكان في كل هذا كمن قرر البقاء هناك الى الابد.

ولكن اذ بدأ لون اوراق الشجر يتبدل، ذهبت في جولة تفقدية للبحيرة الجديدة. فوجدت، وقد أخذتني الدهشة، أن السد أعيد بناؤه والمياه عادت ترتفع في الوادي الصغير.

انتظرت بصبر نافد ظهور الاقزام الخرافية التي قامت بورشة الاصلاحات هذه. وقبعت على قمة منحدر أترقبها. لم يدم انتظاري طويلا اذ سرعان ما استوى قندس بني كبير - أتراه سكيبر؟ - على اعلى السد وغطس في البحيرة الجديدة. وبعد قليل ظهر قندس بني صغير سبح نحوه لتحيته فتلامسا بأنفيهما ثم راح كل واحد يجمع قضباناً لاضافتها الى السد.

القندس الكبير، كما استنتجت لاحقاً، كان لا بد أن يكون سكيبر، اذ اعتباراً من تلك الليلة لم أعد أشاهده في بحيرة ليلي.

ومن يكون القندس الآخر؟ دعوته "مايت."

راقبت القندسين يعملان حتى طمستهما الظلمة. وأدهشني كم أن مراقبة القنادس مليئة بتحولات غير متوقعة.

حال طارئة

ذات يوم جمعة من شهر يونيو (حزيران) عشية أول أيام الصيف كنا اتفقنا أنا وجون على الذهاب الى بحيرة ليلي بعد الظهر. وحتى قبل أن نطل على البحيرة عرفنا أن ثمة أمراً على غير ما يرام. فعبر الاشجار تناهى الينا صوت منذر، هدير متواصل لمياه تتدفق بسرعة. وكمن مسه تيار كهربائي انطلقنا نركض. وما ان بانت البحيرة حتى وقفنا مذهولين. كانت المياه تندفع بقوى هائلة عبر شق في السد الذي بلغ ارتفاعه متراً ونصف متر. كانت البحيرة تغور أمام أعيننا.

نتيجة الرعب الذي تملكني وقعت مرتين وأنا أهبط التلة مسرعة نحو السد. ثم تقدمت الى حافة المياه المتدفقة ووقفت هناك عاجزة. كانت المياه تصطخب حولي بقوة مذهلة كفيضان جارفة الاخشاب المكونة للسد ومدمرة ثمرة سنوات من العمل المضني للقنادس.

صعقت للكارثة. ثم انتبهت الى جون يتوجه نحو الصدع ويحاول جاهدا ان يرفع جلموداً. توقعت أن يوقف السيل بهذه الوسيلة وارتفعت معنوياتي قليلا. لكن الصخرة الضخمة التي ألقاها بدت ككرة حين جرفها السيل هي أيضاً. وفيما نحن نتابع سقوطها السريع الى اسفل التلة، تناهى الي صوت جون وسط الهدير الصاخب: "ستكون هذه البحيرة ذكرى في غضون ساعتين."

فصحت: "لماذا؟ لماذا حدث هذا؟ وكيف؟"

دفع تفجعي جون الى البحث عن جواب. فوجد آثار أقدام في كل مكان حول الشق، وقال: "هذا عمل مخرب. فالسد صدع بواسطة آلة ما."

قررنا بسرعة أن أذهب في السيارة الى أقرب كشك هاتف وأبلغ عن الحادث الى شرطة المحمية على أن ينتظر جون قدومها. وفي غضون ذلك أراد أن يتوسل أمراً خطر له. فأوضح لي: "سأحاول أن أصل السد بعضه ببعض بواسطة حائط من الحجار تحت الماء. واذا حالفنا الحظ فان قوة اندفاع المياه ستجعل الحجار متراصة على نحو محكم، وبذا نكسب بعض الوقت. اذذاك قد يستطيع حرس المحمية استنباط وسيلة لالقاء كمية كافية من الصخور في مكان الصدع.

حين عدت كان شرطيان سبقاني الى المكان، ورأيتهما واقفين قرب جون على ما تبقى من السد يهزان رأسيهما. بدا أنهما تأثرا جداً لحال القنادس وقر رأيهما على وجوب ملاحقة المسؤول عن الحادث كائناً من كان. لكنهما لم يعربا عن أمل كبير في

قصيرة وسعت قنادس بحيرة ليلي مألفها ليشمل البحيرة العليا المهجورة.

في غضون ذلك لم تكن تصرفات ليلي طبيعية وتهيأ لي أنها حامل. لكن الاعراض التي كانت تنتابها لم تشر الى أنها كذلك. وهي ظلت في بحيرة ليلي قريبة من شاطئها الجنوبي. وفي المناسبات القليلة حين رأيتها تسبح كانت تنحرف يمنة في اتجاه دائري. وحين اقتربت مني اتضح لي أنها في حاجة ماسة الى تنظيف وعناية.

القنادس حيوانات نيقة، تنظف نفسها تكراراً في فترات تمتد أحياناً ساعة كاملة، فتعمل على أجسامها القصيرة بقوائمها الاربع. والتنظيف يجعل الفراء صامداً للماء، اذ متى انتظمت كل شعرة منه في محلها لا يمكن الماء أن يتسرب الى جلد الحيوان.

لكن فراء ليلي كان مشعثاً جداً وبدا أنها لم تكن تعنى به. والى ذلك لفتتني قرادة (٢) كبيرة استقرت في أذنها، وهي جزء من الجسد لا ينفك القندس ينظفه.

وذات ليلة لاحظت أن قائمتها الامامية اليسرى متورمة جدا بحيث باتت كل "أصابعها" مفلطحة وجلد راحتها متشققاً فبرز لحمها الوردي. وبدت القائمة مشلولة اذ انها رفعتها عالياً ولم تكن تستخدمها حتى وهي تأكل.

وتضاءل مصدر غذائها. فالقنادس استهلكت طوال الشتاءات الماضية كميات كبيرة من جذور النيلوفر حتى أمست هذه النبتة عزيزة.

تحولت ليلي الي طلباً للمساعدة. وذات ليلة جرت نفسها خارج الماء وجهدت في صعود الضفة الى حيث كنت جالسة ورمقتني بنظرة حادة. أخذت على حين غرة. فقبل سنتين ثنيت المستعمرة عن الوثوق بي. شخصت الي بعينين متوسلتين و"خاطبتني" بنبرات متواصلة كأنها قندس صغير عاجز.

سألتها: "ماذا تريدين يا مسكينة؟"

استجابت بمزيد من الهمهمات المتملقة. تراجعت بعيداً وتسلقت صخرة حيث تمكنت من رؤية القندسة الهزيلة بوضوح، فاذا بعظمي وركيها ناتئان كعظمي حصان هرم. ولم يكن فراؤها يحجب هزالها. واذ استدارت وهبطت التلة مترنحة سقطت منقلبة على ظهرها وقوائمها الاربع في الهواء. ولزمها جهد عظيم لتستوي ثانية وتبذل قصاراها للوصول الى البحيرة.

وبينا كل هذا يحدث كان جون يتابعنا من مرقبه الخاص على مسافة صعداً. ثم انحدر صوبي وبادرني: "انها جائعة. وأيا يكن الذي حدث لها فانها في حاجة ماسة الى غذاء. ومن الافضل أن تطعميها."

في الليلة التالية أحضرت أغصاناً من شجر الحور الى البحيرة. وتلمست طريقي الى الضفة ووضعت غصناً مورقاً عند حافة المياه. وما ان رأته ليلي حتى سبحت صوبه. وبعدما قضمت منه عوداً جمعت أوراقه بقائمتها السليمة ووضعتها في فمها.

واذ فرغت من تقدمتي الاولى جئتها بأخرى، فثالثة. وفي كل مرة كان علي أن أدب لالقي غصناً في متناول أنفها، فيما ظلت هي هادئة كلياً ووجهها الرمادي يعكس

(٢) القرادة حشرة تمتص دم الحيوان.

اطمئناناً كبيراً جعلني أتساءل كيف يمكن انساناً أن يؤذي حيواناً مثلها.

وفضلا عن اعتلالها كانت ليلي حاملا فعلا. وهي أنجبت لاحقاً قندسين سليمي البنية، ما ان رأتهما القنادس الاخرى يسبحان في البحيرة للمرة الاولى حتى تحلقت حولهما تتناوب الترحيب بهما بملامسات أنفية وتراشق برذاذ الماء. وبين الفينة والاخرى يغوص قندس بالغ تحت أحد الصغيرين ويصدمه رافعاً اياه في الهواء، حتى اذا سقط في الماء تطاير حوله رذاذ كثير. كانت تلك أوقاتاً سعيدة في البحيرة. ولم يحل الالم الذي كانت ليلي تعانيه دون ممارستها أمومتها بحق.

وحين صار في وسع وليديها تدبر أمرهما في البحيرة اطمأنت ليلي الى تركهما وعادت تزورني. فنبهتها: "اني دللتك أكثر مما يجب. ليس مفترضاً فيك أن تأمني جانب الناس على هذا النحو. ان في ذلك خطراً عليك."

لكن تحذيري اياها لم يعد يفيد في شيء الان. فلن يجلب البشر لها الأسى. انها الطبيعة التي ستتكفل بذلك ولما يبق لهذا الحيوان الهرم الواهن في الدنيا سوى القليل. بدت قانعة اذ هي خرجت من الماء وجلست بجانبي تقرض أي عشبة تصادفها. فلم يطاوعني قلبي حرمانها متعة الاشباع هذه. وليلة بعد أخرى حملت أغصان حور الى بحيرة ليلي. وكانت ليلي تهمهم برقة وهي تتغذى بعطياتي.

دعاء بالتوفيق

أنبأت جون هاتفياً: "ان القنادس انتقلت الى البحيرة العليا." وكان جون هجر حياة الريف لمزاولة مهنة التعليم في مدينة نيويورك حيث ما لبث أن حن الى حياة العراء. وسرعان ما قبل دعوتي لزيارة المستعمرة. انتظرت قدومه بصبر نافد لأرى رد فعله على التحول الذي طرأ على المكان.

في أواسط سبتمبر (أيلول) لم تبق زنبقة نيلوفر واحدة في بحيرة ليلي. ولاحظت في ذلك الاسبوع قندساً يتسلق بعكس مجرى الجدول فوق سلسلة من سبعة سدود وعبر مجرور يفضي، من تحت الطريق العامة، الى البحيرة العليا.

توقيفه، فعديد الشرطة كان دون ما يكفي لمواجهة كل ما يعترضها من مشاكل في هذه المحمية الواسعة.

لم يأت جون على ذكر الحائط الذي أقامه تحت الماء. لكنني لاحظت ان السيل فقد بعضاً من قوة اندفاعه، فأقر لي: "انه يتدفق بسرعة أقل الآن، لكن مياه البحيرة لا تزال تنضب."

تسلقنا صخرة كبيرة وعاينا حدود الضفة. لاحظنا أن مستوى المياه انخفض أكثر من نصف متر. ولن تمضي فترة طويلة حتى يكون وجار القنادس قائماً على أرض جافة وأبوابه مشرعة للضواري.

فجأة تسارعت دقات قلبي اذ ظهر قندس من الوجار وراح يسبح في اتجاه السد بأقصى سرعة. كان ذلك المفتش العام. عاين السد المتصدع بنظرة غاضبة وهو يذرع المكان جيئة وذهوباً. ثم سارع بقطع نبتة غار كبيرة وغرزها في حافة الحائط الذي أقامه جون في محاولة للحد من تدفق المياه.

بدا لنا واضحاً أن ما فعله لم يكن ليفيد في شيء. ولا بد أنه توصل الى الاستنتاج نفسه، اذ سرعان ما حول انتباهه الى التسرب الحاصل تحت سطح الماء.

ولسد الشقوق الصغيرة التي لا تحصى في حائط الحجار عمد الى استئصال نبتات كاملة من النيلوفر وهو في حال من الارتباك الشديد. ثم غطس وبدأ يستخدمها كمادة اسمنتية.

فلاحظ جون: "انه يتوجه مباشرة الى أس المشكلة."

وأعجبت، أنا أيضاً بسعة حيلة المفتش العام. فالقنادس عادة لا تستخدم نباتات صالحة للاكل في بناء مساكنها لكن الوقت كان عزيزاً ولا بد من انقاذ البحيرة. كانت نبتات النيلوفر الطويلة الساق مطواعة أتاحت حشو الشقوق بسهولة. وكان المفتش العام يعمل بوتيرة جنونية: يغوص، يقتلع، يغوص، يقتلع. وما ان يختفي تحت الماء حتى يعوم لمزيد من النبات.

ثم لمحنا ثلاثة قنادس أخرى تسرع نحو السد. وفي غضون ثوان اقتدت بالمفتش العام فراحت تقتلع نبتات النيلوفر وتغوص تحت الماء تسد الثغرات في حائط جون.

بدا أن القنادس أدركت أن بقاءها مرهون بعمل متواصل. فكانت تقوم برحلة تلو أخرى لجمع مزيد من المادة "الاسمنتية." واذ راقبتها وهي تعمل على هذا النحو خالجني أنها ستنقذ البحيرة فعلا.

بعدما حجب الظلام القنادس الاربعة

ظللنا حيث نحن نجهد في تتبع أشكالها الممتلئة وهي تتنقل في الماء. وقبل أن نغادر المكان تلك الليلة سلطت ضوء مصباح كهربائي على حاجز الماء المتقوس، فتبين لي، ويا للمفاجأة، أن المفتش العام كان في المقلب الاخر يعمل بكد على سد الثغرات من الخلف (القنادس تبني سدودها عادة من جهة البحيرة). ومع ذلك ظل الحائط يلفظ كميات كبيرة من الماء.

لازمني الارق معظم تلك الليلة. وفي الصباح وجدتني مستعدة لاسوأ الاحتمالات. قد يكون الحائط الصخري انهار. قد لا نجد شيئاً سوى الطين حيث كانت بحيرة ليلي.

واذ اقتربنا من البحيرة تباطأت قليلا وعيناي على جون أستشف من تعابيره ما يمكن أن ينتظرنا. وللحظة، بعد بلوغه أعلى التلة، أبقاني أسيرة ترقب قلق، ثم استدار نحوي وابتسامة عريضة تعلو وجهه. وهتف: "لقد صمد!"

انطلقنا نعدو جنباً الى جنب. ولاحظنا أن منسوب مياه البحيرة منخفض، لكن حائط الوصل الذي وصفه جون و"كحلته" القنادس كان لا يزال قائماً متماسكاً. فتعانقنا وهللنا للقنادس التي آبت الى وجارها لاستراحة تستحقها فعلا.

ظلت العملية الهشة في حاجة الى تدعيم، فاستعنا بثلاثة صبية كانوا قصدوا الى البحيرة للصيد. وبدأنا جميعاً ننقل أحمالا من القضبان الى الموقع ونرميها في الماء. عملنا على هذا النحو طوال فترة الصباح مستخدمين بعضاً من ركام السد الاصلي.

جلست وجون عند البحيرة بعد ظهر ذلك اليوم ننتظر أن تستيقظ القنادس. قال جون: "أراهن أنها نامت متأخرة بعد تجربة الليلة الفائتة."

في السادسة والدقيقة الخامسة ظهر قندس من الوجار. انه المفتش العام. واذ وصل الاب المؤسس الى السد أخذ يسبح في هذا الاتجاه وذاك عبر الاخشاب المتشابكة التي كنا ألقيناها هناك، يستشمها غصناً غصناً ويطلق أصواتاً عالية تعكس اثارة لا يعرفها سوى القنادس.

همس جون في أذني: "يبدو كأنه يعبر عن بهجته." لجمت في حلقي صيحة فرح. مضى المفتش العام يدوم عبر الاغصان ككلب هائج ويثرثر عن لقيته.

بعد فترة وجيزة انطلق الى العمل متسلقاً الحجار ليدعم الناحية الخلفية للسد. عمل على نحو متواصل ولكن ليس بالاهتياج الذي ميز عمله في الليلة السابقة. فالحال الطارئة زالت.

ليلي في مأزق

في الربيع التالي كانت القنادس تحررت من سجنها الجليدي حين ساط المطر المنطقة مدى أيام حتى باتت التربة مشبعة وغمر السيل العارم ضفاف الانهر والجداول. وكان سكيبر ورفيقته الجديدة مايت انتقلا الى مكان آخر سميته "البحيرة العليا." ونتيجة الامطار الغزيرة ارتفعت المياه داخل الوجار المخروطي حتى غمرت داخله مما اضطر سكيبر ورفيقته وصغيريهما الى اخلائه. ولم أشاهدها ثانية. وبعد مدة

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

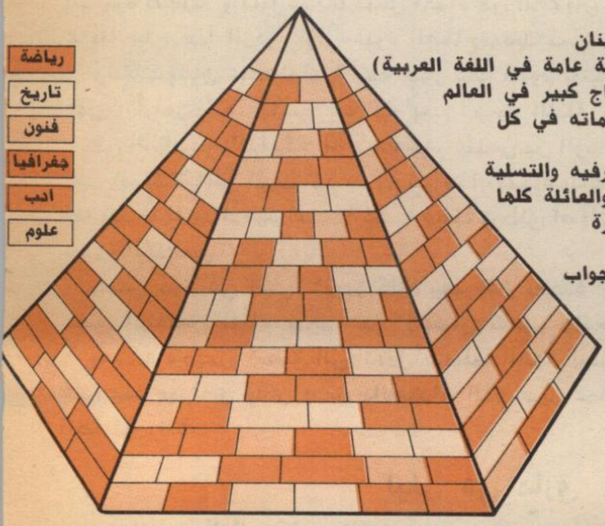

- **هرم المعرفة:** صممت وانتجت في لبنان
- **هرم المعرفة:** اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- **هرم المعرفة:** لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- **هرم المعرفة:** لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- **هرم المعرفة:** طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- **هرم المعرفة:** لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- **هرم المعرفة:** من سن الخامسة عشرة وما فوق
- **هرم المعرفة:** ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- **هرم المعرفة:** ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
ت : ٩٣٦٧٧٠ (٠٩) - تلكس: LE ٤٥٤٠٠ AJAKKA
التوزيع في لبنان: شركة بلايتايم Playtime ت : ٤١٤٤٦٧

كان المكان يضج بالنشاط. والموقع نفسه الذي آوى سكيبر ورفيقته وصغيريهما الشتاء الفائت اتسع الآن وأعادت ترميمه أربعة قنادس أخرى من مستعمرة بحيرة ليلي. والنتيجة وجار وسط الماء مثير للاعجاب، ارتفع أكثر من متر ونصف متر عن سطح البحيرة وبلغ طوله ثلاثة أمتار وعرضه أكثر من ثلاثة أمتار ونصف متر. فبات مناسباً جداً لايواء ثمانية قنادس.

في غضون ذلك بقيت ليلي وأصغريها في بحيرة ليلي. وكانت صحة الام المؤسسة تتدهور باطراد. ولأطمئن الى أنها لا تزال حية تفقدت بحيرة ليلي قبل أن أرتقي التلة الى البحيرة العليا.

أخبرت جون ونحن في طريقنا الى البحيرة: "انها في حال سيئة جداً. فاذا عاشت فستضطر هي وصغيراها الى تمضية الشتاء في بحيرة ليلي. لا أعتقد أن في استطاعتها أن تحمل نفسها وتجتاز كل هذه السدود لتنضم الى بقية أعضاء المستعمرة."

واذ وصلنا الى نقطة في طريقنا بانت منها بحيرة ليلي، شاهدنا قندساً يشق المياه نحو الوجار القديم المتهدم. استعنت بمنظاري: "انه المفتش العام."

غاص ثواني ثم عام من الوجار وبجانبيه قندسان صغيران. انطلق الوالد بسرعة فائقة عجز الصغيران عن مجاراتها. لكنهما شرعا يضربان بقوائمهما بعنف، ومن وقت الى آخر يتشبث أحدهما بفروة عنق الذكر البالغ أو يمتطي ذيله كي لا يتخلف عن الركب.

علقت باعجاب: "انه يأخذ القندسين الى البحيرة العليا."

وفيما الثلاثة تجتاز العقبة الاخيرة عدونا لنصل في الوقت المناسب ونراها تظهر على سطح البحيرة العليا.

وهكذا بقيت ليلي وحيدة. وكنت متيقنة أنها افتقدت صغيريها. أخذت تزور نقطة مراقبتي وتحدق الي كأنها تسألني مؤانستها. عزت علي رؤيتها محرومة وبحيرة ليلي مهجورة على هذا النحو. وجئت في الصباح، قبل أن تفيق وتركت للقندسة المسنة ضمة أغصان حور قبل أن أتوجه الى البحيرة العليا.

ذات ليلة، وكان مر أسبوعان ونصف أسبوع على انتقال الصغيرين الى البحيرة العليا، لمحت ليلي هناك. وللحظة اعتقدت أني أتوهم رؤية أشياء. لكن الامر كان حقيقة، فالحيوان العاجز الذي وقع عليه نظري كان ليلي فعلا.

هتفت مبتهجة: "لقد استطعت الوصول!"

أجفلها رد فعلي الظاهر فاختفت بسرعة تحت الماء. ثم عادت فظهرت اذ عرفتني.

لم يسعني أن أتخيل كيف استطاعت حمل جسدها المشلول جزئياً الى أعلى التلة لتنضم الى المستعمرة. ولا يهم ان كانت ستعيش طوال هذا الشتاء، فهي الآن على الاقل ستمضي ما تبقى لها مع رفيقها والصغيرين.

حمل أكتوبر (تشرين الاول) مناخاً معتدلا وطمأنينة لم يعكرها طارىء. لكن

النهارات أخذت تقصر. ومع مطلع نوفمبر (تشرين الثاني) سقط الثلج بكثافة.

توجهت أنا ودان وجون الى البحيرة. وحدثتهما ونحن في الطريق: "حسنا. ان القنادس مستعدة الآن لتحمل الطقس القاسي. انتظرا حتى تشاهدا مخزن مؤونتها."

وكما توقعت، كانت المستعمرة في قمة نشاطها والقنادس تعمل على ازاحة الجليد وفراؤها الكث مصفف بعناية فيما هي تخوض في الماء.

قال جون: "كل ما آمله أن تبقى ليلي في الوجار هذه الليلة."

فأضفت: "اذا خرجت منه فالى مصيرها المحتوم. سيقضي عليها الطقس القاسي."

حان وقت انهائي دراستي عن القنادس والبحث عن تحد آخر. لكني أحسست غصة الفراق بمجرد التفكير في وداع هذه البحيرات الجميلة والقنادس التي تعيش فيها. ثم لمحت ليلي. كانت، ويا للهول، تكسر الجليد وتغوص كما تفعل الأخر.

وبصوت مخنوق نهرتها: "ايجدر بك البقاء في الوجار اتقاء للطقس الرديء." لم تسمعني. وبدت غير شاعرة بوجودي.

"آه يا ليلي!"

راقبتها وهي تختفي تحت طبقة الجليد. انتظرتها فلم تظهر ثانية. كانت البحيرة هادئة كما رقائق الثلج المتساقط. وتساءلت: ليلي. أبهذه الطريقة تغادريننا؟

وببطء، ومعاناة، عادت فأطلت من خلال الجليد. بدا واضحاً أنها كانت عاجزة عن نفض رقاقات الجليد عن فرائها. لم تعد قادرة على شق ممرات لها أو الحدب على صغيريها أو قطع أشجار أو بناء وجار. اكتفت بالتمدد على طبقة جليدية وجفونها مغمضة. ثم، بجهد جهيد، رفعت جسدها الواهن تحت صفحة البحيرة الجليدية ولم تصعد ثانية.

حدقت الى تلك البقعة حتى غطاها الثلج. وأدركت أني رأيت ليلي للمرة الاخيرة.

في الظلام واصلت القنادس الاخرى تنقلها. ثم سمعت جون يناديني. لقد ساءت حال الطرق وآن أوان الرحيل.

قريباً، سيحتجز الطقس القارس الحيوانات في وجارها. سأتفقدها في الربيع لاطمئن الى أنها، كلها، عاشت الشتاء. سأزور عائلة القنادس لاعرف ما اذا كان المفتش العام وجد رفيقة جديدة وأتحرى عن صغار جدد لهما.

ناداني جون ثانية.

"ها اني قادمة."

لبثت دقيقة أخيرة لاقطع غصناً طرحته عند الشاطىء. وتمتمت: "هذا لك يا ليلي، دعائي لك بالتوفيق أينما كنت."

هوب رايدن ■

ترجمة جورج أبو رزق

الوقت أفضل المعلمين لكن سيئته هي انه يقتل تلاميذه. أ.ك.

اكتب واربح

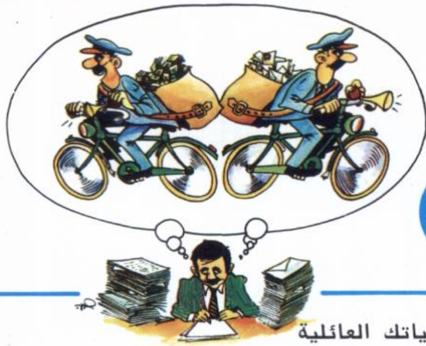

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٤٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٤٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٤٢٨، المتن الشمالي، لبنان.

"نافذة على القمر" للرسام الامريكي توماس مكنايت

© 1987 THOMAS MCKNIGHT